الصراع القرطاجي الإغريقي

من القرن السادس حتى منتصف القرن الثالث ق.م

وأثره على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في قرطاجة



أ. مفتاح محمد سعد البركي

مجلس الثقافة العام

الصـــراع القــرطـــاجـــي الإغــريقــي

من القرن السادس حتى منتصف القرن الثالث ق.م
وأثره على الحياة السياسية والاقتصادية
والاجتماعية والدينية في قرطاجة

الصراع القرطاجي الإغريقي

من القرن السادس حتى منتصف القرن الثالث ق.م

وأثره على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في قرطاجة

أ. مفتاح محمد سعد البركي

الناشر
مجلس الثقافة العام

اســــــم الكـــــتاب　الصراع القرطاجي الإغريقي من القرن السادس حتى منتصف القرن الثالث ق.م وأثره على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في قرطاجة
اســــم المؤلـــــف　أ.مفتاح محمد سعد البركي
ســـنة النـــشــر　2008م
رقــــم الإيـــــداع　68 / 2008 م (دار الكتب الوطنية)
الترقـــيم الدولــــي　978 - 9959 - 38 – 799 – 8
تــصميم الغـــلاف　علــي العبانــي
التنفـــيذ الفنـــــي　دار قباء الحديثة - القاهرة

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

إصدارات

مجلس الثقافة العام

المقر الرئيس - مجمع المؤتمرات – سرت
هاتف 002185468622 – بريد مصور 002185473161
فـرع طرابلس – عمارة الواحات – شارع عمر المختار
هاتف 00218214449894 – بريد مصور 00218213335388
ص ب 2764 طرابلس
فـرع بنغـازي - الفويهات الغربية – الطريق الدائري الثاني
هاتف 00218612241577 – 00218612241578
بريد مصور 00218612241576 – ص ب 9351 بنغازي
بريد إلكتروني – LCC2_2005@Yahoo.ca

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾

الآية 76" سورة يوسف "

الإهـــداء

إلـــى

كـــل الذين مـــدوا يـــد المساعدة لي

وكانوا وراء إنجـاز هذا العمل

إلـــى

كـــل الذين آمنوا بـــأن العـــرب

هـــم أصـــل الحضـــارة

المـــؤلـف

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة

الفصل الثاني : الصراع القرطاجي الإغريقي

الموضوع | الصفحة

الفصل الثالث : التأثيرات السياسية والاقتصادية

الموضوع	الصفحة

الفصل الرابع : التأثيرات الاجتماعية والدينية

الموضوع	الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

على الرغم من الدراسات العديدة التي خُصّ بها الفينيقيون بشكل عام، والوجود الفينيقي في غرب البحر المتوسط بشكل أخص، وبالرغم من المساحات الشاسعة التي أفردها الباحثون لهذه الدراسات، إلا أن أغلبها قد تناول الجوانب الملموسة من تاريخ هذا الشعب، واقتصر على ما هو واضح للعيان، وانصبت أغلب تلك الكتابات على الجانب العسكري للفينيقيين في غرب البحر المتوسط، ممثلة في الدولة القرطاجية، وكان النصيب الأكبر في هذا الجانب قد استحوذت عليه الحروب البونية بين روما وقرطاجة بأدوارها الثلاث، لما اتسمت به هذه الحروب من عنجهية وقسوة، ولما ترتب عليها من نتائج مؤلمة، كان أقساها تدمير وإزالة أعظم حاضرة لأعظم إمبراطورية في تلك المنطقة في ذلك الزمان، تمثل ذلك في حرق قرطاجة، ومحاولة محو حضارة إنسانية كاملة، وحتى الذين درسوا التاريخ المبكر للدولة القرطاجية، ونشأة تاريخها السياسي والعسكري، ركزوا على المؤسسات السياسية فيها، ونمو قوتها العسكرية، ومراحل صراعها مع المستعمرات الإغريقية التي حاولت بسط سيطرتها على الحوض الغربي للبحر المتوسط، مركزين في دراستهم على تبادل الانتصارات والهزائم بين الطرفين من خلال ما قدمه المؤرخون الكلاسيكيون، والذين كان معظمهم من الإغريق واللاتين، دون أن يذكروا لما لذلك الصراع من آثار انعكست على المجتمع القرطاجي برمته، وما أفرزه ذلك الصراع من مستجدات تطلبت تغيرات جوهرية ومهمة في حياة ذلك المجتمع، أملتها ظروف ذلك الصراع ومتطلباته، وكانت إيذاناً بظهور مجتمع جديد، وحضارة جديدة، مختلفة عن الحضارة الأم في الشرق، فجاءت خليطاً من ثقافات وعادات وتقاليد وديانات مختلفة، فكانت تلك الدراسات السابقة هي عبارة عن سرد لأحداث عسكرية ومعارك دارت

رحاها بين الطرفين تركز معظمها في جزيرة صقلية، وطال بعضها أفريقيا نفسها، وانصبت كتابات هؤلاء على حجم الحملات وتكويناتها وعدد أفرادها ونوع الأسلحة المستخدمة فيها وبراعة قادتها العسكريين والهزيمة والنصر، وحتى من حاول التطرق إلى نتائج تلك الحروب اقتصرت دراسته على النتائج المباشرة التي تمثلت في فقدان أراض في المعركة وكسب أراض جديدة وظهور أحلاف وانهيار أحلاف أخرى، وبالتالي فقد خلت تلك الدراسات من محاولة الولوج إلى عمق تلك النتائج وما أحدثته من انعكاسات على الأوضاع الداخلية في قرطاجة وما ترتب عليها من تبدلات مهمة سواء كانت على القرطاجيين أنفسهم أم على علاقتهم بجيرانهم من اللوبيين، أو حتى على علاقتهم العسكرية مع أعدائهم المباشرين، الأمر الذي ترتب عليه حدوث امتزاج فكري وحضاري بين القرطاجيين وغيرهم، وصل إلى حد الانصهار شبه الكامل في بعض الأحيان، خاصة في الجوانب الاجتماعية والدينية والثقافية، مما أدى إلى بروز حضارة مزيجة من الوافدين الجدد وأصحاب البلاد الأصليين.

وفي هذه الدراسة التي تكاد تكون الأولى من نوعها، محاولة لطرح رؤية جديدة تتمثل في دراسة العوامل التي ساعدت على نشوء تلك الحضارة، خاصة الدور الذي لعبه الصراع العسكري في قيام حضارة مدنية بلغت من الإزدهار والتقدم ما فاق غيرها في كثير من المجالات علّها تكون فاتحة لدراسات قادمة تكون أكثر عمقاً وأعمّ فائدة لدراسة تاريخ حضارتنا القديمة التي بقيت حكراً على غيرنا من أعدائها فقدموها وفق منظورهم وآرائهم وبما يتلاءم مع رؤيتهم ومصالحهم يساعدهم في ذلك كتابات الكتاب الكلاسيكيين الذين هم في الصفوف المعادية وغياب الدليل الأثاري بالنظر لصعوبات متعددة ساعدت على فقدانه، وما دفعني للقيام بمثل هذه الدراسة هو غياب هذا النوع من الدراسات التحليلية المتخصصة، وكان تحيز الكثير من الكتاب

الغربيين لبني جلدتهم من إغريق ورومان سواء الكلاسيكيون منهم أو المحدثين سبب آخر للقيام بها، فهنا تتم محاولة الكشف عن الحضور الفينيقي المبكر للحوض الغربي للبحر المتوسط والتطرق لما أحرزه القرطاجيون من تقدم في مجالي الزراعة والصناعة والرد على من اتهمهم ببلادة الذهن، والتركيز على دورهم الحضاري القوي في المنطقة والتسامح الذي كان يتصف به القرطاجيون حتى أصبحت قرطاجة دولة أممية من خلال الجاليات الأجنبية التي عاشت فيها وأثرت في مجتمعها، وكذلك الانصهار التام مع السكان المحليين والذي ظهر واضحا في امتزاج العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية وامتزاج الحياة الدينية بشكل عام وفي هذا الإطار قسم هذا الكتاب إلى أربعة فصول تناول الصراع القرطاجي الإغريقي وأثره على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في قرطاجة، وقد اشتمل كل فصل على مبحثين جاءت كما يلي:

الفصل الأول: ويتناول الحضور الفينيقي في غرب البحر المتوسط وتأسيس قرطاجة ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : وفيه لمحة سريعة عن موقع البحر المتوسط وأهم جزره وخلجانه، وأهم تياراته البحرية ومدى مساهمتها في النشاط التجاري في المنطقة منذ القدم.

ثم يتناول المبحث بداية الحضور الفينيقي وأهم الآراء التي وردت فيه بالتحليل والمناقشة محاولا مناقشة الأدلة والقرائن التي سيقت في هذا الخصوص لتحديد الفترة التي عرف فيها الفينيقيون المنطقة وارتادوها، وهل كانت فترة القرن الثاني عشر ق.م التي حددها المؤرخون بداية ذلك الارتياد أقرب إلى الحقيقة؟ أم أن هشاشة الأدلة التي أوردوها تجعلها عرضة للنقد والاعتراض؟.

هذا ما تناقشه الدراسة وتسلط الضوء عليه في هذا الجانب. ثم تتطرق إلى أهم المراكز الفينيقية المبكرة على شواطئ البحر المتوسط وتاريخ

تأسيسها والدور الذي لعبته في النشاط التجاري الفينيقي في المنطقة، وكذلك التوسع الإغريقي نحو غرب البحر المتوسط وأثره على المنطقة، وأهم العوامل التي كانت وراء ذلك.

المبحث الثاني: يتحدث عن تأسيس قرطاجة والظروف التي صاحبت تأسيسها والملابسات التي أحاطت بذلك، والآراء التي كتبت في هذا الموضوع، وأسباب اعتماد القرن التاسع ق.م كتأريخ لذلك التأسيس، ثم يأتي على زعامة قرطاجة للمستعمرات الفينيقية في غرب البحر المتوسط، وكيفية الوصول إلى مثل هذه الزعامة، وما هي الظروف التي ساعدتها على ذلك؟ وما هي النتائج المترتبة عليه؟. ويتناول علاقة قرطاجة بوطنها الأم "صور" في الشرق منذ تأسيسها حتى وقوع الأخيرة تحت سيطرة الاسكندر المقدوني في القرن الرابع ق.م، وكيف تدرجت هذه العلاقة من مستعمرة صورية إلى انفصالها وتحولها إلى إمبراطورية تقود العالم البوني في غرب البحر المتوسط؟.

الفصل الثاني : يتناول هذا الفصل الصراع القرطاجي الإغريقي في غرب البحر المتوسط ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : يستعرض هذا المبحث الوجود الفينيقي في جزيرتي صقلية وسردينيا وزمن وصوله وأهم مراكزه، وما هي طبيعته ودلائله وعلاقته بالسكان المحليين؟ وكيف تعزز ذلك الوجود؟ ولماذا تمسكت قرطاجة بوجودها بقوة في تلك المنطقة؟ كما يتطرق إلى الوجود الإغريقي ودوافعه وبداياته وطبيعته، وعلاقته بالسكان المحليين في الجنوب الإيطالي وجزيرة صقلية، وبروز إحدى المستوطنات كأقوى مستوطنة إغريقية تزعمت الصراع ضد قرطاجة.

المبحث الثاني : يتركز الحديث في هذا المبحث على الصراع العسكري وأهم أسبابه وبدايته بين قرطاجة وإغريق صقلية، وكيف حاول كل فريق دعم

نفوذه وفرض سياسة معينة في المنطقة، وما ترتب على ذلك من تضارب للمصالح، أدى إلى الصدام المسلح بينهما، والتحالف القرطاجي الأتروسكي ونتائجه على الإغريق، وقد تم تقسيم ذلك الصراع إلى ثلاث مراحل امتدت من بداية القرن الخامس ق.م إلى منتصف القرن الثالث ق.م تقريباً، ثم يستخلص الباحث أهم النتائج العسكرية التي ترتبت على ذلك الصراع.

الفصل الثالث : يتناول هذا الفصل أهم الآثار السياسية والاقتصادية التي أفرزها الصراع القرطاجي الإغريقي وانعكاساته على الحياة في قرطاجة وينقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول : في هذا المبحث يتعرض البحث للنظام السياسي في قرطاجة: "نشأته وتطوره" محاولاً تسليط الضوء على الفترة التي كانت قرطاجة فيها تابعة لـ"صور" في الشرق حتى القرن السادس ق.م، وكيف تطور هذا النظام، وهل كان للصراع مع الإغريق دور في ذلك؟ وهل ساهم بشكل أو بآخر في تغير وجه الحياة السياسية في الدولة القرطاجية؟ وكيف تحولت الدولة من دولة مدنية إلى دولة عسكرية؟ وما ترتب على ذلك من صراع سياسي داخل الجهاز الحاكم، وقيام الثورات ضد الحكومة؟ وكيف أدى إلى ظهور طبقة جديدة في الجهاز السياسي للدولة استطاعت أن تفرض سيطرتها عليه بعد القرن الرابع ق.م؟.

المبحث الثاني : يتناول أهم الآثار الاقتصادية التي ترتبت على اندلاع الصراع بين الإغريق والقرطاجيين في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وما ترتب عليه من تحول القرطاجيين نحو الفضاء الإفريقي وسيطرتهم على الكثير من الأراضي الزراعية، وتوسع للسيطرة القرطاجية، ثم تحول الاهتمام القرطاجي إلى الزراعة والصناعة كبدائل جديدة في اقتصادهم، وكيف استطاعوا النهوض بهما حتى أصبحتا من أهم ركائز الاقتصاد بعد تراجع التجارة البحرية نتيجة المنافسة الإغريقية، كما ظهر الاهتمام بالتجارة البرية التي أصبحت البديل

التجاري عن البحر، ونتيجة ازدياد حاجة الدولة للأموال بشكل مستمر – نتيجة الحروب – فقد ظهرت الضرائب كمورد اقتصادي للدولة.

الفصل الرابع : هذا الفصل يتم تسليط الضوء على أهم الآثار الاجتماعية والدينية التي ترتبت على الصراع القرطاجي الإغريقي وينقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول : يتناول أهم الآثار الاجتماعية ساعياً إلى إبراز ما نتج عن التحول القرطاجي نحو الفضاء الإفريقي وكيف ساهم ذلك في التمازج مع السكان المحليين مما نتج عنه ظهور عنصر"الليبوفينيقي"، ويتعرض للتركيبة الاجتماعية مبرزاً أهم الطبقات التي كان يتكون منها المجتمع القرطاجي، والجاليات الأجنبية ومدى تأثيرها وتأثرها بالمجتمع وما نتج عن ذلك من تطور للغة الفينيقية التي أصبحت تعرف باللغة البونية فيما بعد.

المبحث الثاني : تتركز الدراسة هنا على تحليل أهم الآثار الدينية، فتتعرض لكيفية انتشار الديانة الفينيقية بين السكان المحليين، وأهم الآلهة التي اشتهرت في العالم البوني والجدل الذي دار حول أصولها، وأهم النظريات التي ظهرت في ذلك، كذلك يتناول ظاهرة الأضحية البشرية، ونشأتها وانتشارها بين اللوبيين وهل كانت ذات منشأ فينيقي أم لا؟ ثم يتطرق إلى أهم المعبودات المحلية وهل كان لها مكان في العبادة القرطاجية؟ وهل كان هناك تمازج بين المعتقدات المحلية والمعتقدات الوافدة؟.

هذا ما دفعني للقيام بهذه الدراسة آملا أن تكون في مصاف الدراسات الهادفة وان تقدم للقارئ ما هو مفيد وفاتحة لدراسات جديدة لها رؤية خاصة ومنصفة لذلك الشعب الذي بنى أعظم حضارات الحوض الغربي للبحر المتوسط في العصور القديمة والتي لم يوفها الكتاب حقها حتى الآن . راجيا من الله ألعلي القدير التوفيق .

المؤلف...

الفصل الأول

الفينيقيون وغرب البحر المتوسط

المبحث الأول

الحضـــور الفينيقـــي الإغريقـــي فـــي غـرب البحـــر المتوســـط

- البحر المتوسط كمسرح للنشاط التجاري
- الحضور الفينيقي في غرب البحر المتوسط
- أهم المراكز الفينيقية .
- الإغريق و غرب البحر المتوسط .

الحضور الفينيقي الإغريقي في غرب البحر المتوسط

البحر المتوسط كمسرح للنشاط التجاري :

يقع البحر الأبيض المتوسط بين ثلاث قارات رئيسة من قارات العالم الخمس، حيث تشكل أفريقيا شواطئه الجنوبية، وتحده من الشرق قارة آسيا، أما من الشمال والغرب فتحده قارة أوروبا، وهو يعتبر بحراً مغلقا حيث لا يتصل بالبحار والمحيطات الأخرى إلا عبر ممرات ضيقة، فيتصل بالبحر الأحمر في الجنوب عبر قناة السويس، ويتصل بالبحر الأسود في الشرق عبر مضيقي البسفور والدردنيل، وفي الغرب يتصل بالمحيط الأطلنطي عبر مضيق جبل طارق، هذه الممرات جعلت منه بحرا مغلقا بعيداً عن الكتل الهوائية المسببة للعواصف والأنواء وهو بذلك يعتبر من أهم بحار العالم لخلوه من التيارات البحرية القوية[1] وتصب فيه مجموعة من البحار الصغيرة موفرة له خلجانا ملائمة لرسو السفن وإبحارها مثل :بحر إيجة ، وبحر الأدرياتيك، والبحر التيراني أو"البحر التيرهيني".

وينقسم البحر الأبيض المتوسط إلى حوضين شرقي وغربي تفصلهما أشباه جزر تكاد تكون متصلة تمتد من تونس في الجنوب إلى ايطاليا مرورا بصقلية[2]، وبنظرة سريعة على الحوض الشرقي منه الذي يضم بحر إيجة نجد أنه يضم عدداً كبيراً من الجزر المتناثرة يصل عددها إلى أربعمائة وثمانون جزيرة "480" تقريبا[3] وبذلك فقد مثلت شواطئها مرافئ مناسبة

---

(1) الناصري، سيد أحمد علي، تاريخ الرومان من القرية إلى الإمبراطورية ، دار النهضة العربية، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي ، القاهرة 1976م ص7.

(2) الجوهري، يسري ، جغرافية البحر المتوسط، منشأة المعارف بالإسكندرية 1984م ص9.

(3) جندي، إبراهيم عبد العزيز، معالم التاريخ اليوناني القديم، ج1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة 1999م ص58.

للسفن والمراكب التي تجوب المنطقة، كما أن هذه الجزر تساعد على حركة السفن خاصة في العصر القديم نظرا لقربها من بعضها، حيث يمر المركب من جزيرة إلى جزيرة في مياه ليست بالعميقة ويستطيع الانتقال بين شواطئ البحر المتوسط دون الدخول في المياه المفتوحة، فالمتجه غربا من جزيرة قبرص يتنقل عبر الجزر اليونانية حتى يصل إلى الجنوب الايطالي فجزيرة صقلية عبر ما يعرف بالطريق الشمالي، والمتجه جنوبا يستطيع الوصول إلى بلاد وادي النيل عبر جزيرة كريت، أما المتجه شرقا فانه يسير عبر هذه الجزر حتى مضيق البسفور[1]. ومن هنا فقد شكلت هذه الجزر نقاط انطلاق للسفن التجارية منذ القدم، والسفن المتجهة غرباً تنطلق من جزيرة إلى جزيرة حتى تصل جنوب ايطاليا دون عناء أو مشقة فتجد نفسها قد بلغت الحوض الغربي عبر مضيق مسينا.

أما جزئه الغربي فإنه كذلك يحوي جزراً مختلفة تملؤه شمالاً وجنوباً مما يسهل حركة الملاحة فيه فضلاً عن خلوه من الشعاب المرجانية التي تعيق حركة السفن، فهو يضم من الشرق إلى الغرب بالإضافة إلى جزيرة صقلية ، جزر ليبارى وجزيرة كورسيكا وجزيرة سردينيا وجزر البليار [2]. وبذلك فقد كانت حركة السفن فيه لا تعترضها صعوبات تذكر، أما عن مناخه فإنه ملائم جداً لحركة السفن التجارية حيث لا توجد به التيارات البحرية العنيفة كما إنه يتمتع بعدم مرور الكتل الهوائية المدارية إليه التي تؤثر على درجات الحرارة وتسبب حدوث العواصف والأنواء التي من شأنها أن تحد من حركة السفن، وقد ساعدت بعض التيارات الهوائية الخفيفة في تسيير حركة الملاحة، فقد كان في الجزء الشرقي يتعرض لتيار هوائي في فصل

---

(1) توينبي،أرنولد ، تاريخ الحضارة الهللينية ، ت: رمزي جرجس ، مراجعة:صقر خفاجة، مكتبة الأسرة، القاهرة 2003 ص44-45.

(2) Lloyd. W. Watkiss, History of Sicily to The Athenian war, London, John Murray, Albemarle Street 1872 P3.

الصيف يأخذ اتجاه الشمال الغربي مما يساعد على اندفاع السفن من الساحل الفينيقي باتجاه الجزر اليونانية [1] ، بينما يتعرض جزئه الغربي إلى تيارات بحرية خفيفة بين فصل الخريف والربيع تتجه باتجاه الشرق تساعد على حركة السفن التجارية [2]. (الشكل1) .

أما عن الناحية البشرية فإن شواطئ البحر المتوسط الطويلة التي تصل إلى حوالي3800 ك.م تقريباً [3]، فقد ضمت العديد من الأجناس والأعراق التي استطاعت أن تعبره شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً بفضل المزايا التي تحدثنا عنها حيث ساعد هذا التنوع الجغرافي والبشري على نمو حركة التجارة فيه وتبادل السلع والبضائع التي اختلفت حسب اختلاف أقاليمه، فنقلها التجار بين هنا وهناك وشكلت شعوبه سوقاً رائجة لتلك البضائع فكانت بلدانه يكمل كل منها الآخر ، ومن هنا نجد أن طبيعة وتنوع هذا البحر قد ساهمت بشكل فاعل في نمو حركة الملاحة فيه وازدهار الحركة التجارية بين شعوبه منذ القدم وكان الفينيقيون خير رواد قاموا بهذه الحركة وخير من مارس التجارة عبر خطوطه الملاحية وارتاد شواطئه المختلفة ووصل بين شعوبها .

---

(1) الجوهري، يسري، المرجع السابق ص24.

(2) المرجع نفسه ص25.

(3) المرجع نفسه.

الحضور الفينيقي في غرب البحر المتوسط

ليس من السهل علينا تحديد بداية الوجود الفينيقي في الحوض الغربي للبحر المتوسط بدقة، وذلك لتناهيه في القدم وغياب الادلة الأثارية الدالة عليه، فقد شكلت منطقة غرب البحر المتوسط منطقة جذب للجماعات البشرية الآتية من الشرق منذ القدم، حيث يرى أغلب المؤرخين أن بداية الحضور الفينيقي فيها مثلت نقطة بداية تحول في تاريخها، خاصة على الساحل الجنوبي للبحر، أو ما نعرفه بمنطقة المغرب القديم ، فهو يمثل بدايةً للعصر التاريخي فيها ونهايةً للعصور الحجرية، فقد كان سكان المنطقة يعتمدون على الرعي والزراعة في حياتهم اليومية المنتمية لمرحلة العصر الحجري الحديث، إلى أن جاءت السفن الفينيقية من الشرق ورست على مقربة من الشواطئ المغربية المطلة على البحر الأبيض المتوسط، وبدأت المحاولات للتفاهم بين الطرفين[1] ، أما في الشمال "جنوب غرب إسبانيا وجنوب إيطاليا" فقد مثل نقلة مهمة في حياة تلك الشعوب بقدوم حضارة جديدة من الشرق ساهمت بشكل كبير في تقدمها ورقيها، فعرفوا من خلالها وسائل المعيشة الجديدة كطرق التعدين وصناعة الملابس مثلا. ولمعرفة بداية الحضور الفينيقي – ومع غياب الأدلة القاطعة حول هذا الموضوع – فقد انقسم الباحثون إلى فريقين: فريق اعتمد على الدليل المادي المتمثل فيما نحصل عليه من خلال الحفريات الآثارية والتي لم يعثر فيها حتى الآن على ما هو أبعد من القرن الثامن ق.م في منطقة المغرب القديم [2]، وبالتالي فهم يقولون: إن وجود الفينيقيين في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط لا يتجاوز القرن الثامن أو القرن التاسع ق.م على أبعد تقدير. أما الفريق الآخر فإنهم يعتبرون أن ما ورد في المصادر الكلاسيكية والأدبية من أخبار وروايات لا

---

(1) الناضوري، رشيد، تاريخ المغرب الكبير، العصور القديمة، دار النهضة العربية، بيروت8119 – ص 154.

(2) الميار، عبد الحفيظ فضيل، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، سلسلة الدراسات التاريخية "53"، طرابلس 2001ف ، ص103.

يمكن الاستغناء عنها، بل يعتبرونها المفتاح الرئيسي لمعرفة بداية تاريخ ذلك التواجد في غرب البحر المتوسط[1]. وأهم هذه المصادر كتابات المؤرخين القدامى أمثال : هيرودوت، سترابون، ثيوكديديس، ديدورس الصقلي، بليني، أوغسطين... الخ. هذا بالإضافة إلى ما ورد في الكتاب المقدس ، وكذلك ما يمكن استخلاصه من حقائق من خلال ما تقدمه الملاحم والأساطير والأشعار والشواهد الدينية، وأصحاب هذا الاتجاه يحددون فترة الوجود الفينيقي في المنطقة بالقرن الثاني عشر ق.م، وذلك من خلال تأسيس مدينة "قادش" في جنوب غرب إسبانيا في 1110 ق.م[2]. وإذا ما ألقينا نظرة فاحصة على الرأيين كُل على حده، فإنه لابد لنا من ترجيح أحدهما على الآخر في تتبع الحضور الفينيقي في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

إن الرأي القائل بالدليل الأثاري - على الرغم من أنه يستند إلى أدلة ملموسة لا يمكن الطعن فيها, أو رفض التواريخ التي يقدمها، أو دحض معلوماته - لا يمكن الاعتماد عليه بشكل كامل ورفض ما سواه، وذلك بالنظر لجملة من الأسباب أهمها: عدم اكتمال الحفريات الأثرية التي تحدد لنا تاريخ أقدم المستوطنات الفينيقية، واختفاء الكثير منها، وتدمير بعضها، حيث يذكر لنا استرابون في كتابه السابع عشر بأنه: " يقال: إن هناك مستوطنات لأهل تيروس "صور" وهي الآن تكون صحارى، وهي لا تقل عن ثلاثمائة مدينة، وقد دمرها الغارسيون والنغريتيون، ويقولون: إن هؤلاء الأقوام يبعدون عن لينغيس بمسافة ثلاثين يوما" [3] ، وهذا يعني أن الكثير من المدن الفينيقية في المنطقة قد زالت، ولا يعرف مكان وجودها حتى الآن . هذا

---

(1) المرجع نفسه - ص104.

(2) Moscati ,S, " colonization of mediterrianean" ,in Sabatino Moscati, The phoenicians I.P.Tauries Publishers,London,New york, 2001,P.47.

(3) أسترابون، مصادر التاريخ القديم ، الكتاب السابع عشر من جغرافية أسترافون "استرابون"، وصف ليبيا ومصر ، نقله عن الاغريقية:د.محمد المبروك الذويب ، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي - 2001ف-فقرة 3-ص58

فضلا عن قيام المدن الحديثة على أنقاض مدن قديمة استمراراً للتطور العمراني والبشري، مما جعل من الصعوبة بمكان إقامة الحفريات اللازمة التي تحدد تواريخ إنشاء المدن القديمة، وخير مثال على ذلك نجده في مدينة "كاديس" التي شيدت على أنقاض مدينة "قادش" القديمة(1). وقد كان لاختيار الفينيقيين لمواقع مدنهم دور بارز في تطور تلك المدن، أو إنشاء مدن جديدة عليها في العصور اللاحقة، فقد كان الفينيقيون يقيمون مدنهم على أفضل المواقع الإستراتيجية، وأخصب الأراضي الزراعية، حيث نجد - على سبيل المثال لا الحصر - أن مدينة " عتيقة" كانت قد أسست على أخصب الأقاليم في منطقة المغرب العربي الحديث، حيث يجري نهر مجردة ، وهي تنتج أجود أنواع القمح، والخمور، والزيوت التي كانت متوفرة بكثرة في تلك الهضاب مع جودتها العالية(2). فإذا ما أردنا تحديد زمن نشأة تلك المدن بدقة، علينا إزالة المدن الحديثة، والقيام بحفريات على أنقاضها ، يضاف إلى ذلك أن مدناً أخرى معروفة لدينا دمرت تدميراً كاملا، كمدينة "قرطاجة" مثلا ، التي دمرها الرومان وأحرقت بكاملها عام146 ق.م، ثم أقيمت على أنقاضها قرطاجة الرومانية، مما يجعل معرفة تاريخ تأسيسها شيئاً صعب المنال إن لم يكن مستحيلا، وهذا ينسحب على كثير من المدن الفينيقية في" شمال إفريقيا الحالية " فيقول سترابون" وكثير من هذه المدن قد اختفى نهائياً، وبعض منها قد هُجرت وتركت نصف مدمرة، أما "فارا" فقد أحرقها فرسان سكيبيون" (3)، وهذا يبين لنا أن هناك مدناً أخرى غير معروفة الموقع حتى الآن .

من خلال ما تقدم ، فإنه ليس بالإمكان اعتماد هذا المنهاج، والأخذ بهذا

---

(1) تسيركين ، يولي بيركوفيتش،الحضارة الفينيقية في إسبانيا ، ت: يوسف أبي فاضل، مراجعة : ميشال أبي فاضل، جروس برس ، بيروت 1988ف ص45 .

(2) Rawlinson, M.A.George, Phoenicia , T. fisher unwin , paternoster square-new york: G. P. putnem's sons. ,1853، P.66

(3)" استرابون، المصدر السابق، ف:12 - ص65 .

الاتجاه ورفض الآراء الكلاسيكية؛ لأنه لا يمكننا الوصول من خلالـــه إلـــى الحقيقة كاملة للأسباب التي أوردنا بعضاً منها على سبيل التدليل لا الحصر. أما رأي الفريق الثاني والذي يعتمد على المصادر الكلاسيكية في دراسته فهو الأكثر ترجيحا في هذا البحث لتتبع الحضور الفينيقي في المنطقة موضـــوع دراستنا، بعد محاولة التمحيص والتدقيق للمعلومات التي نحصل عليها مـــن خلال المقارنات والتحليل الموضوعي لها، والإستدلال بالـــشواهد الأثاريـــة المكتشفة حديثاً، خاصة وأن تلك الأدلة التي تظهر بين الحين والآخر أثنـــاء الحفريات تقترب شيئاً فشيئاً مما أوردته تلك المصادر ، فقـــد كـــان "جُعْـــل" بسماتيك الأول والذي يعود إلى النصف الثاني من القرن الـــسابع ق.م هـــو الأقدم بالنسبة للوجود الفينيقي في إسبانيا، ثم ظهرت بعد ذلك مكتشفات جديدة دلت على ذلك الوجود خلال القرن التاسع ق.م[1] ، وهذا مـــا يـــرجح هـــذا الاتجاه في هذا البحث، ويدفعنا إلى الأخذ به كأساس لإقامة الحفريات الأثرية التي تعطينا الدليل المادي لتلك التواريخ.

يبدأ تاريخ الحضور الفينيقي في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط مع نهاية القرن الثاني عشر ق. م حسب المصادر الكلاسيكية، وذلك بتأســيس "قادش" في إسبانيا، و"عتيقة" في "تونس الحالية" ، ومدينـــة "ليكـــسوس" علـــى الساحل المغربي على المحيط الأطلسي التي يذكر أنها أسست قبـــل المـــدينتين السالفتي الذكر[2]. وإذا ما سلمنا بهذا التاريخ، فإن هذا يقودنا إلى إرجاع معرفة الفينيقيين لهذه المنطقة إلى ما قبل ذلك بفترة من الزمن، قـــد تكـــون ليـــست بالقصيرة ، حيث إن تأسيس هذه المدن والمراكز لا يمكن أن يـــأتي مباشـــرة عقب وصول التجار والمكتشفين، فلا بد لهم من الارتياد واختيـــار الأمـــاكن الملائمة لإقامة مراكزهم التجارية، ناهيك عن إنشاء المدن الرئيـــسة، خاصـــة

(1) تسيركين ، يولي بركوفيتش ، المرجع السابق ، ص45

(2) عصفور ، محمد أبو المحاسن ، المدن الفينيقية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1981م ص45

وأن الوجود الفينيقي قد اتسم بالطابع التجاري فقط في بادئ الأمر. وعليه فمن الخطأ اعتبار أن تأسيس تلك المدن كان بداية لوجودهم؛ لأن ذلك إنما ينشأ عن وجود يكون لازما لدراسة المناطق وأهميتها الاقتصادية وحتى الجغرافية، ومدى ملاءمتها لتأسيس المستوطنات، فضلا على أن المدن لا تقوم إلا عبر تدرج سكاني، حيث تبدأ على هيئة محطات، ثم مراكز، فمستوطنات، ثم تتطور إلى أن تصبح مدنا كبيرة، كما أنه ليس من الصواب أن نعتقد أن جماعات جاءت من شرق البحر المتوسط وأسست لها مدنا في غربه هكذا دفعة واحدة.

ومن الجائز أن تكون هذه الجماعات قد لاقت رفضا من قبل السكان المحليين عند استيطانها الجديد، وقد يكون في تأسيس مدينة "قادش" دلالة على ذلك، فقد ذكر "تسيركين" أن تأسيسها قد مر بثلاث محاولات[1] مما يشير إلى أن هناك مقاومة من قبل السكان المحليين لإنشاء تلك المدن. وفي اسم مدينة قادش أو قادير "التحصين" إيحاء بوجود مثل تلك المقاومة حيث تحصن الفينيقيون في ذلك الموقع واشتقوا منه اسم مدينتهم على ما يبدو. ألا تحتاج هذه المحاولات إلى مجهود حربي يتمثل في تزويد المؤسسين بالسفن والجنود، وتوفير محطات كبيرة لإعادة تجهيز هذه الحملات وورش لإصلاح السفن المعطوبة أثناء المعارك وتزويدها بالمؤن اللازمة.

نعم إن هذا المجهود الحربي يتطلب وجود مستوطنات ومراكز كبيرة تقوم به، إذ لا يعقل أن تقوم مجرد محطات تجارية بمثل هذا العمل، فكان لابد من تواجد فينيقي قوي في منطقة غرب البحر المتوسط يسبق القرن الثاني عشر ق.م يتمثل في المستوطنات والمراكز التجارية على طول الساحل الشمالي الغربي لأفريقيا والجزر المتناثرة في البحر استخدمت في تمويل تأسيس المدن فيما بعد، ويفترض أن يكون الفينيقيون قد وطئوا أرض "ترشيش"(*) في وقت سابق لبناء

---

(1) تسيركين،بولي بركوفيت، المرجع السابق ص47.

(*) هي بلدة تقع على الشواطئ الغربية للبحر الأبيض المتوسط ولا يعرف مكانها بالتحديد ، ومن المرجح

مستوطناتهم هناك، وهذا ما تشهد عليه رواية ديودورس الذي يروي أن الفينيقيين كانوا يبادلون سلعهم بالفضة، وقد مارسوا تلك التجارة لفترة طويلة، قاموا بعدها ببناء مستوطناتهم العديدة في صقلية والجزر القريبة منها، وليبيا وسردينيا وايبريا أي إسبانيا" [1]. ومن خلال ما يذكره هذا الكاتب يتضح لنا أن فترة القرن الثاني عشر ق.م لم تكن بداية ظهور الفينيقيين في غرب البحر المتوسط وإنما هي بداية سيطرتهم على المنطقة التي تُوّجت بإنشاء المدن على مختلف سواحله، ومن ثَمَّ اعتباره مجالا حيويا لهم، ومع أن "موسكاتي" يخلص إلى القول: بأن المتاجرة لا تعني بالضرورة وجود مستوطنات، حيث يقتصر الأمر على إيجاد موانئ تقوم على استقبال السفن وإعادة شحنها [2] ، إلا أنه عندما يصل الأمر إلى حد إنشاء المدن، فإن ذلك يعني أنه قد سبقها استيطان في الأماكن التي تنشأ فيها تلك المدن، ولا يمكن إنشاؤها هكذا طفرة واحدة بمجرد اكتشاف تلك المناطق. ومما يؤكد معرفة الفينيقيين المبكرة لغرب البحر المتوسط وجود تمثال صغير من البرونز يمثل أحد الآلهة في ساحل سيلينوس، تعود صناعته إلى القرن الرابع عشر أو الثالث عشر ق.م [3]. وعلى الرغم من أن نفراً من المؤرخين يعزون وجود ذلك التمثال إلى أنه قد جلبه بعض التجار المسينيين، إلا أن ذلك مشكوك فيه، حيث لم يثبت – قط – أن المسينيين قد تأثروا بالديانة الفينيقية، ولذلك فإن من أحضره لم يكن للتجارة أو للزينة، وهذا ما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن الفينيقيين كانوا يجوبون تلك المناطق في فترة سابقة لذلك التاريخ.

أما الحديث عن مدينة صور كرائدة للاستيطان الفينيقي في غرب البحر المتوسط – حيث إنها ظهرت كزعيمة للمدن الفينيقية في الشرق بعد

أنها تقع في أسبانيا الحالية ، اشتهرت في القديم بوفرة الذهب والفضة والقصدير والحديد وبعض المعادن الأخرى .

(1) Diodorus, v11.35.111.5.

(2) أبو رونية ، الشاذلي ، محمد الطاهر ، قرطاجة البونية "تاريخ حضارة" ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، 1999–ص76.

(3) Moscati,S., colonization of mediterraneen ,op . cit .P 48

سقوط مدينة صيدا، وكان ذلك عقب غزوات شعوب البحر، وأن حركة التوسع قد نسبت لها في القرن الثاني عشر ق.م[1] واعتبار ذلك دليلا على بداية الحضور الفينيقي هناك، فإن هذا الدليل لا يمكن الأخذ به، وهو لا يعدو أن يكون عائدا إلى مؤرخي تلك الفترة الذين نستقي منهم معلوماتنا، والذين هم إما أن يكونوا إغريقا أو لاتين، وهؤلاء عندما ظهروا على مسرح الأحداث لم يجدوا أمامهم سوى مدينة صور كقوة تجارية بحرية في تلك الفترة حيث انهارت فيها الحضارة الكريتية، وبدأت تتشكل فيها دولة المدينة الإغريقية، وبذلك نسبوا لها كل ما هو فينيقي، خاصة وأن المستوطنين الفينيقيين في غرب البحر المتوسط قد لجأوا لها في أوقات الأزمات[2] ، وتغنوا بها كحام لهم حيث كانوا يعيشون في وسط غريب عنهم، وبذا فقد مثلت "صور" للفينيقيين في العالم القديم ما مثلته الدولة العثمانية للعالم الإسلامي في مطلع التاريخ الحديث، حيث يسمى المسلمون" بالإمبراطورية العثمانية[*] ، على الرغم من أنها لم توسع حدود الدولة الإسلامية إلا في الشمال الشرقي، ولكنها أصبحت محط أنظار المسلمين وانضووا تحت لوائها.

أما المصدر الثاني والذي ساهم بشكل فعال في إبراز "صور" كمؤسس رئيس للمستوطنات الفينيقية في غرب البحر المتوسط فهو "الكتاب المقدس"، حيث عاصرت الدولة العبرية عند نشأتها في القرنين العاشر والتاسع ق.م مدينة صور, وأقامت معها علاقات ودّ وصداقة وصلت إلى حد الشراكة التجارية [3] ، خاصة على عهد النبي داود وابنه سليمان الحكيم، فكانت سفن سليمان ترافق سفن "حيرام" ملك صور إلى قادش وترشيس لجلب المعادن من هناك، ولم

---

(1) الناضوري ، رشيد ، المرجع السابق ، ص 161.

(2) Warmengton, B. .H. ,Carthage., Robert Hale, campany, publishers, cecond. Edition, 1969-P.21.

للمزيد انظر: محمد كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية.

(•) Ibid .P 24

(3) مهران, محمد بيومي ، المغرب القديم ، د ار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1990م ص 173

يعرف كُتَّاب الكتاب المقدس المستوطنات الفينيقية في الغرب إلا فترة زعامة صور للفينيقيين وبروزها كقوة رئيسة في الشرق[1] ، فقد جربت صور بشكل ما السيطرة على المدن الفينيقية في الساحل الشرقي بما فيها مدينة صيدا في زمن أقوى ملوكها "حيرام" الذي أنشأ علاقات حميمة مع العبراني داود ومن بعده ابنه سليمان، وبذلك فقد اعتبروها هي المؤسس الفعلي للوجود الفينيقي في الغرب، ومن هنا فقد درج أغلب المؤرخين والعلماء الأثاريين على أنه من مدينة صور بدأ الحضور الفينيقي في غرب البحر المتوسط، ولكن المرجح أن ذلك قد سبق زعامة صور بفترة كافية سبقت القرن الثاني عشر ق.م ، وأن الفترة التي أعقبت غزوات شعوب البحر كانت في الواقع هي إحكام السيطرة الفينيقية على المنطقة، فمن الجدير بالذكر أن هناك عناصر فينيقية أخرى غير صور قد اشتركت في ارتياد المنطقة وتأسيس المستوطنات، وعلى رأس هذه العناصر كان الصيدونيون, حيث نجد أن هناك تبادلا للتسميات في الغرب، فمرة يذكرون على أنهم الصوريون ومرة يذكرون على أنهم الصيدونيون[2]. وعليه لايوجد تناقض أو اختلاف في النصوص طالما أن الصوريين هو تعبير يستخدم كثيراً للدلالة على مهاجرين من صور هم الذين قاموا بتأسيس المستوطنات الفينيقية في الحوض الغربي من البحر المتوسط. [3]

دوافع التوسع الفينيقي:

أصبحت منطقة غرب البحر الأبيض المتوسط مقصداً لشعوب الشرق الأدنى خلال النصف الثاني من الألف الثانية ق.م، حيث تدافعت عليها هجرات مختلفة من تلك المنطقة، كان أهمها الهجرة الاتروسكية التي استقرت

(1)Warm ington. B. H , o p . cit p21 ‘

(2) الناظوري رشيد ، المرجع السابق ، ص 161 .

(3) الميار ، عبد الحفيظ ، المرجع السابق ، ص 109-113.

في وسط وشمال ما يعرف الآن تحت اسم إيطاليا[1] , ثم التوسع الإغريقي من شبه جزيرة البلقان غرباً حتى وصل إلى جنوب إسبانيا، والأهم من ذلك كله كان الانتشار الفينيقي الذي شمل معظم منطقة غرب البحر المتوسط، حيث شمل جزيرة صقلية وجزيرة سرد ينيا، وجزر البليار، وجنوب وجنوب غرب إسبانيا، وكانت له السيطرة التامة على ما يعرف بمنطقة المغرب القديم[2] وبذلك كادت منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط أن تصبح بحيرة فينيقية، خاصة في العصر القرطاجي، تلك الحالة التي استمرت حتى منتصف القرن الثالث ق.م تقريبا. ولكن يا ترى ما هي الأسباب التي كانت وراء ذلك الانتشار الواسع في المنطقة؟ وللإجابة عن هذا السؤال لابد لنا من معرفة الظروف التي أحاطت بالشعب الفينيقي في موطنه الأصلي ودفعت به إلى موطنه الجديد، ويمكن تصنيف ذلك الانتشار إلى مرحلتين هما :

مراحل التوسع:

مرحلة الارتياد والكشف وتاسيس المراكز:

وهي تمثل المرحلة الأولى من الحركة الفينيقية باتجاه الحوض الغربي للبحر المتوسط، وتكاد تكون دوافعها اقتصادية صرفة، فقد كان لموطن الفينيقيين على الساحل الشرقي لهذا البحر الأثر البالغ في تحديد نشاطهم الاقتصادي[3]، حيث إن الرقعة التي سكنها الفينيقيون تتسم بالطابع الجبلي وضيق المساحة القابلة للزراعة، مما جعلها لا تفي باحتياجاتهم من المواد الغذائية، خاصة بعد

---

(1) نصحي ، إبراهيم ، تاريخ الرومان منذ أقدم العصور حتى 133ق .م ، ج1، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب ، دار النجاح ، بيروت،1971ف ، ص48 .

(2) العسلي، بسام ، هانيبال القرطاجي (247-183 ق.م)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 8019 م ص26 .

(3) كونتنو , ج ، الحضارة الفينيقية ، ت: محمد الهادي شعيرة ، مراجعة : طه حسين، شركة مركز كتب الشرق الأوسط –قصر النيل ، 1948م ص27 .

النمو السكاني الذي شهدته المدن الفينيقية[1]، يضاف إلى ذلك سيطرة شعوب أخرى كالآراميين والاموريين والفلسطينيين والعبرانيين على المناطق الداخلية لذلك الساحل، لذا وجد الفينيقيون أنفسهم يعتمدن على ركوب البحر ويمتهنون حرفة صيد الأسماك والأصداف البحرية، ويرتادون شواطئ الجزر الغربية منه للبحث عن مصدر رزقهم [2] لذلك فقد اتسم نشاطهم الاقتصادي بالطابع التجاري أكثر من أي لون آخر، فمارسوا التجارة منذ بداية عهدهم، واتصلوا بالشعوب المجاورة لهم وتاجروا معها مثل: قبرص ومصر وكريت، وامتدت تجارتهم شرقا إلى بلاد الرافدين، وكانت أخشاب الأرز المتوفرة لديهم أهم ما يصدرونه، بالإضافة إلى بعض الصناعات المحلية كالنسيج والزجاج والقطن, ويجلبون إلى مدنهم مختلف البضائع التي يحتاجون إليها[3].

وبما أن منطقة الشرق الأدنى كانت لا تنعم بالاستقرار الدائم نظرا لكثرة الصراعات الدائرة فيها ، فضلا عن عمليات المد والجزر التي كانت تحدث بين الدولة الفرعونية في مصر وممالك الشرق الأدنى حول الاستيلاء على منطقة بلاد الشام، خاصة في عهد الدولة الحديثة جعل العملية التجارية غير مأمونة في هذه المنطقة، لذلك اتجه الفينيقيون إلى الغرب الذي كان خاليا من تلك القوى المتدافعة والأكثر أمانا لممارسة التجارة وجلب المواد اللازمة لصناعاتهم، فاتجهوا عبر قبرص وكريت وجزيرة رودس ثم الجزر اليونانية الأخرى، وما لبثوا أن بدأوا في تأسيس المحطات اللازمة لنشاطهم في المناطق التي وصلوا إليها [4] مستفيد ين من قرب المسافة بين الجزر التي كان يعج بها البحر

---

(1) مهران ، محمد بيومي، المرجع السابق ص171.

(2) عصفور ، محمد أبو المحاسن، المرجع السابق ص 53 .

(3) J,Alfred .Church . M . A , Carthage or The Empire of Africa , T. fisher unwin , New york,G.P.Putnam`s sons, 1886، P 10.

(4) الناضوري ، رشيد،المرجع السابق ص 156ص 157.

المتوسط، حتى وصلوا إلى جزيرة صقلية في جنوب إيطاليا، ومنها انطلقوا إلى غرب البحر المتوسط ، حيث مارسوا التجارة مع شعوبه، والتي أطلق عليها هيرودوتس "التجارة الصامتة"، تلك التجارة التي كانت باعثا رئيسا لحركتهم باتجاه الغرب، ومن المرجح أن ذلك قد حدث في حوالي 1400 ق.م عند دمار الحضارة المينوية، وتدهور الحضارة المصرية الذي فتح الباب أمامهم على مصراعيه، تلك التجارة التي أن أصبحت أكثر إلحاحا نتيجة للتفاعلات التي حدثت في الشرق، حيث ظهرت الحاجة الماسة للمعادن كالذهب والفضة والقصدير[1] الذي كانت الدول تتسابق للحصول عليه ، كما تفعل الدول في الوقت الحالي في التنافس في الحصول على النفط ، خاصة لدى إمبراطوريات الشرق الأدنى، ويظهر ذلك جليا من خلال طلبها المتكرر لمعدن الذهب من الدولة الفرعونية. وبالنظر لموقع الفينيقيين الجغرافي فقد أصبحوا مؤهلين أكثر من غيرهم لجلب تلك المعادن التي كانت متوفرة في الغرب، حيث كان موقعهم يمثل نقطة التقاء الطرق التجارية في العالم القديم، وهو حلقة الوصل بين شعوب الشرق الأدنى القديم وبين كريت وقبرص ووادي النيل، وبذا كانوا الوسطاء بين الشرق مركز الطلب، والغرب مصدر العرض [2]، وقد انتعشت هذه التجارة في كثير من الأحيان تحت سيطرة بعض الإمبراطوريات القوية التي حكمت الشرق كالآشوريين مثلا حيث نظموا البلاد السورية، وقضوا على الفوضى فيها، ونشروا الأمن عبر الطرق الآتية من الشرق وفتحوا أمام الكثير من البضائع التي أخذها الفينيقيون معهم وبادلوها مع شعوب غرب البحر المتوسط بالمعادن التي كانوا يرغبون في الحصول عليها،خاصة وأن تجارتهم كانت تعتمد نظام المقايضة ولم تكن تعرف التعامل

---

(1) وارمنجتون ، ب ، ، العصر القرطاجي، تاريخ أفريقيا العام ـج 2،حضارات أفريقيا القديمة 1985م ص 454.

(2) سارتون ، جورج ، تاريخ العلم، ت : محمد خلف الله وآخرون ، ط 4، دار المعارف ، القاهرة 1979م ص 239

بالعملات، وبذلك نجد أن التجارة كانت الحافز الأول لـدفع الفينيقيـين باتجـاه الغرب، وأن العامل الاقتصادي قد شكل الدافع الرئيس خلال هذه المرحلـة، وإن كان في بادئ الأمر بسيطاً اقتصر على مبادلة منتجاتهم المحلية بالبضائع التـي يحتاجونها من البلدان الأخرى، ولكن ذلك ما لبث أن تطور جراء الدور الـذي قاموا به بين شرق المتوسط وغربه، بعد أن أصبحوا يسيطرون علـى تجـارة المعادن التي ظهرت صناعتها في وقت مبكر لدى الحيثيين والتي تعـود إلـى النصف الأول من الألف الثانية ق.م، فقد عرفوا طرق التقنيـة اللازمـة لتلـك الصناعة فيما بين1600 – 1800 ق.م [1]، وقد اشتهر الفينيقيون بهـذه التجـارة، وذهبوا في سبيلها إلى أماكن بعيدة لم تكن معروفة من قبل لديهم ، وصلت فيهـا سفنهم إلى بلاد ترشيش في أقصى الغرب كما يروى فـي الكتـاب المقـدس ، وعادت محملة منها بالفضة والقصدير [2]، ونتيجة لذلك بنوا سفنا جديدة ضخمة وطوروا السفن القديمة، وأدخلوا عليها تقنيات جديدة فاسـتخدموا القـار لطلـي غواطس السفن لسد الشقوق، وتقوية الغـاطس بداعمـة الـصالب[3], وبـذلك استطاعت تلك السفن القيام برحلاتها على أكمل وجـه، واسـتطاع الفينيقيـون الوصول إلى منطقة غرب البحر المتوسط وأنشأوا المحطات والمراكز التجارية على طول شواطئه الجنوبية والشمالية على حد سواء، بل وصلوا إلى المحـيط الأطلنطي خلف أعمدة هرقل، ومنه انطلقوا إلى جزر القصدير[*].

---

(1) والنتون ، رالف، شجرة الحضارة ، ح 2،ت :احمد فخري ، مكتبة الأنجلـو المـصرية ، مطـابع دار الكتاب العربي مصر، 1955م ص 300.

(2) الكتاب المقدس ، سفرحزقيال ، الإصحاح 27–ف 12.

(3) تسيركين ، يولي بركوفيتش، المرجع السابق ص 25 .

(*) أطلق هذا الاسم علي ما تعرف اليوم بالجزر البريطانية وقد سميت بهذا الاسم لتوفر معـدن القـصدير فيها بكثرة ونظرا لكثرة الطلب علية فقد كان الفينيقيون يأتون به من هناك .

مرحلة الهجرة والاستيطان :

وتعتبر هذه المرحلة هي الأهم في التاريخ الفينيقي في غرب البحر المتوسط ، لقد بدأت هذه المرحلة مع نهاية القرن الثاني عشر ق.م، وهي البداية الفعلية لتكوين إمبراطوريتهم في الغرب، والتي عرفت في التاريخ بالإمبراطورية القرطاجية، ففيها تم إنشاء المدن، وفيها أصبحت لهم السيادة في الحوض الغربي للبحر المتوسط(1)، وقد اختلفت عوامل الهجرة ودوافعها في هذه الفترة، فلم يعد الدافع الاقتصادي وحده هو الذي يحرك الفينيقيين من الشرق إلى الغرب، بل طرأت عوامل أخرى كان لها بالغ الأثر في هجرتهم، وتوسيع مستوطناتهم، وتكوين مدنهم في المنطقة، فعلى الرغم من أن أغلب المؤرخين يعدون هذه الفترة بداية الوجود الفينيقي في الغرب إلا أنه – في الواقع – يمكن أن نسميها بداية سيطرتهم هناك، وأن القرن الثاني عشر ق.م يعتبر بداية السيادة لهم.

كان للأحداث التي وقعت مع نهاية الألف الثانية على الساحل الشرقي للبحر المتوسط دور بارز في تشكيل تاريخ المنطقة، فبالإضافة إلى ما كان يجري من تبدلات سياسية في بلاد سوريا، وصراعات بين شعوب المنطقة، وقعت خلال القرن الثاني عشر ق.م غزوات شعوب البحر على الساحل الفينيقي في الشرق، ونتج عن ذلك تحطم القوة الموكينية في جزيرة كريت(2)، مما أدى إلى فسح المجال أمام الفينيقيين للتحرك بقوة باتجاه الغرب، وهي تمثل المرحلة الأولى من الحركة الاستيطانية (3)، كما أنها ألحقت الدمار ببعض مدنهم، مما دفع الكثير من السكان إلى الهجرة إلى غرب البحر المتوسط ، والذي من المرجح أنه كان معروفا لديهم ، وقد كان لطبيعة هذه الغزوات دور في تحديد مسار تلك الهجرة ، حيث شملت أغلب الساحل

---

(1)G Rawlinson 70 M . A , op. cit . P65 ،

(2) توينبي،أرنولد، المرجع السابق ص60-66.

(3) الميار ، عبد الحفيظ، المرجع السابق ص105

الشرقي للبحر المتوسط، بل وغزت بلاد وادي النيل متحالفة مع بعض القبائل الليبية، وهذا ربما ما يفسر لنا عدم وجود آثار لإستقرار فينيقي في منطقة "الجبل الأخضر" الحالية"، رغم قربها من وطنهم الأصلي، وتشابه ظروفها الجغرافية والمناخية معه، كما أنها حاولت مهاجمة وادي النيل من الشرق[1].

أما منطقة بلاد سوريا نفسها فقد ظهرت فيها قوى جديدة نتيجة حركة الشعوب الهندأوربية من الشرق إلى الغرب كالدولة الحيثية التي وقفت بالإضافة إلى الإغريق حائلا أمام التوسع الفينيقي باتجاه آسيا الصغرى، يضاف إلى ذلك الصراعات الدائرة بين الدولة المصرية الحديثة وبعض الإمبراطوريات التي ظهرت في بلاد الرافدين من أجل بسط سيطرتها على سوريا، وتوسيع ممتلكاتها[2]، كل ذلك شكل عامل طرد للفينيقيين الذين ألفوا الحرية، وحاولوا التخلص من فرض أي سيطرة عليهم، كذلك فإن للمد الآشوري الذي جاء فيما بعد أثرا كبيرا في فرض هذه الهجرات التي حدثت، حيث دأب الآشوريون منذ القرن الحادي عشر ق.م تقريبا على محاولة إخضاع البلاد السورية، والوصول إلى البحر المتوسط، فمنذ عهد" تيجلات فلاسر" الأول الذي اعتلى عرش أشور في 1116 ق.م تقريبا، لم يفتر الاهتمام الآشوري بالمنطقة، حيث دخلوا في صراع مع الحيثيين للسيطرة عليها، ولذلك تتابعت حملاتهم، فكانت الحملة الثانية مع بداية القرن التاسع ق.م تقريبا، ثم أعقبتها حملة أخرى في النصف الثاني من نفس القرن، والتي من المرجح أنها كانت السبب المباشر في تحول الصوريين السياسي إلى الغرب، وبداية نشوء إمبراطوريتهم فيه، فيما عرف بتأسيس قرطاجة[3], كما أنه لم يهدأ التهديد الآشوري حتى جاء الغزو الفارسي الذي وصل إلى بلاد

---

(1) باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج2، بغداد، 1973 ص 73

(2) المرجع نفسه ، ص72.

(3) الأشقر، أسد، الخطوط الكبرى في تاريخ سوريا ونشوء العالم العربي،ج1،القسم الثاني، الحضارة الكنعانية السورية في حوض المتوسط، 1980 ص35.

وادي النيل خلال القرن السادس ق.م، هذا فضلا عن عدم الاستقرار الناتج عن الصراع المستمر بين القوى الموجودة بالمنطقة كالعبرانيين والآراميين والفلسطينيين والأموريين التي شكلت بدورها ضغطا مستمراً على الساحل الفينيقي[1]، ومن هنا – وأمام هذه الظروف – لم يجد الفينيقيون في الشرق بُدا من الهجرة والتحول إلى الغرب، يشجعهم على ذلك معرفتهم بالمنطقة ووجود مستوطنات ومراكز تجارية مهمة لهم فيها، إضافة إلى الهدوء الذي كان يسود غرب البحر المتوسط ، حيث لم تكن هناك قوى منافسة لهم في ذلك الوقت ، فأصبحت السيادة لهم، ويعتبر ذلك من أهم العوامل التي كانت وراء قيام الفينيقيين برحلاتهم ، سواء الكشفية منها أو الاستيطانية فيما بعد، والتي نتج عنها كما ذكرنا تكوين إمبراطورية قرطاجة.

أما عن الصراع الاجتماعي الذي يتحدث عنه بعض المؤرخين داخل المجتمع الفينيقي وما نتج عنه من تناحر الأحزاب وحدوث اغتيالات داخل الأسر الحاكمة، ومن ثَم هروب الحزب الارستقراطي [2], فإنه يفتقر إلى الحجة القوية التي تؤيده، وإن الذين قالوا به، إنما بنوا تحليلاتهم هذه انطلاقاً من أسطورة "علَيسة " التي نسجها خيال الكُتّاب الإغريق أعداء الفينيقيين لا أكثر.

ومن ما تقدم يتضح لنا أن بدايات معرفة الفينيقيين بمنطقة غرب البحر المتوسط كانت مبكرة جداً تسبق فترة القرن الثاني عشر ق.م التي حددتها المصادر الكلاسيكية، فهي ربما تعود إلى منتصف الألف الثانية ق.م، وذلك بالاستناد إلى ما ذكرته تلك المصادر، حيث حددت بداية تأسيس المستوطنات بتلك الفترة، وبالتالي تعتبر هي فترة الاستيطان والتواجد المكثف والسيطرة وليست بداية معرفتهم بتلك المنطقة.

---

(1) بورتر، هارفي، موسوعة مختصر العالم القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991–ص98.

(2) العسلي ، بسام ، المرجع السابق ، ص22.

أهم المراكز الفينيقية

ارتبط إنشاء المراكز الفينيقية في غرب البحر الأبيض المتوسط ببداية الحضور الفينيقي في تلك المنطقة، فقد كان لخروج الفينيقيين المبكر من وطنهم الأصلي على ساحله الشرقي باتجاهات مختلفة على شكل رحلات تجارية - خاصة باتجاه الغرب - دور في إنشاء المراكز الفينيقية، حيث استلزم توغلهم ولمسافات طويلة في البحر وجود محطات وموانئ يلجأون إليها للراحة ومعاودة الانطلاق نحو مناطق جديدة، ويمكثون بها عندما تكون الظروف المناخية غير مواتية للإبحار[1]، ولإصلاح مراكبهم عندما تتعرض للعطب، وبذلك ترافق إنشاء تلك المحطات مع بداية المرحلة الأولى من الحضور الفينيقي في غرب البحر المتوسط ، وهي مرحلة الارتياد والاستكشاف، ولم تلبث هذه المحطات أن تحولت إلى مراكز أو أماكن يبقى بها الفينيقيون فترة من الزمن للقيام بتصريف البضائع ومبادلتها مع السكان المحليين بالبضائع المحلية، بعد أن ازداد نشاطهم التجاري على الشواطئ التي وصلوا إليها[2]، ومن ثَم فقد تحول بعض هذه المحطات إلى مراكز تجارية، ثم تطورت إلى أن أصبحت مستوطنات دائمة[3] مع نهاية الألف الثانية ق.م، وقد ساعدهم على إنشاء تلك المراكز أن حضورهم كان من أجل التجارة فقط ولم يكن من أجل التحكم وفرض السيطرة[4]، مما كان له الأثر الأكبر في علاقتهم بالسكان المحليين، حيث رحبوا بهم ولم يرفضوا وجودهم بينهم، فقد جاء هؤلاء الغرباء ببضائع يحتاجها الأهالي وأخذوا مقابلها الذهب

---

(1) مهران ، محمد بيومي، المرجع السابق ص 172

(2) غانم ، محمد الصغير، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر 2003 م ص

(3) رايت، جون ، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور ، تعريب: عبد الحفيظ الميار، أحمد اليازوري ، دار الفرجاني للنشر، طرابلس، ليبيا ، 1972 م ص23 .

(4) المرجع نفسه، ص 24 .

والفضة المتوفرة لديهم، ومن غير المستبعد أن يكون أصحاب البلاد قد ساهموا في إنشاء تلك المراكز وتطورها[1].

جاب الفينيقيون معظم أرجاء البحر الأبيض المتوسط، ورست مراكبهم في أغلب خلجانه ومرافئه الصالحة للرسو، حيث كانت الرحلة الواحدة لا تزيد عن مسيرة يوم واحد تقريبا "تقدر بثلاثين ميلا" تقريبا، وكانت تلك المراكب لا تبتعد كثيرا عن الساحل حتى لا تتعرض للأنواء والعواصف، كما أنها كانت صغيرة الحجم قليلة الارتفاع في بادئ الأمر[2]، ولذلك أنشئت محطاتها على مسافات قريبة من بعضها البعض متخذة ما يعرف بالطريق الشمالي في البحر المتوسط، ربما يساعدها في ذلك كثرة الجزر المنتشرة فيه خاصة في حوضه الشرقي، ومن هنا استطاع الفينيقيون الوصول إلى وسط البحر المتوسط انطلاقا من جزيرة قبرص مرورا بجزيرة كريت فالجزر اليونانية[3]، حتى وصلوا إلى جزيرة صقلية بجنوب إيطاليا، وجزيرة سردينيا، ومنها إلى الساحل الشمالي لإفريقيا، أو ما نسميه بمنطقة المغرب العربي اليوم (الشكل2)، حيث تركز وجودهم في هذه المنطقة، ولم يتوقفوا حتى وصلوا إلى السواحل الأسبانية القريبة، خلف أعمدة هرقل، واستقروا هناك.

إذاً لقد عرف الفينيقيون مختلف أرجاء البحر المتوسط، وأقاموا المحطات في مختلف أنحائه، لكن وجودهم تركز في بعض هذه المحطات بعد أن اختاروها بعناية مراعين في ذلك عدة شروط من أهمها: وجود المياه العذبة، ووجود منطقة صخرية بالقرب منها يرجح أنها من أجل حفر القبور[4]، وفي ذلك إشارة إلى أن اختيارهم لتلك الأماكن كان يراعى فيه إمكانية الاستقرار الدائم ، وأن تكون على ألسنة من اليابسة متداخلة مع

---

(1) الناضوري ، رشيد ، المرجع السابق ، ص 165 .

(2) الميار ،عبد الحفيظ ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ، ص100 .

(3) مهران , محمد بيومي ، المغرب القديم ، المرجع السابق ، ص 179 .

(4) عصفور ، مجمد أبو المحاسن، المرجع السابق ، ص 54 .

البحر، أو جزر بحرية قريبة من الشاطئ، كذلك وجود الكثافة السكانية المحلية لضمان تصريف بضائعهم، حيث كان النشاط الرئيس للفينيقيين هو ممارسة التجارة، ولذلك فإن المناطق المأهولة بالسكان كانت ذات أهمية بالغة في اختيار الفينيقيين لإنشاء تلك المراكز، وكذلك وجود المياه المناسبة لرسو السفن وإنشاء الموانئ(1).

وبشكل سريع يمكن أن نستعرض أهم المناطق التي أقام فيها الفينيقيون مراكزهم ومستوطناتهم، فهي ليست موضوع دراستنا، ولكن يمكن أن نتعرض لها بداية من انطلاقهم من الشرق.

كانت قبرص هي أولى وأهم المناطق التي ارتادها الفينيقيون، وأسسوا بها عدة مراكز تجارية بعد خروجهم من وطنهم الأصلي، وهي تعتبر بوابة العبور الفينيقي نحو غرب البحر المتوسط، فقد أسسوا فيها مدنا أهمها: كيثيون، وتامسوس، وماربون، ولابثيوس، ومن المرجح أن اتصالهم بها كان مبكرا يعود إلى عصر البرونز(2)، وقد انتشر الفينيقيون بالجزيرة وبسطوا سيطرتهم عليها أحيانا، وتحالفوا مع السكان المحليين أحيانا أخرى، وقد كانت تمثل معقلا لحكامهم أثناء فرارهم من وجه الأخطار القادمة من الشرق على أيدي أعدائهم، الذين كانت تعوزهم القوة البحرية لملاحقتهم، خاصة الخطر الآشوري الذي تعاظم خلال القرنين الثامن والسابع ق.م ، ما يوحي لنا بتعاظم نفوذهم هناك وقوة سيطرتهم على الجزيرة، وقد وجد نقش في مدينة نينوى يصور ملك صور وصيدا هاربا من الجيش الآشوري باتجاه جزيرة قبرص(3).

ومن قبرص انتقل التجار الفينيقيون إلى الجزر اليونانية في بحر إيجة

---

(1) Moscati; S," colonization in the Mediterranean", OP. CIT . P 47

(2) عصفور ، محمد أبو المحاسن، المرجع السابق ص 59 .

(3) ديكريه ، فرانسوا ، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، ت:عزالدين أحمد عزو، مراجعة عبدالله الحلو، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق 1996م، ص 32.

وأقاموا علاقات تجارية هناك، حيث عرفهم اليونانيون وأطلقوا عليهم الاسم الذي عرفوا به فيما بعد "الفونيكس Phnix"، وأنشأوا لهم نقاطا هناك، ولكنهم لم يستطيعوا البقاء بشكل دائم, نظرا لعدم الاستقرار في المنطقة الناشئ عن حركة شعوب البحر والغزو الدوري لها(1)، فتابعوا سيرهم باتجاه الغرب نحو جزيرة صقلية التي أصبحت قريبة منهم، فعبروا مضيق مسينا وأقاموا محطاتهم التجارية على طول سواحل الجزيرة الشرقية والغربية منها، ولكن أهم مراكزهم في الجزيرة كانت في موتيا وبانوروموس "باليرمو" وسولوننت(2)، حيث اتخذت هذه المراكز نقاط انطلاق للسفن الفينيقية باتجاه الغرب، واستكشاف المجهول في الشمال الأفريقي، حتى السواحل الأسبانية وهي القواعد التي تعود إليها هذه السفن للاستراحة والتزود بالمؤن، وهذا ما يؤكده لنا التمسك القرطاجي بها أثناء الصراع القرطاجي الإغريقي فيما بعد. ومن صقلية انتقل الوجود الفينيقي باتجاه الشمال الغربي إلى جزيرة سردينيا التي اعتبرها الفينيقيون حلقة الوصل بين صقلية وجزر البليار، ومن ثم الساحل الجنوبي الشرقي لإسبانيا، فأقاموا فيها عده مراكز أهمها: " نورا، وأولبيا" التي نقلوا إليها مركز قيادتهم في الجزيرة بعد ظهور المنافسة الإغريقية في المنطقة(3).

أما على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط فإن اتصال الفينيقيين به كان مبكرا في الجزء الشرقي منه، يعود إلى عهد الدولة الفرعونية القديمة، ولكن الفينيقيين كانوا يكتفون بإنشاء وكالات تجارية لهم داخل الدول القوية ذات السيادة فقد أنشأوا لهم في مصر مركزا تجاريا على هيئة وكالة في "ممفيس"، عرفت بمعسكر الصوريين(4)، ثم لا نجد أثرا لمراكز فينيقية أخرى حتى

(1) Moscati; S , "colonization in the Mediterranean", OP . CIT. P 51

(2) Ibid . P 55

(3) Harden , Donald ,THE Phoenicians ,Thames and hudson , 1963 p.63

(4) كونتنو ، ج، المرجع السابق ، ص 95.

منطقة "المغرب العربي" حاليا، والتي اكتظت بالمراكز الفينيقية أكثر من غيرها من المناطق التي ارتادها الفينيقيون، ومن المرجح أنهم وصلوا هذه المنطقة من جزيرة صقلية، فهي الأقرب، وهي التي تقع على ما يعرف بالطريق الشمالي، كما أن عدم وجود آثار لمراكز فينيقية على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط حتى مدينة لبدا الكبرى، يجعل هذا الرأي هو الأرجح، خاصة وأن المسافة بينهما من الصعب اجتيازها على السفن القديمة دون وجود محطات استراحة لها نظرا لطول الطريق.

ويذكر المؤرخون أن مدينة "عتيقة" (غرب قرطاجة) هي أقدم المراكز الفينيقية على ساحل أفريقيا الشمالي، حيث أسست في نهاية القرن الثاني عشر ق.م[1]، وهي تقع إلى الغرب قليلا من مدينة قرطاجة التي أصبحت حاضرة الفينيقيين فيما بعد، وقد كانت مدينة "عتيقة" محطة تأتي إليها السفن من الساحل الفينيقي في الشرق والمتجهة نحو مصدر المعادن في الغرب، وكذلك العائدة من مدينة قادير(قادش) وبلاد "ترشيش" محملة بالذهب والفضة والقصدير، فهي محطة لتوزيع البضائع القادمة من الشرق، ولإراحة السفن القادمة من الغرب، حيث إنها تقع في نصف المسافة تقريبا بين بلاد الثراء في الغرب، وبين الوطن الأم في الشرق[2]، وقد أسس الفينيقيون مراكز أخرى أصبحت مدنا فيما بعد إلى الشرق من "عتيقة" امتدت شرقا حتى خليج سرت الكبير، فعلى سبيل المثال لا الحصر كانت "حضرموت " سوسة، ولمطة "لبدا الصغرى "، و صبراتة ، وويات، ولبقي" والتي تعتبر أكبر المراكز الفينيقية شرق قرطاجة، كما أنهم أسسوا مراكز أخرى باتجاه الغرب مثل: هيبيون "بيزرتا"، وقرطه "قسنطينة "، وامتدت مراكزهم حتى وصلت إلى الساحل الأفريقي على المحيط الأطلسي، حيث

---

(1) مهران، محمد بيومي ، المغرب القديم ، الرجع السابق ، ص 183.

(2) قنطر ، محمد حسين ، الحرف والصورة في عالم قرطاج ، أليف ، منشورات البحر الأبيض المتوسط ، مركز النشر الجامعي ، تونس –1999م، ص14. ، ديكريه ، فرانسوا ، الرجع السابق ، ص 47.

أسسوا مستوطنة "ليكسوس" التي يذكر المؤرخون أنها أقدم مستوطنة فينيقية في المنطقة، فهي أقدم من قادش وعتيقة[1]، وإن كان هذا يحتاج إلى المزيد من البحث والتدقيق، إذ لا يعقل أن تؤسس أقدم المراكز في أقصى الغرب دون أن تكون هناك مراكز للوصول إليها.

أما في أقصى الحوض الغربي للبحر المتوسط فقد تجاوز الفينيقيون مضيق أعمدة هرقل، ووصلوا إلى ساحل إسبانيا الغربي، وأسسوا مدينة "قادش" التي كانت من أهم المراكز التجارية، فقد كانت مصدر المعادن والثروات التي يجلبها التجار الفينيقيون، كما أنها مثلت نقطة انطلاق السفن الفينيقية التي وصلت إلى جزر الكاستيريد "بريطانيا" الحالية لجلب القصدير من هناك [2]، ثم أصبحت نواة لمستوطنات فينيقية أخرى تم بناؤها على الساحل الأسباني مثل: ملقا، سيكس، ايديرا، باريا، هذا بالإضافة إلى مستوطنات أخرى لم تعرف لها أسماء، ولم يحدد زمن قيامها بعد [3] وقد استمر تأسيس المستوطنات فيها حتى القرن الثامن ق.م، حيث ظهرت مستوطنة أخرى في مدينة توسكانوس الحديثة، يعود إنشاؤها إلى تلك الفترة تقريبا[4]، وقد تزايد عدد تلك المستوطنات بشكل كبير عندما تسلمت قرطاجة زعامة النفوذ الفينيقي في غرب البحر المتوسط ، حتى أصبح مركز الثقل الفينيقي في غرب البحر المتوسط في إسبانيا في وقت من الأوقات، ويدل على ذلك تأسيس هملكار برقة مدينة قرطاجنة الجديدة في إسبانيا خلال القرن الثالث ق.م، التي أصبحت مركز قوة الإمبراطورية القرطاجية عندما ضيق عليها الرومان الخناق في وسط البحر، وتم طردهم من جزيرة صقلية.

---

(1) عصفور ، محمد أبو المحاسن ، المرجع السابق ، ص 54.

(2) مازيل ، جان ، تاريخ الحضارة الفينيقية " الكنعانية" ، ت: ربا الخش ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا ، اللاذقية، 1998م ـص120-

(3) كونتنو،ج،المرجع السابق ص 96.

(4) تسيركين ، يولي بركوفيتش ، المرجع السابق ، ص . ص 4647-

ومن هنا إذا ما تتبعنا تلك المراكز بدقة أكثـــر، يحـــق أن نعتبـــر أن الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط قد تحول إلى بحيرة فينيقية بـــشكل يكاد يكون كليا، حيث انتشرت فيه مراكزهم من صقلية شرقا حتـــى قـــادش غربا، ومن الفضاء القرطاجي في أفريقيا جنوبا حتى جزر البليار وجنـــوب شرق إسبانيا شمالا، خاصة في عصر العنفوان القرطاجي خـــلال القـــرنين الخامس والرابع ق.م ، حيث شكلت تلك المراكز أهم الركائز التي اســـتندت إليها إمبراطورية قرطاجة في فرض سيطرتها على المنطقة ومواجهة أعدائها في الخارج.

الإغريق وغرب البحر المتوسط :

شهد النصف الثاني من الألف الثانية ق.م تبدلات مهمة في منطقة الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط جاءت نتيجة الهجرات المتعاقبة عليه ، ففي القرن الخامس عشر ق.م تقريبا، حدثت الهجرات الآخية آتية من الشمال عبر منطقة البلقان وبسطت نفوذها على بحر إيجه، بعد أن أسقطت الحضارة المينوية، وحلت محلها حضارة جديدة عرفت بالحضارة "الموكينية"، وقد تأثرت الحضارة الأخيرة بالأولى وأخذت عنها الكثير من مظاهرها حتى اعتبرها العديد من الباحثين امتداداً لها[1]، وقد شملت هذه الحضارة معظم الجزر الإيجية حتى جزيرة كريت جنوبا، وجزيرة قبرص شرقا، بل ووصل نفوذها إلى أجزاء من سواحل آسيا الصغرى الغربية، وقد قام الآخيون في شبه اتحاد ، إن صح هذا التعبير ، بشن حرب ضد مدينة "طروادة" إحدى المدن الأيونية على السواحل الشرقية لبحر إيجة، ودمروها بعد عشر سنوات من الحصار وكان ذلك في بداية القرن الثاني عشر ق.م تقريبا[2] وبالرغم من أن السبب المباشر لتلك الحرب كما تروى الأساطير الإغريقية هو الثأر لاختطاف" هليني "زوجة "منيلاوس" ملك إسبرطة[3]، إلا أنها في الواقع لا تخلو من أسباب أخرى على رأسها الأسباب الاقتصادية، ثم جاءت بعد ذلك ما عرفت بغزوات شعوب البحر خلال القرن الثاني عشر ق.م التي أسقطت الحضارة "الموكينية" ووصلت إلى السواحل الجنوبية والشرقية للبحر الأبيض المتوسط وغزت الدولة الفرعونية لكنها هزمت، حيث اعتبرت هذه الغزوات مقدمة لهجرة جديدة جاءت بعدها عرفت بالهجرة

---

(1) الأثرم ، عبد الحميد رجب ، دراسات في تاريخ الإغريق وعلاقته بالوطن العربي، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ط 2، 2001ف ص85

(2) بكري ، حسن صبحي ، الإغريق والرومان والشرق الإغريقي الروماني ، عالم الكتب ، الرياض، 1984م، ص29

(3) جندي، عبدالعزيز إبراهيم ، المرجع السابق ص132.

الدورية[1]، تلك الهجرة التي ضمت شعوبا مختلفة على ما يبدو، ولم تستطع التعايش مع الشعوب السابقة لها، أو أن الظروف الطبيعية فرضت عليها الانفصال، فقد عاشت كل جماعة على حده مكونة ما يعرف فيما بعد باسم دولة المدينة ، ذلك النظام الذي ميز منطقة بلاد اليونان فأصبحت كل جماعه لها كيانها الخاص وقانونها الخاص وحكومتها وسيادتها الخاصة بها ، وإن كان يجمعها الجانب الديني والأشعار الهوميرية والأساطير ، هذا فضلا عن الحروب التي ما انفكت تنشب بينها بين الحين والآخر ، ولم تتحد في يوم من الأيام إلا بعد أن فرض عليها الإسكندر المقدوني ذلك الاتحاد بالقوة [2].

حاولت شعوب منطقة بحر إيجة والبلقان التمدد باتجاه الشرق نتيجة الغزو الدوري إلا أنها اصطدمت بإمبراطوريات الشرق القوية التي بدأت توسع نفوذها نحو الغرب كالإمبراطورية الحيثية، والآشورية ووقفت حائلا بينها وبين ذلك التوسع [3]، ولذا فقد استقر بها المقام في المنطقة وبدأت بتكوين كيانات سياسية واقتصادية في المنطقة، وفي الواقع فإن الفترة الواقعة بين القرنين الحادي عشر والثامن ق.م تعتبر مصادرها قليلة ومعلوماتنا عنها غير وافيه حتى إن بعض المؤرخين يطلقون عليها اسم " الفترة الغامضة" أوالعصرالإغريقي الوسيط[4].

(1) علي ، عبد اللطيف أحمد ، التاريخ اليوناني (العصر الهلادى)ح2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت، 1974م ص486

(2) الأثرم ، عبد الحميد رجب، المرجع السابق ص89

(3) جندي ، إبراهيم عبد العزيز ، المرجع السابق ص289

(4) مكاوي ، فوزي ، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته منذ أقدم العصور حتى 322ق.م، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة 1999م ص255.

دوافع الإنتشار الإغريقي :

ويعتبر القرن الثامن ق.م هو بداية ظهور الحضارة اليونانية القديمة التي ما زالت إشعاعاتها حتى اليوم وهو بداية الانتشار الإغريقي خارج منطقة بحر ايجه وشبه جزيرة البلقان وتكوين مستعمرات خارج الأرض اليونانية ، وفيه بدأت انطلاقة الإغريق باتجاه الحوض الغربي للبحر المتوسط، هذه الانطلاقة التي كانت لها أثارا قوية على المنطقة فيما بعد حيث استطاع اليونانيون بسط سيطرتهم على بعض أجزاء هذا البحر ، فأصبح النفوذ اليوناني يمتد من جنوب روسيا شرقا، حتى بلاد الغال وجنوب شرق إسبانيا غربا ولكن هذا الانتشار قادهم إلى صدام مع قوى أخرى كانت قد سبقتهم إلى المنطقة كالفينيقيين والأتروسكان ، ويمكننا أن نجمل العوامل التي كانت وراء هذا الانتشار في الآتي :

الدوافع الاقتصادية :

قلة الأراضي الزراعية :

إن الدارس لجغرافية بلاد اليونان وتكويناتها الطبيعية يجد أن تلك البلاد كان معظمها من الجزر الصغيرة المتناثرة في البحر ، وهي لا تكفي لاستيطان الجماعات البشرية التي وفدت عليها في هجرات متعاقبة نظرا لقربها من الكثافة السكانية في آسيا [1] فقد كانت تلك الجزر صغيرة الحجم ، فضلا عن كثرة السلاسل الجبلية والمنحدرات في الجزر الكبيرة منها وأشباه الجزر كمنطقة البلقان مثلا ، وهذا ما أدى إلى قلة المساحة المزروعة التي أصبحت غير كافية مع تزايد عدد السكان الذي شهده العصر الإغريقي الوسيط، وقد ساعد على تلك الزيادة فترة الهدوء النسبي الذي شهدته المنطقة. هذا ناهيك عن بعض القوانين التي ظهرت في ذلك الوقت ، والتي ساعدت

(1) مكاوي ، فوزي، المرجع السابق ص12

على تحجيم مساحة الأراضي الموزعة على الأفراد وحصرها في عدد قليل منهم مقارنة بعدد السكان حيث نصت على توريث الابن الأكبر وحرمان باقي أفراد الأسرة ، وكذلك حرمان الأبناء غير الشرعيين من الميراث[1]، مما دفع الكثير منهم للعمل في التجارة ولكنها لم تكن متاحة للجميع ، مما أضطر البعض الآخر للبحث عن وطن جديد يعيشون عليه ، ويتضح ذلك من خلال المستوطنات التي أنشأها الإغريق خارج وطنهم ، فبعضها كان عبارة عن مراكز تجارية بينما ظهر البعض الآخر على هيئة مستوطنات زراعية ومن هنا فإننا نجد أن الطبيعة اليونانية وقلة الأراضي الزراعية قد ساهمت في خروج الإغريق وانتشارهم في أماكن أخرى خارج وطنهم الأصلي .

التجارة :

تعتبر التجارة من أهم الدوافع التي كانت وراء التوسع الإغريقي في ما وراء البحار ، فقد كانت لهم مراكز تجارية على شواطئ البحر الأسود استطاعوا تأسيسها في فترات سابقة ، وكانت لهم تجارة رابحة مع تلك المراكز ، حتى أن البعض يرى أن أسباب الحرب الطروادية كانت لحماية السفن التجارية التي كانت تمر بالقرب من سواحل تلك المدينة حيث تفرض عليها رسوما وضرائب أثناء ذهابها إلى تلك المراكز [2]، ومع بداية القرن الثامن ق.م واستقرار دولة المدينة في بحر إيجة كان للذهب والفضة والقصدير الآتية من الغرب سحرها في بلاد اليونان ، تلك المعادن التي كان يأتي بها التجار الفينيقيون إلى تلك البلاد [3] والتي كانت الأكثر رواجا في الشرق، فأراد التجار اليونانيون أن يحذوا حذو من سبقهم وأن يصلوا إلى مصدر تلك المعادن، ويأتوا بها مباشرة لتسويقها في بلاد الشرق، لذا اتجهوا

(1) جندي ، إبراهيم عبد العزيز ، المرجع السابق ص297

(2) بكري ، حسن صبحي ، المرجع السابق ص29

(3) Warmington,B .H . op .cit .P 25

نحو الغرب في مغامرات بحرية عبر جنوب إيطاليا حتى وصلوا إلى جنوب بلاد الغال والسواحل الجنوبية الشرقية لإسبانيا، وكان المغامرون من مدينة "فوكايا" في آسيا الصغرى قد استطاعوا الوصول إلى بلاد ترتيس "ترشيش" وأقاموا علاقات معها وإن كان لا يعرف تاريخ وصولهم إلى هناك بالضبط ولكنهم وصلوا بعد رحلة التاجر اليوناني" كولايوس" الذي ذكر هيريدوت أنه أول اليونانيين الذين وصلوا إلى بلاد الغرب والذي دفعته الرياح إلى هناك وهو عائد من مصر حيث باع بضاعته هناك وعاد بأرباح طائلة [1]، وأن الفوكيين قد تبعوا طريقه حيث اتصلوا بالملك الترتيسي، ومن الواضح أن الاتصالات لم تنقطع حتى توجت بتأسيس مدينة "مساليا" على يد الفوكيين حوالي عام 600 ق.م، وانطلاقا من هذه المستعمرة استطاع الإغريق تأسيس العديد من المستوطنات، حتى وصلوا مدينة "ملقا " على الساحل الجنوبي لإسبانيا الحالية[2].

أما على الساحل الإيطالي فإننا نجد إن أول مستعمرة يونانية أسست على الساحل الغربي لإيطاليا كانت مدينة "كوماي" [3]، حيث يتضح من خلال موقعها أنها أسست كمركز تجاري، فهي بعيدة إلى حد ما عن الوطن الإغريقي وتقع بالقرب من السهل الأترورى الذي كان غنيا بالمعادن ، فأسس هذه المدينة خليط من الخالكيس والأيونيين الذين كانوا يمتهنون التجارة أكثر من غيرهم وقد أسست حوالي عام 750ق.م[4]، ثم أسست بعد ذلك مدينة ناكسوس في جزيرة صقلية وأصبح التبادل التجاري نشطا بين المدينتين مما أستدعى إقامة بعض المراكز الأخرى لحماية الطريق الواصل بينهما .

---

(1) Lancel , Serge , Carthag , Fayard , Tunnisie, 1992 – p 114 Herodotus,

(2) ميررز ، ج.ل، الأترووربون و القرطاجيون ، كتاب تاريخ العالم ، ت : إدارة الترجمة والمعارف العمومية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مج2، د.ت ، ص478

(3) القاضي ، فاروق ، محاضرات في التاريخ الإغريقي من الحضارة الإيجية الباكرة حتى نهاية القرن السادس ق.م ، مكتبة سعيد رأفتا، القاهرة ، د.ت، ص137

(4) عياد ، محمد كامل ، تاريخ اليونان ، ح1، د.ت، ص347

الدوافع السياسية :

التنافس الاستعماري لدويلات المدن :

لعب نظام دولة المدينة الذي ظهر في بلاد اليونان دورا بارزا في حركة التوسع الإغريقي في منطقة غرب البحر الأبيض المتوسط ، فقد كانت كل مدينة دولةً قائمةً بذاتها، ولكل منها سيادتها وقوانينها وقوتها الخاصة بها، وكان الفرد لا يشعر بالانتماء إلا إلى مدينته التي ينتمي إليها [1]، فكان الصراع المستمر بين المدن حافزا لتأسيس مستعمرات في الخارج، لما لها من فوائد تعود على المدينة الأم من سيطرة على المواقع الإستراتجية ، وفوائد مادية تعود عليها من المستوطنة الجديدة في بداية تأسيسها على الأقل، وإن شاهدنا صراعا بين المدينة الأم ومستعمراتها في بعض الأحيان نتيجة الصراع الإجتماعي[2]، وخير دليل على ذلك التنافس أن المستعمرات انقسمت حسب انتماء المدينة الأم فهناك المستعمرات الدورية والآخية والايونية [3]، ومادام الأمر كذلك فمن البديهي أن ينتقل التنافس من الوطن الأم إلى الخارج بين تلك المستعمرات، فتحولت هي الأخرى إلى ميدان التنافس فأسست بدورها مستعمرات جديدة تابعة لها، ومن هنا نجد أن دويلات المدن بتسابقها هذا في الميدان الاستراتيجي والتجاري قد ساهمت بشكل أو بآخر في حركة الانتشار الإغريقي في غرب البحر المتوسط .

الضغوط الخارجية :

انتشرت المستعمرات اليونانية في الفترة السابقة للقرن الثامن ق.م في منطقة آسيا الصغرى وعلى ضفاف البحر الأسود ، ولكن ظهور

---

(1) الأثرم ، رجب عبد الحميد ، المرجع السابق ص89

(2) الناصري ، سيد أحمد علي ، الإغريق تاريخهم وحضارتهم من كريت حتى قيام إمبراطورية الإسكندر، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ح21 . 1977م. ص136

(3) القاضي ، فاروق ، المرجع السابق ، ص137

الإمبراطوريات في الشرق في زمن مبكر وتدافعها أدى إلى وقوع عدد من هذه المراكز تحت سيطرة بعض تلك القوى ، فقد كانت مملكة "ليديا" تحكم العديد من هذه المستعمرات ثم جاء بعدها الفرس وحلوا محلها ، وكان لاستمرار الصراع الدائر في المنطقة أثره على استقرار هذه المستعمرات ، فقد نزحت جماعات منها باتجاه الغرب حيث استقر بعضها في شبه جزيرة البلقان [1] ، وواصل البعض الآخر رحلته غربا وكان على رأس هؤلاء مواطنون من مستعمرة "فوكايا" لم يستقر بهم المقام حتى وصلوا بلاد الغال في الحوض الغربي للبحر المتوسط، ثم اتصلوا بالملك الترتيسي في جنوب إسبانيا فرحب بهم وتحالف معهم ضد الفينيقيين مما منحهم فرصة إقامة مستعمرات لهم هناك[2].

(1) بكري ، حسن صبحي ، المرجع السابق ص32

(2) مازيل ، جان ، المرجع السابق ، ص124

الدوافع الاجتماعية :

كان للتركيبة الاجتماعية التي تكون منها المجتمع اليوناني نصيبا في تشجيع الهجرة إلى الخارج وتكوين مستوطنات جديدة ، فقد كان المجتمع اليوناني يتكون من ثلاث طبقات اجتماعية متباينة كان على رأسها طبقة الأشراف التي سيطرت على كل شيء في المجتمع، ثم الطبقة الوسطى التي تتكون من الحرفيين والتجار وأصحاب الدخل المحدود، وأخيرا طبقة العبيد والأقنان وهي التي تمثل السواد الأعظم من الشعب ، وقد ساعدت القوانين التي ظهرت في دولة المدينة علي زيادة عدد أفراد هذه الطبقة حيث أباحت للدائن مصادرة حرية المدين مقابل الدين إذا لم يكن لديه ما يكفي لتسديد ديونه بعد أن يسلبه أرضه ، وحريته ويصبح عبداً للدائن ، فرأى الكثير منهم أنه من الأجدى لهم أن يتركوا مدنهم الأصلية وأن يبحثوا عن أراضي جديدة يمتلكونها ويصبحون فيها سادة لا عبيدا[1]، كما أن ازدياد أعداد أبناء الطبقة العامة قد أوهم طبقة الأشراف أن العامة يشكلون عبئا عليهم ، فعملوا على تخفيف الضغط السكاني من خلال إيجاد مستوطنات لهم في الخارج، حيث يذكر المؤرخ" ثيوكديديس "مثلا أن الكورنثيين قد أسسوا مستعمرة سيراكوزا عام 733 ق.م رغبة منهم في تخفيف كثافة السكان بالمدينة[2].

ومن خلال ما تقدم نجد أن حركة الاستعمار الإغريقي في منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط قد جاءت نتيجة مجموعة من العوامل بعد أن أُقفلت منطقة الشرق في وجه هذه الحركة وبذلك لم تجد أمامها بدا من الاتجاه نحو الغرب، وقد استمرت من منتصف القرن الثامن ق.م حتى بداية القرن السادس ق.م، واستطاعت خلال قرن ونصف أن تؤسس لها العديد من المستعمرات شملت جنوب إيطاليا ومعظم جزيرة صقلية ساعدها في ذلك

---

(1) الناصري ، سيد أحمد علي ، المرجع السابق ص136

(2) عياد ، محمد كامل ، المرجع السابق ص348

قرب المسافة وعدم وجود عوائق جبلية ومواجهتها للبلاد الإغريقية[1] حيث أقامت العديد من المراكز التجارية والاستيطانية ممتدة من سهل أترووريا حتى السواحل الجنوبية الشرقية والسواحل الشمالية لجزيرة صقلية ، ونظرا لكثرة المستوطنات والمدن الإغريقية في جنوب إيطاليا فقد سميت المنطقة "ببلاد اليونان الكبرى" ، كما أنها استطاعت التسلل نحو الشمال الغربي حتى وصلت بلاد ترشيش وأنشأت لها مستعمرات هناك ، وحاولت الاستيلاء على جزر البليار وجزيرتي كورسيكا وسردينيا [2] إلا أن الأتروسك طردوهم بالتحالف مع القرطاجيين ، ولكنهم لم يستطيعوا القضاء عليهم نهائيا في المنطقة حيث بقي نفوذهم الاستيطاني في جنوب فرنسا واختلطوا بالسكان المحليين وتاجروا معهم وتوغلوا إلى الداخل واستطاعوا الحصول على المعادن الثمينة التي كانت الدافع الأول لوصولهم إلى تلك المنطقة.

---

(1) الناصري ، سيد أحمد ، المرجع السابق ص141

(2) عياد ، محمد كامل ، المرجع السابق ص349

المبحث الثاني

قرطاجة زعيمة المدن الفينيقية

- تأسيس قرطاجة
- زعامة قرطاجة
- علاقة قرطاجة بالوطن الأم

تأسيس قرطاجة

التسمية :

قرطاجة- قرطاج - كرتاجو- كارتشادون- قرت حدشت- تسميات أطلقت على مدينة واحدة أسست في ما يعرف حاليا بالشمال الأفريقي على يد مهاجرين من السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط(1)، قدر لها أن تكون حاضرة لأقوى إمبراطورية شغلت الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال الفترة من القرن السادس حتى القرن الثاني ق.م تقريبا، وأن تلعب دورا مهما في التاريخ الحضاري للمنطقة ، حيث تركت لنا ما عرف بالحضارة البونية التي كانت لها أثار قوية في شمال أفريقيا، استمرت حتى بعد زوال تلك الإمبراطورية على أيدي الرومان، وقد استطاعت على عهدها أن تفرض سيطرتها التجارية والعسكرية في غرب البحر المتوسط حتى بداية الحروب البونية في منتصف القرن الثالث ق.م، والتي استمرت حتى تدمير قرطاجة 146ق . م تقريبا، ولكي نصل إلى ما يمكن أن يكون مفيدا حول تاريخ قرطاجة وزمن تأسيسها، لابد لنا من التعرض - ولو بشكل مختصر - للظروف والملابسات التي أحاطت بنشأة تلك المدينة.

إن كلمة قرطاجة تعني في اللغة اللاتينية "كرتاجو"، وفي الاغريقية "كارتشادون"، بينما كانت تعني لدى الكنعانيين وهم سكان المدينة الأصليين "كيرجات حدشت"، أي "قرتحدشت"، أو المدينة الجديدة(2)، ومن خلال التسمية يتضح لنا أن هناك مدينة سابقة لها في النشأة، ويميل أغلب المؤرخين إلى أن المدينة هي مدينة "عتيقة" التي أسست في نفس المنطقة حوالي عام 1100ق.م،

---

(1) بورتر،هارمن ، المرجع السابق ص 105

(2) J . Alfred , Church . M. . A op . cit . P 11 .

وأن التسمية جاءت كتمييز للمدينة الجديدة عنها [1]، وهي تقع غير بعيد عن المدينة الجديدة "قرطاجة"، وهناك رأي آخر يقول: إن هذه التسمية جاءت من الشرق، فقد جاء اسم المدينة الجديدة لتمييزها عن مدينة صـــور الأم، حيـــث أصبحت تشكل مركز الثقل الفينيقي في غرب البحـــر الأبـــيض المتوســـط، وأصبحت تعوض مدينة صور، فتحولت أنظار الفينيقيين إليها بعد أن أجبرتهم الظروف على ذلك نتيجة الغزو الآشوري من جهة، وتنامي الوجود اليوناني بالقرب منهم من جهة أخرى، وأصبحوا يعنون بالمدينة الجديـــدة "العاصـــمة الجديدة للفينيقيين" [2]، وهذا ما يشير إليه تطور المدينة وتحولها إلى عاصمة فينيقية في غرب البحر المتوسط فيما بعد.

المـــوقـــع:

تميزت المدن الفينيقية بشكل عام في الحوض الغربـــي للبحـــر الأبـــيض المتوسط بوقوعها على نتوءات من اليابسة في داخل البحر، وبالتالي فهي تشكل أشباه جزر، أو أنها تنشأ على جزر تكون قريبة من اليابسة [3]، وفي هذا دلالـــة على أن المدن الفينيقية كانت في بداياتها عبارة عن مراكز بحرية تجاريـــة، ثـــم تطورت حتى أصبحت مدناً كبيرة، وجاء هذا النمط كنتيجة لطبيعـــة الفينيقيـــين البحرية، وامتهانهم ركوب البحر، ومدينة قرطاجة هي إحدى هذه المـــدن، بـــل وأعظمها أنشئت على هذا النمط في غرب البحر المتوسط.

وتقع مدينة قرطاجة على الساحل الشمالي لأفريقيا الحالية، فيما يعرف الآن بتونس في موقع لابد أن يكون قد تم اختياره بعناية فائقة، مـــن حيـــث صلاحيته لرسو السفن والإبحار منه، فقد أسست في خليج صغير به ميناء

---

(1) جوليان ، شارل أندريه ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، ت: طلعت أباظة و عبد المنعم ماجـــد ، دار نهـــضة مصر للطباعة والنشر ، القا هرة 1986م، ص85.

(2) عصفور ، محمد ابو المحاسن ، المرجع السابق ، ص66

(3)Rawlinson , G . M . A , op .cit . P 60-63.

طبيعي، إلى جانبه تجري المياه العذبة في نهر "بجـــرداس" وادي مجـــردة، وكانت الأرض المحيطة بالموقع خصبة وغنية بأهم المواد الغذائية، كــالقمح والنبيذ والزيت [1]، وكان بهذا الخليج نتوء من اليابسة يحيط به البحـــر مـــن جهة الشرق، ومن الجنوب محاط ببحيرة تونس، بينما تحيط به من الـــشمال سبخة أريانة التي كانت في ذلك الوقت عبارة عن خليج بحري، وبذلك فإنـــه أشبه ما يكون بالجزيرة، وهـــو يـــشغل المنطقـــة المعروفـــة الآن بـــسيدي أبوسعيد[2]، أما من الخلف فإنه محمي بتلة يصل ارتفاعها إلى حوالي78,7متر تقريبا، تسمى " بيرصا " أي القلعة، بني على قمتها معبد للإله " أشمون"، ولا تتصل باليابسة إلا عن طريق برزخ ضيق يبلغ عرضه أربعة كـــم ونـــصفا تقريبا[3] (الشكل 3).

ويعتبر موقع قرطاجة من أفضل المواقع التي أنشئت عليهـــا المـــدن الفينيقية في غرب البحر المتوسط، فهو يتميز عنها بأنه يقع في خليج محمي من الرياح الشمالية الغربية والرياح الغربية، مما يجعـــل عمليـــات الرســـو والإبحار سهلة وميسورة، كما أنه يتمتع بظهير زراعي جيد، يسمح بالتمـــدد إلى المناطق الداخلية الخصبة التي استغلت لسد حاجيات مواطنيها من المواد الغذائية فيما بعد، أما على المستوى الإستراتيجي، فإن قرطاجـــة تقـــع فـــي منتصف المسافة بين المستعمرات الفينيقية في الغرب والوطن الأم في الشرق تقريبا، وهي قريبة جدا من جزيرة صقلية، إذ لا تزيد المسافة بينهمـــا عـــن *140*كم تقريبا، كما *أنها* تقع في مواجهة سردينيا مـــن الجنـــوب [4]، وبهـــذا الموقع أصبحت قرطاجة بالتلاقي مع صقلية وقربها من مالطة تشكل بوابـــة

---

(1) J . ALFRED , Church . M . A . op. cit .p12.

(2) Warmington . B .H . op . cit . P 26

(3) غانم ، محمد الصغير، التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط ، رسالة دبلوم دراسات عليا في التـــاريخ القـــديم ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر –المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، لبنان ، 1974 ص107108–

(4) ابو رونية ، الشاذلي، محمد الطاهر "، المرجع السابق ، ص*218*

غرب البحر المتوسط، وتشكل مثلثا مع المستوطنات الفينيقية في صقلية وسردينيا، يجعل من البحر المتوسط الغربي بحيرة فينيقية لا يمكن الدخول إليه من الشرق إلا بإذن من قرطاجة، هذا فضلا عن توسطها للمستوطنات الفينيقية في شمال أفريقيا [1]، ومن هنا جاء الاختيار الفينيقي لهذا الموقع الإستراتيجي لتأسيس حاضرة إمبراطوريتهم في الغرب.

تاريخ التأسيس :

أثارت مسألة تاريخ تأسيس قرطاجة جدلا واسعا بين الباحثين والمحدثين منهم على وجه الخصوص، فقد انقسموا إلى قسمين:

القسم الأول : اعتمد على المصادر الكلاسيكية المتمثلة في الكتّاب القدماء من إغريق ولاتين، حيث يذكر أن أول تاريخ لتأسيس قرطاجة يعود إلى نهاية القرن الثالث عشر ق.م أي1213ق . م تقريبا، وهو التأسيس الأول المفترض، وينسب إلى أسطورة "زور وكارشيدون"، وقد ذكرها مجموعة من المؤرخين وعلى رأسهم: متلسيتوس السرقوسي المؤرخ الإغريقي الذي عاش في القرن الرابع ق.م ،وتبعه في ذلك أرقسوس وأبيان[2]، وكانت كلمة زور تعني صور، و"كارشيدون" هو الاسم الإغريقي لقرطاجة[3]، والرأي الثاني يقول بأن تأسيس قرطاجة قد تم في الربع الأخير من القرن التاسع ق. م ، ويميل إليه أغلب المؤرخين وإن اختلفوا في سني التأسيس.

الافتراض الأول يمكن أن نأخذ به ونعتبره بداية تأسيس قرطاجة كمركز تجاري، ومن ثم كمستوطنة، وهذا ما يعتبر بداية التأسيس الفعلي لها،

---

(1) المرجع نفسه ص 104 Harden , D , op . cit . P 63

(2) الفرجاوي ,احمد، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة ، المعهد الوطني للتراث ، تونس 1993م، ص11.

(3) Fantar,. M. H , Carthage , la cite punique ,Alif , ces editions de la meediterranee , Tunisi , 1998. P29.

حيث كان يشغل المكان مستعمرون من صيدا قبل ذلك [1]، خاصة إذا سلمنا بأن الفينيقيين كانوا يقيمون المحطات التجارية في أماكن متقاربة، وهذا ما تؤكده المسافة بين قرطاجة وعتيقة، ومن المرجح أن تكون قرطاجة قد أسست كمركز تجاري قبل عتيقة، إذ ليس من المعقول أن تكون الأخيرة قد أسست مباشرة من الساحل الصوري، وفي هذا الصدد يبدى شارل اندريه جوليان استغرابه فيقول: "إن ما يثير الاستغراب على ما يبدو أن يؤسس الفينيقيون هذه المراكز البعيدة قبل أن يضمنوا الأساكل التي تسيطر على مدى نشاط ملاحتهم كل ثلاثين كم تقريبا" [2]، وبالطبع فإن جوليان إنما يعني"عتيقة– قادش– ليكسوس" أقدم المدن الفينيقية في غرب البحر المتوسط، فمدينة قرطاجة شأنها شأن المراكز الفينيقية الأخرى قد مرت بالعديد من المراحل، حيث كان الاستيطان الفينيقي في المنطقة يبدأ بمرحلة الاستكشاف والتعامل التجاري عبر هذه المراكز التي كانت تابعة للمدن الفينيقية في الشرق[3]، ومن ثَم فقد تدرجت حتى أصبحت عاصمة الإمبراطورية، واستطاعت أن تفرض سيادتها في غرب البحر المتوسط، فاختيار الفينيقيين لهذا الموقع ومجيء "عليسة" وحاشيتها إلى هذا المكان لم يأت مصادفة، وإنما جاء بعد دراسة مستفيضة، حيث وقع عليه الاختيار ليكون موقعا لمدينة جديدة ينتقل إليها الفينيقيون من الشرق، وتكون ممثلة لصور في الغرب، بعد أن أصبحت الحاجة ماسة إلى الاقتراب من مصالحهم التي تزايدت بشكل ملحوظ في المنطقة، وبذلك لابد أن يكون التأسيس الفعلي لقرطاجة سابقا للقرن التاسع ق. م، التاريخ المتعارف عليه، ولكن يا ترى ما الأسباب التي حدت بالمؤرخين المحدثين لاختيار هذه الفترة لاعتمادها كتاريخ لتأسيس

---

(1) ميرز، ل، الأترووريون والقرطاجيون، المرجع السابق ، ص 95.

(2) جوليان ، شارل أندريه ، المرجع السابق ، ص85.

(3) الموسوعة الإفريقية "لمحات من تاريخ القارة الافريقية"، تقديم:رجب محمد عبد الحليم، مج 2، جامعة القاهرة ، مايو 1997ص27.

قرطاجة؟ ولماذا كانت سنة 813-814 ق. م بالتحديد سنة التأسيس؟ ثم ما المعيار الذي استُخدم في ذلك ؟

تورد أغلب المصادر التاريخية الكلاسيكية أن تأسيس قرطاجة قد تم خلال النصف الأخير من القرن التاسع ق. م، وإن اختلفت سنوات التأسيس لديهم،حيث ظهرت ثلاثة آراء في هذا الصدد، فالرأي الأول يعتمد علي تاريخ سقوط قرطاج عام 146 ق.م، كأساس حدد بموجبه تاريخ نشأة المدينة حيث قال البعض: إنها عاشت 700 سنة، وبالتالي فإن تاريخ تأسيسها يعود إلي 846 ق. م، وعلى رأس هؤلاء: تيتيوس لويوس، بينما يذكر باتروكولوس أنها عاشت 667 سنة، وبذلك فإن تأسيسها يعود إلى813 ق م[1].

أما الرأي الثاني فيربط أصحابه تأسيس المدينة بتأسيس روما وعلى رأس هؤلاء: يوستينوس الذي يقول: إن الفارق بين المدينتين هو 72سنة، وبالتالي فإن تأسيس قرطاجة يوافق 825 ق.م بالنظر لتأسيس روما المحدد بسنة753ق.م[2]. والرأي الثالث وهو الرأي المتفق عليه كما يبدو، فإن أصحابه يربطون تأسيسها بإقامة الألعاب الأولمبية في عام 776 ق. م، حيث إن تأسيس قرطاجة يسبق تلك الألعاب بحوالي 38 سنة تقريبا، ومن هنا فإن تأسيس قرطاجة يوافق 814 ق. م[3]، ويركن أغلب المؤرخين الذين يعتمدون المصادر الكلاسيكية إلى الرأي الأخير.

أما القسم الثاني من الباحثين فإنه يرفض الاعتماد على المصادر الكلاسيكية، ويرى أنه يجب الاعتماد على الدليل الأثري الذي لا يرقي إليه الشك، على العكس من المصادر الكلاسيكية التي يشوبها الكثير من الخيال

---

(1) ابو رونية ، الشاذلي، محمد الطاهر " ، المرجع السابق ، ص89.

(2) المرجع نفسه.

(3) Moscati , S , "Colonization of Mediterranean" , op. cit .P 98 .

- ابورونية، الشاذلي، محمد الطاهر، المرجع السابق ، ص8990-

وعدم الواقعية، وتشكل الأساطير جزءاً كبيرا منها. ولكن بالنظر لعدم اكتمال الحفريات كما يذكر أحمد الفرجاوي الذي يقول: "إن حجة هؤلاء هشة؛ لأننا لسنا متأكدين من أننا وصلنا إلى أسفل طبقة من معبد بعل حامون وتانيت"[1]، هذا بالإضافة لأسباب أخرى ذكرناها سابقا فإننا لا نجد أمامنا مفرا من الاعتماد على المصادر الكلاسيكية إلى حد ما، أو عدم إغفالها على الأقل، خاصة وأن حفريات الحملة الأممية لإنقاذ قرطاجة قد تمكنت من ملاءمة المعطيات الأثرية ورواية التأسيس عام 814 ق. م[2].

وارتبط هذا التاريخ بأسطورة تأسيس المدينة، تلك الأسطورة التي تمحورت حول بطلة القصة التي تدعى "عليسة – اليسار – ديدو"، ونحن هنا لا نريد أن نسرد القصة لكثرة تكرارها في المصادر والمراجع، ولكننا نحاول أن نسلط الضوء على ما يفيدنا منها للاقتراب من تاريخ التأسيس الحقيقي لهذه المدينة العظيمة. إن ملخص هذه الأسطورة يقول: إن قرطاجة قد تم تأسيسها على يد الملكة عليسة أخت الملك الصوري "بيجماليون"، وأن المدينة قد أسست في السنة السابقة لحكم هذا الملك بعد أن قام باغتيال زوج أخته المذكورة، المدعو "أشرباص"، طمعا في أمواله، واستطاعت عليسة أن تهرب بأموال زوجها بعد أن خدعت أخاها، واختطفت من قبرص حوالي ثمانين فتاة لاتخاذهن كزوجات لرفاقها، واتفقت مع الكاهن الأكبر في قبرص ليصحبها إلى الوطن الجديد على أن تكون له الكهانة وراثية[3]، ومن هناك هربت إلى الشمال الأفريقي حيث نزلت في الموقع الجديد وابتاعت من السكان المحليين قطعة أرض تقدر مساحتها بجلد ثور، إلا أنها قامت بتقطيع جلد الثور إلى سيور رفيعة حيث أحاطت به أكبر قدر من الأرض. وتستمر الأسطورة فتذكر أن هناك ملكا في أفريقيا طلب الزواج من عليسة، وإلا أعلن الحرب

(1) الفرجاوي ، أحمد ، المرجع السابق ص18.

(2) أبو رونية ، الشاذلي ، المرجع السابق ص118.

(3) ديكريه، فرانسوا، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، المرجع السابق ص56.

على السكان الجدد، وقد استطاعت عليسة أن تخرج من هذه الورطة بالانتحار، وهنا تنتهي الأسطورة، وهذه القصة الأسطورية لا يمكننا أن نعول عليها كثيرا، ولا أن نبني على أحداثها حدثا كبيرا، كحدث تأسيس مدينة أصبحت عاصمة أعظم إمبراطورية في غرب البحر المتوسط في فترة من الفترات، نظرا لما تحتويه من دس ومحاولة تشويه من قبل كُتّابها الإغريق الذين تربطهم علاقة عداء بالفينيقيين، فإذا ما تفحصنا أحداثها فإننا نجد أن الكاتب حاول أن يصور لنا أن هناك صراعا داخل مدينة صور امتد إلى البيت المالك على غرار ما كان يحدث في المدن الإغريقية، وأن الجشع كان أساس هذا الصراع، هذه الصفة التي حاول الإغريق إلصاقها بالفينيقيين، ثم تأتي الأسطورة وتصور سذاجة الملك الصوري "بيجماليون" عندما وقع في خداع أخته الأميرة، حتى استطاعت الفرار بأموال زوجها، فهل يعقل أن يكون ساذجا إلى هذا الحد؟ ثم مجيء الأميرة إلى قبرص واختطافها ثمانين فتاة بالاتفاق مع الكاهن الأعظم، وهذا يصور لنا أن الفينيقيين يتصفون جميعهم بالخداع من أميرهم إلى رجل دينهم فما بالك بالآخرين! كما أن ذهاب الكاهن مع الأميرة إلى أراضٍ جديدة يدل على أنه غير راضٍ عن وجوده في قبرص، وفي هذا إشارة إلى وجود ما ينغص عليه عيشه، خاصة وأنه يتمتع بمكانة رفيعة في المجتمع، وكذلك فإن عملية الاختطاف تدل على أنه لم يكن هناك قانون ولا قوة حامية للناس، وفي هذا مخالفة، حيث عرف الفينيقيون بالنظام وقوة القانون، حتى عد دستورهم من أرقى الدساتير في العالم القديم (1). ثم نأتي إلى مجيء عليسة إلى أفريقيا، هل كان المكان الذي نزلته صدفة أم أنها كانت على معرفة به، وتم اختيار هذا الموقع لأفضليته على المواقع الأخرى؟ وهذا ما ثبت لنا فيما بعد، كما أن الأسطورة تقول: إن

---

(1) أرسطو ، كتاب السياسة ، ت: أحمد لطفي السيد، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة 1970م ص174

الأميرة اشترت من الأهالي قطعة أرض تقدر مساحتها بجلد ثور[1]، ثم قامت بتقطيع الجلد إلى سيور رقيقة حتى تستحوذ على أكبر قدر من الأرض، ألـم يكن هناك مستوطنون فينيقيون قبلها؟ وهل كان الأفارقة من الغباء بأن يقبلوا أن الأميرة ومن رافقها من حاشية يمكن أن تكفيهم مساحة جلد ثور؟ ثـم إن هناك فرقاً بين المساحة والمحيط . إن في هذا تجنيا، وما هـو إلا محاولـة لتصوير الفينيقيين بالغش والخداع، والسكان المحليين بالسذاجة والغباء.

أما محاولة تصوير أن تأسيس المدينة قد جاء نتيجة الصراع فـي البيـت المالك في صور، و ترتب عليه هروب بعض من أفراد الطبقة الأرسـتقراطية إلى جانب الملكة وحاشيتها، فإن هذا قابل للجدل ؛ لأنه يتعارض تماما مع طبيعة العلاقات التي أصبحت تربط قرطاجة بمدينة صور، والتـي اتـسمت بالتبعيـة التامة، أثبتها إرسال السفارات السنوية من الغرب إلى الشرق حاملة النذور إلـى معبد الإله "ملقرت" للمشاركة في الاحتفالات الدينية[2] والعلاقات الممتازة التـي ربطت قرطاجة بالشرق الفينيقي بشكل عام ومدينة صور بشكل خاص.

من هنا ومما تقدم لا يمكننا الأخذ بالأسطورة والاعتماد على ما جاء فيها، بل رفضها باستثناء الفترة الزمنية التي جاءت فيها الأميرة، أما كيفيتها فهي بعيدة عن الصواب لما جاء فيها من محاولة تشويه وإلصاق التهم والصفات البذيئـة، كالغش والنصب والاحتيال من قبل الكُتّاب الإغريق بالفينيقيين.

لم تهدأ الأحوال السياسية على الساحل الفينيقي منذ غـزوات شـعوب البحر، فقد غزا الفلسطينيون مدينة صيدا وخربوها، وانتقلت السيادة الفينيقيـة إلى مدينة صور[3]، ومع بداية القرن الحادي عشر بدأت القوة الآشورية تطـل

(1)"The Carthaginian Empire"in Sabatino Moscati ,The Phoenicians ,op. cit. P. 57. Moscati ,S,

(2) الميار ، عبد الحفيظ ، المرجع السابق ، ص114.

(3) بورتر ، هارفر، المرجع السابق ، ص98.

برأسها محاولة الوصول إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط الشرقية، وبالفعل فقد استطاعوا مع بداية القرن التاسع تقريبا أي في حوالي 875 ق.م في عهد ملكهم "حدادنيراري" الاستيلاء على كل منطقة الساحل، وأخذوا الجزية من المدن الفينيقية، وعلى رأسها: مدينة صور[1]، ومن هنا أدركت صور أنه لا يمكن أن تكون في مأمن من السيطرة الآشورية المباشرة، ولابد لها في يوم من الأيام أن تكون جزءا من ملك الإمبراطورية تلك، وبذلك بدأت في التفكير بشكل جدي في الابتعاد عن هذا الخطر القادم من الشرق[2]، ووجدت أنه من الأفضل لها أن تتجه غربا عبر البحر المتوسط، حيث بدأ النفوذ الفينيقي يتعاظم، و تزايدت مصالحها في غربه بشكل ملحوظ، وأخذ الصوريون يعتمدون بصورة أكبر على التجارة القادمة من الغرب، وأصبحت لهم مدن مقامة هنا وهناك في المنطقة، خاصة بعد أن سادوا المدن الفينيقية في الشرق، وبذلك باتت في حاجة ماسة إلى إنشاء إدارة قوية تكون قريبة من تلك المصالح لإدارتها والإشراف عليها، خاصة وأن المسافة بين شرق المتوسط وغربه تستغرق عدة أسابيع [3]، مع تنامي القوة الإغريقية في وسط وشرق البحر المتوسط، والتي أصبحت تهدد المصالح الفينيقية فيه، يضاف إلى ذلك خلو منطقة غرب البحر المتوسط من أي قوة عسكرية أو تجارية في تلك الفترة.

ولذا وبعد تفكير عميق وتدبر للأمر وتمحيصه يبدو أن صور حزمت أمرها، وعزمت على التوجه إلى الشمال الأفريقي، وتحويل مركزها إليه، فأرسلت جزءاً من ساستها بزعامة أخت الملك "عليسة" إلى الموقع الجديد الذي تم اختياره كأفضل المراكز التي يمكن أن تكون مركزا لتواجدهم في الغرب، وأطلقوا عليه اسم"قرت حدشت" المدينة الجديدة [4]، مصحوبة بأهل

---

(1) ميرز ، ج.ل، الاترورين والقرطاجيون "اصلهم وتكاثرهم، ص495.

(2) فنطر ، محمد حسين ، الحرف والصورة في عالم قرطاج ، المرجع السابق ، ص19.

(3) الميار ، عبد الحفيظ ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ؛ المرجع السابق –ص

(4) Warmington, B . H , op . cit . P26

الرأي والمشورة وجزء كبير من الأموال حيث تكون في مأمن من السيطرة الآشورية، ومن هنا جاء الانتقال الذي اعتبره المؤرخون زمن تأسيس مدينة قرطاجة، وهو ما يمكن أن يفسر لنا اعتماد العلماء لعام 813-814 ق.م كمعيار لتحديد تاريخ تأسيس المدينة، إذ لا يعقل أن تؤسس مدينة كاملة بهذا الحجم في سنة أو سنتين أو حتى في عقد من الزمان، وإنما يمكن أن نعتبر هذه السنة نقطة فاصلة في تاريخ المدينة، وهي سنة التأسيس السياسي لها، وتحولها إلى عاصمة للفينيقيين في الغرب، وظهورها على مسرح الأحداث. وبعد قدوم عليسة استطاعت المدينة خلال فترة بسيطة على ما يبدو أن تبسط سيطرتها على بعض المناطق المجاورة، وأن تؤسس لها بعض المستعمرات في الخارج كمستعمرة أيبيزا في سردينيا مثلا في حوالي 684 ق.م تقريبا[1]، وبذلك فإن القرن التاسع كان يعتبر تاريخا لمجيء عليسة، وبداية انتقال الثقل الفينيقي إلى شمال أفريقيا، وظهور قرطاجة كعاصمة للفينيقيين في الغرب، وليس تاريخا لتأسيس المدينة، كما حدث عند انتقال الخلافة الإسلامية إلى دمشق عام 660م على يد معاوية بن أبي سفيان [2]، فهل يمكن أن نقول: إن دمشق قد أسست في ذلك العام ؟! وذلك شأن قرطاجة.

ومما تقدم يتبين لنا، أو يمكن أن نعتبر ، أن لقرطاجة تاريخين للتأسيس، فالتاريخ المفترض الأول هو القرن الثالث عشر ق.م، وهو تاريخ التأسيس الاستيطاني للمدينة، وبداية الاستقرار الفينيقي الدائم فيها، ومن ثَم تحولها إلى مستوطنة. أما التاريخ الثاني فهو الربع الأخير من القرن التاسع ق.م، وهو مجيء عليسة، وبداية تاريخ المدينة كعاصمة سياسية واقتصادية وبداية ظهور الإمبراطورية القرطاجية فيما بعد.

---

(1) Harden , Donald , op .cit . P63.

(2) حسن، علي إبراهيم، التاريخ الإسلامي العام، "الجاهلية ، الدولة العربية-الدولة العباسية"، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د . ت، ص277.

زعامة قرطاجة للمستعمرات الفينيقية

انتشرت المراكز الفينيقية في غرب البحر الأبيض المتوسط بشكل كثيف منذ نهاية الألف الثانية ق.م، فشملت معظم شواطئه وجزره ، من "إسبانيا" اليوم غربا حتى مدينة لبده الكبرى ومالطة شرقا، فكانت قادش على سواحل إسبانيا الأطلسية في الجنوب الغربي أبعد نقطة عن هذه المراكز، وامتدت شرقا فشملت سواحل إسبانيا الجنوبية على البحر المتوسط حتى جزر البليار، وظهرت في جزيرتي سردينيا وصقلية في الجنوب الإيطالي، أما على الساحل الجنوبي الغربي لهذا البحر فإنها من الكثافة بحيث تكاد لا تحصى، وكانت أبعدها في الغرب مدينة ليكسوس على الساحل الأفريقي الأطلسي، وقد أصبحت قرطاجة أشهرها فيما بعد، وعلى الرغم من كثرة هذه المراكز والمستوطنات وانتمائها إلى أصل واحد ، ووقوعها في منطقة بعيدة عن الوطن الأصلي، إلا أنه لم يكن هناك أي رباط سياسي أو اقتصادي يجمع فيما بينها، وإنما كانت ترتبط بالمدن الأم في الشرق[1]، وربما يعود ذلك لعدم وجود قوى أخرى منافسة لها في المنطقة، وبالتالي فهي ليست في حاجة لمثل هذا الرباط أو التحالف في بادئ الأمر.

واستطاعت قرطاجة أن تكون أشهر هذه المدن الفينيقية، وأن تكون محط أنظار فينيقيي غرب البحر المتوسط بصفة خاصة، والفينيقيين بشكل عام، على الرغم من أهمية قادش التجارية، ولكن وقوع تلك المدينة في أقصى الغرب جعلها غير مؤهلة لما خصت به قرطاجة التي قصدها الفينيقيون من كل مكان، ولجأت لها المراكز الأخرى لحمايتها، وبذلك تبوأت مركزا مرموقا أهلها لأن تكون حاضرة لأقوى إمبراطورية في غرب البحر المتوسط خلال الفترة من القرن السادس حتى منتصف القرن الثالث ق.م[2]، وزعيمة للمستوطنات

---

(1) الاشقر ، أس، المرجع السابق ، ص 42.

(2)Rawlinson,G . M . A , op . cit . P66-67.

الفينيقية في غرب البحر المتوسط رغم أنها لم تخضع لها بشكل مباشر، وقد جاء ذلك نتيجة مجموعة من العوامل جعلت من قرطاجة مدينة الصدارة في الوجود الفينيقي في المنطقة ومن هذه العوامل ما يلي :

العوامل التي ساعدت قرطاجة على الزعامة :

ضعف المدن الفينيقية في الشرق :

تعاقبت المدن الفينيقية الواقعة على ساحل البحر المتوسط الشرقي في تأسيس المراكز التجارية والمستوطنات في الغرب، وتناوبت السيادة عليها حسب سيادتها في الوطن الأصلي، وكان أهم هذه المدن صيدا وصور، وقد ظلت هذه المراكز تابعة مباشرة لمدنها الأصلية، تدير شئونها وتأتي منها بالبضائع، وتوزع من خلالها منتجاتها، وبذلك فهي عبارة عن نقاط متقدمة لها، ولذا فقد ظلت السيادة شرقية خالصة حتى بداية القرن السادس ق.م، حيث لم نعثر على ما يدل على استقلال إحدى هذه المستوطنات، ولم نعثر على أي ذكر لحكومة لإحداها في أي وقت من الأوقات قبل هذه الفترة[1]، ولا يستبعد أن تكون تلك المراكز تحت سيطرة أشخاص بعينهم يشرفون على نشاطها التجاري إما مباشرة وإما عن طريق وكلاء يديرون شئونها تحت لواء دولة المدينة، وغالبا ما يكونون من ذوي السلطات في المدينة الأم، ويوحي لنا بذلك تحول تبعية هذه المراكز بانتقال أهم الشخصيات في تلك المدن إلى قرطاجة بعد إحساسهم بعدم الطمأنينة في الشرق [2].

إن ما يجري من أحداث في الشرق كان ينعكس بدوره على الوجود الفينيقي في الغرب، فقد ضعفت مدينة صور، وفقدت قوتها نتيجة للضغوطات

---

(1) الفرجاوي ، احمد، المرجع السابق ، ص 192.

(2) Weill, Raymond, Phoenicia and wester n Asia to The Macedonian conquest, Tranzlated: Ernest, F.Row-Arno Press, New York Times Company, New York 1978 .P 194-198.

المستمرة إلى حد فقدانها حريتها أحيانا، وتبع ذلك تناقص في سيادتها على مستوطناتها في الغرب حيث أصبحت لا تستطيع حمايتها، أو تقديم العون لها، أو حتى الدفاع عن مصالحها هناك، وهي التي كانت لها الزعامة في الشرق، وبذلك أصبح لزاما على أقوى مدينة فينيقية في المنطقة أن تتحمل المسئولية، وأن ترث الدور الصوري فيها[1]، ولم تكن هذه المدينة سوى قرطاجة، وبذلك بدأ هذا الدور يتحول إليها تدريجيا، بعد أن تنامت قوتها العسكرية والسياسية بفضل الإمدادات التي كانت ترد إليها من مختلف الاتجاهات، مما أعطاها تفويضا منطقيا لخلافة صور في حوض البحر المتوسط الغربي، ومن هنا بدأ نجم قرطاجة يسطع كقوة لها كيانها الخاص، بل وأصبحت تشغل المكانة الأولى بين المستوطنات الفينيقية في المنطقة، وبدأ نفوذها يتزايد بتأسيسها للمستعمرات الخاصة بها، مما حتم على المراكز والمستوطنات الأخرى أن تتجه نحو دائرة النفوذ القرطاجي[2] الذي أصبح الراعي الأول للمصالح الفينيقية، والوارث الشرعي للوطن الأم في المدن الفينيقية في الغرب.

ظهور بعض القوى المنافسة في غرب البحر المتوسط :

إن ظهور دولة المدينة في بلاد اليونان واستقرارها ترتب عليه بداية التوسع الإغريقي، وتحول أنظارهم إلى الخارج، وبداية إنشاء المستوطنات في الغرب في جنوب إيطاليا، وعلى ساحل البحر المتوسط الجنوبي، ممثلة في مستعمرة "قوريني" خلال القرن السابع حوالي 631 ق.م تقريبا، وبذلك أصبحوا يقسمون البحر المتوسط إلى نصفين[3]، مما أدى إلى حرمان المراكز التجارية والمستوطنات الفينيقية التي كانت تنتشر في الغرب من الوصول إلى الوطن الأم بأمان، خاصة وأن العلاقات الفينيقية الإغريقية ليست ودية في

---

(1) الناضوري ، رشيد، المرجع السابق ، ص172.

(2) صفر ، أحمد ، مدنية المغرب في التاريخ ، ج1، أبوسلامة للنشر ، مطبعة العمل ، تونس 1959م ، ص93.

(3) P299 - 304. , Finly, M. I . The Greek Historians , Chatto& Windus , London, 1939

كثير من الأحيان، ولذا فقد أصبحت هذه المراكز في حاجة إلى من يحميها، ويقف في وجه القوة الجديدة الزاحفة نحوها، والمتمثلة في المستوطنات الإغريقية الجديدة التي أصبحت تنافس الفينيقيين في تلك المنطقة، فمنذ مطلع القرن السادس أي حوالي 580 ق.م حاول الإغريق بزعامة سيلينوس طرد الفينيقيين من صقلية بالقضاء على مستوطناتهم فيها مثل موتيا وبانورومس، وبالنظر لضعف هذه المراكز فإنه أصبح من الواجب على قرطاجة التصدي لهذه المحاولات، وبالفعل فقد استطاعت الحد منها[1].

هذا الزحف الإغريقي وتأسيس المستوطنات أدى إلى إحساس الفينيقيين بالخطر في الأماكن التي كانت قريبة من هذه المستوطنات، ففي سردينيا اتحد الفينيقيون لمواجهة ذلك الخطر، ومن المرجح أن ذلك قد تم تحت إشراف قرطاجة إن لم يكن بإيعاز منها، ولزيادة نفوذها وإحكام سيطرتها هناك تحالفت مع الأتروسكيين الذين خاضت معهم معركة الاليا عام 535ق.م ضد الإغريق، فكان لها النفوذ الأقوى في البحر التيراني، ونتيجة لما بذلته من جهود جبارة لحماية المراكز الفينيقية وللمكانة التي تمتعت بها فقد تم اعتراف الآخرين لها بالزعامة والتفوق[2]، يضاف إلى ذلك أن سيطرة الإغريق على مضيق مسينا الذي يربط الجنوب الإيطالي بجزيرة صقلية قد قطع الطريق على السفن الفينيقية الآتية من الغرب، ومنعها من استخدام ذلك المضيق، مما دفعها إلى اللجوء إلى ميناء قرطاجة الكبير[3]، الأمر الذي منحها ميزة أن تكون قبلة السفن الفينيقية الذاهبة إلى الغرب والعائدة منه، وظهور قوة جديدة ناشئة في الشمال تمثلت في القوة الرومانية بدأت تأخذ مكانها وتضيق المجال أمام الفينيقيين، حيث دخلت في صراع مع الأتروسك شركائهم التجاريين في المنطقة، وعملت على إخضاعهم وإدخالهم في حظيرتها ، وليس من المستبعد

---

(1) الأشقر ، أسد ، المرجع السبق ، ص43.

(2) وارمنجتون ، ب. ه ، المرجع السابق، ص456.

(3) مازيل ، جان، المرجع السابق ، ص 105.

أن تكون قد تحالفت مع الإغريق ضدهم، وفي هذا الأمر إنـذار للفينيقيـين أنفسهم، فقد شعروا بأنهم أمام أخطار جسيمة، وأنه لابد لهم من إيجاد حامٍ لهم على قدر من القوة يلجأون إليه، وليس هناك من يضطلع بهذا الدور سـوى قرطاجة ، فاتجهت أنظارهم إليها وأزداد تقربهم منها، ولم تتأخر هي أيـضا فانتهزت الفرصة لتجعل من نفسها حامية لهم عوضا عـن زعيمـتهم فـي الشرق[1]، وورثت تلك التركة الثقيلة التي وجدت نفـسها مـسئولة عنهـا، وملزمة بتحمل أعبائها، فعملت على بسط سيطرتها علـى تلـك المراكـز، فجعلت بعضها تابع لها مباشرة والبعض الآخر بشكل غير مباشر .

طبيعة قرطاجة:

تميزت قرطاجة عن غيرها بموقع جغرافي ممتاز، فقد كانت تحتل موقعـا استراتيجيا يتوسط ساحل أفريقيا الشمالي، وكانت هي الأقوى بين المدن الفينيقيـة، وهي التي تمتعت برعاية مدينة صور في الشرق[2]، كمـا أنهـا كانـت تتمتـع بإمكانيات اقتصادية وعسكرية ميزتها عن غيرها، وقد جاءت هذه الإمكانيات مـن خلال موقعها الإستراتيجي، فكان بها أكبر ميناء تجاري فينيقي في غرب البحـر المتوسط إلى جانب الميناء الحربي[3]، ولذلك فقد قصدته الـسفن التجاريـة مـن الشرق إلى الغرب، ونتيجة لازدياد عدد سكانها أصبحت ملتقى تجار المستوطنات والسوق الاستهلاكية لمنتجاتها مما ساعد على ازدهارها الاقتصادي، فعلى سـبيل المثال كان الفينيقيون في قادش يصطادون أسماك التونة الكبيرة، وبعـد حفظهـا بالملح يتم إرسالها إلى قرطاجة، إما لاسـتهلاكها أو لإعـادة تـصديرها للعـالم الخارجي[4]، وكان لتوسطها المراكز الفينيقية دور في أن تكـون حلقـة الوصـل

---

(1) نصحي ، إبراهيم ، المرجع السابق ص245.

(2) الفرجاوي ، أحمد ، المرجع السابق ص127

(3) حجازي، عبد العزيزعبدالفتاح، البحرية القرطاجية، رسالة دكتوراة لم تنشر، جامعـة القـاهرة، معهـد البحوث الإفريقية 1985 ص26-28.

(4) مازيل ، جان، المرجع السابق ص120.

كمحطة تجارية في بادئ الأمر، ثم ما لبثت أن أصبح لها التفوق، كما أنها بفعل نموها التجاري السريع نتيجة الحركة الدؤوبة في موانئها، وازدهار اقتصادها، وتوجه الصوريين إليها أصبحت قرطاجة مركزاً للثقل الفينيقي في غرب البحر المتوسط ، ونتيجة لهذا كله وجدت قرطاجة أنه لا بد لها من أسطول حربي لحماية هذه الممتلكات، وكان لها ما أرادت، فأسست أقوى أسطول في المنطقة، مكنها من قهر الأعداء ونصرة بني جلدتها بإرسال النجدات إلى المستوطنات الأخرى عند تعرضها للخطر، كما حدث في إسبانيا، ووقفت في وجه الإغريق في صقلية وسردينيا وقدمت المعونة لسكانها مما حدا بالمستوطنات الأخرى المجاورة لها بقبول وضع التبعية للمدينة الجديدة [1] التي بدت هي الأقوى، هذه القوة مكنتها من الوصول إلى أقصى المستوطنات في الغرب، وأن تبهرها بالقوة التي وصلت إليها، فأقنعتها بالانضواء تحت لوائها عن طيب خاطر، ولم يحدث أن سمعنا أن القرطاجيين قد أجبروا إحدى المستوطنات على الانضمام إليها بطريق القوة، وإنما كان كل ذلك بفضل قناعة باقي المستوطنات بأن قرطاجة هي الوارث الشرعي للمدينة الأم صور، فاضطلعت بهذا الدور وبسطت حمايتها على أبناء عمومتها من خليج سرت شرقا حتى بلاد أيبيريا وأعمدة هرقل غربا[2]، فكانت خير خلف لخير سلف. ومن هنا فإن هذه الزعامة لم تأت مصادفة ولا بقوة السلاح ، وإنما جاءت نتيجة عوامل تضافرت وجعلت من قرطاجة زعيمة للوجود الفينيقي في غرب البحر المتوسط ، وأدى ذلك إلى نمو قرطاجة وتكوين الإمبراطورية القرطاجية فيما بعد.

(1) Rawlinson,George .A .M , op .cit . P 65.

(2) غانم ، محمد الصغير ، التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط ، المرجع السابق ص 112.

علاقة قرطاجة بالوطن الأم

نشأت قرطاجة في الشمال الأفريقي كإحدى المستوطنات التي أُسست من قبل التجار الفينيقيين، وإن اختلف العلماء في تاريخ نشأتها، إلا أنه حدد لها الربع الأخير من القرن التاسع ق.م كتاريخ لتأسيسها الذي عرفت به فيما بعد، وعلى الرغم من أن قرطاجة نشأت كمدينة قبل هذه الفترة على الأرجح، إلا أنه لم يكن لها شأن يذكر حتى جاءها فريق من ساسة صور وأسسوا بها حكومة في 814- 813 ق.م تقريبا.

نمت مدينة قرطاجة خلال القرنين التاليين لتأسيسها منذ نهاية القرن التاسع حتى بداية القرن السادس ق. م تقريبا في أحضان زعيمة المدن الفنيقية في الشرق " صور "، حيث خصتها بكل ما من شأنه أن يمنح هذه المدينة خصوصية عن غيرها من المدن، فقد خصتها بالأموال ورجال السياسة والإدارة والصناع والحرفيين المهرة، ومنحتها الأسطول البحري الذي أصبح نواة لأسطول قرطاجة فيما بعد، فاستخدمته في تجارتها، ثم تحول بعد ذلك إلى أسطول بحري عسكري [1]، ولم يتوقف عنها هذا الدعم طيلة قرنين من الزمان حتى أصبحت قرطاجة مع نهاية القرن السابع ق.م مدينة ودولة لها شأنها في المنطقة، يكاد يفوق مدينة صور نفسها التي أخذ مجدها يتناقص تدريجيا نتيجة عوامل تحدثنا عنها سابقا، ومع ذلك فقد ارتبطت قرطاجة بمدينتها الأم صور بعلاقات وثيقة استمرت حتى احتلال صور من قبل الاسكندر المقدوني في القرن الرابع ق. م ، وإن تفاوتت هذه العلاقات بين وقت وآخر حسب الظروف السائدة، ومن هنا يمكن أن تقسم العلاقة إلى مرحلتين رئيستين هما :

---

(1) Rollin, M. The Ancient History of The Egyptians, Carthaginians, Assyrians, Babylonians, Medes and Persians, Grecians and Macedonians, Tranzlated from The French, Vol. 1,The Sixteenth Edition, London, 1823. P 101.

المرحلة الأولى :

تمتد هذه المرحلة منذ تاسيس قرطاجة 814ق . م وحتى بداية القــرن السادس ق.م، وفي هذه المرحلة يمكن أن نطلق على قرطاجة صفة " القــائم بالأعمال الصورية فى الغرب"، فقــد وضــعت صــور سياســة قرطاجــة الاقتصادية، ووجهت نشاط الأساطيل البحرية[1]، حيث لا يوجد في هذه الفترة أي ذكر لقرطاجة إلا في كنف مدينة صور، فهي تعتمد عليها بــشكل يكــاد يكون كليا، وهي في واقع الأمر لم تكن سوى مركز متقدم اختارته صور في حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي لتدير نشاطها التجاري من هناك [2]، وقد برهن على ذلك أنها كانت الملاذ الآمن الذي يلجأ إليه الصوريون عنــد تعرضهم للخطر في الشرق، فقد أرسلت النساء والأطفال من صــور إلــى قرطاجة زمن الحصار الذي تعرضت له في القرن الرابع ق. م[3]، وهذا مــا يمكن أن يفسر لنا غموض تاريخ قرطاجة في تلك الفترة خاصــة الــسياسي منه، فمن المرجح أنها كانت تحكم من خلال مديري أعمال صوريين وبعض النواب من الطبقة الأرستقراطية في مدينة صور نفسها، حيث إننا لم نــسمع عن أي حاكم في المدينة قبل القرن السادس ق.م سواء كان مدنيا أوعسكريا بعد الأميرة عليسه، وقد كان "مالخوس " أول قائد قرطاجي يصلنا ذكره على الرغم من نشاطهم المبكر في المنطقة خلال القرن السابع ق.م، والذي وصل إلى حد تأسيس بعض المستوطنات التي نسبت إلى قرطاجة [4]، وهذا يوحي بأن من قام بهذه الأنشطة هم من الصوريين انطلاقا من قرطاجة.

---

(1) صفر، أحمد ، المرجع السابق ص141

(2) picard, G. and colette charles, Daialy life in cartage at the time of Hannibal , tranzlatad from the frinsh by . A.M foster , Rusk in house George Allen and uniun LTD , London , 1961 . p 167

(3) الفرجاوي ، أحمد ، المرجع السابق ص130

(4) مازيل ، جان ، المرجع السابق ص209

إن الصمت الذي أبداه الكُتّاب الكلاسيكيون تجاه تاريخ قرطاجة السياسي والاقتصادي وحتى الديني في هذه الفترة، إنما كان مرده إلى عدم وجود تاريخ مستقل لقرطاجة، وتبعيتها شبه التامة للمدينة الأم، وأن الأوامر كانت تصدر من هناك، فقد كان على قرطاجة أن ترسل جزءاً من الأموال التي تحصل عليها سواء من التجارة أو من الأعمال الحربية إلى المدينة الأم في الشرق، وقد أطلق على هذه الأموال ضريبة العشر، وهو تقليد متبع في الشرق[1]، ومن المرجح أن هذه الضريبة كانت تنضوي تحت الأموال السيادية، وليست الدينية، فكانت ترسلها المستوطنات إلى البلد الأم، مثلما كانت تفعل مستوطنات "سريتا، ولبا، وبيت زتي" على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، التي كانت ترسل هذه الأموال إلى مدينة صور، ولم يكن هذا التقليد مقتصرا على صور وحدها، بل كان حقا من حقوق الملك في البلدان المجاورة أيضا مثل: مملكة "أوجاريث"[2]، ومن الواضح أن هذه الجباية كانت لها دلالة سياسية، حيث كانت لا تجبى إلا من الرعايا التابعين مباشرة، ولا تجبى من الدول التابعة أو الخاضعة للمملكة[3]، وفي هذا تأكيد لتبعية قرطاجة لصور، وبذلك فإن تلك الأموال قد تناقصت خلال القرن الخامس ق.م، بل وتوقفت تماما خلال القرن الرابع ق.م عندما وقعت صور تحت سيطرة الإسكندر الأكبر، بينما استمرت السفارات الدينية السنوية[4]، هذا بالإضافة إلى حقوق مدينة صور الثابتة في الغنائم والأسلاب التي كانت تحصل عليها قرطاجة من خلال بعض العمليات العسكرية التي كانت تقوم في الحوض الغربي للبحر المتوسط، حيث كانت تقسم بين قرطاجة نفسها وبين مدينة صور قبل ظهور الأسرة الماجونية، وبداية انفصال قرطاجة عن الشرق، وليس في ذلك غرابة في الواقع، فهي التي حبتها وحمتها وقدمت لها كل ما من شأنه أن يجعلها تقف على قدميها وتكون مركزا للنقل الفينيقي في الغرب.

---

(1) Rawlinson , G . M . A , op . cit . P89-96.

(2) الفرجاوي، أحمد ، المرجع السابق ص42.

(3) Weill , R , op . cit . P184 .

(4) الفرجاوي، أحمد ، المرجع نفسه ص47

هذا عن الجانب السياسي والاقتصادي، أما عن الجانب الديني فإننا نجد أن الآلهة القرطاجية ما هي إلا آلهة فينيقية صرفة في المرحلة الأولى من تأسيس قرطاجة، جاء بها الفينيقيون من الشرق، فأول معبد أسس في قرطاجة كان معبد الإله أشمون، كما أن الإله ملقرت هو حامي المدينة[1]، وكان الإله بعل حامون هو أشهر الآلهة القرطاجية حتى منتصف القرن الخامس ق. م.

ومن هنا يمكن أن نصل إلى نتيجة مفادها : أنه في الفترة الممتدة من القرن التاسع وحتى بداية القرن السادس ق. م كانت قرطاجه تابعة لمدينة صور تبعية تامة، وفي أغلب الظن أنها كانت تحكم مباشرة من صور نفسها، أو أنها تدار من قبل مجلس يعين من الشرق، ولم نعرف تاريخا مستقلا إلا عند بداية القرن السادس ق. م، عندما تعرضت صور للاحتلال البابلي على يد الملك نبوخذ نصر " 604 – 561ق.م" [2].

المرحلة الثانية :

وتبدأ هذه المرحلة مع بداية القرن السادس ق. م تقريبا حتى سقوط قرطاجة، وقد شهدت هذه المرحلة ظهور قرطاجة ككيان مستقل سياسيا واقتصاديا وعسكريا[3] بانتقال جل الطبقة الأرستقراطية إليها، وبداية ضعف مدينة صور في الشرق نتيجة الأسباب التي ذكرناها آنفا، وفي هذا القرن بدأت قرطاجة تتجه نحو الاستقلال السياسي والاقتصادي، فظهرت فيها الهيئات السياسية، وأسماء القادة البارزين، والمجالس الحاكمة والمحلية، التي لم يردنا ذكرها في المرحلة الأولى،حيث ورد أول ذكر لتلك المجالس خلال منتصف القرن السادس ق.م، ثم جاءت بعد ذلك الأسرة الماجونية، التي تعتبر المؤسس الفعلي للإمبراطورية القرطاجية، حيث اكتسبت في عهدها

(1) القرجاوي، أحمد ، المرجع نفسه ص174.

(2) كونتنو ، ح ، المرجع السابع ص98

(3) Markoe, peoples of the past , Phoenicians , the Trastees of The British Museu, 2001– p 98

شخصيتها الخاصة، وأصبح لها أسطولها التجاري البحري والحربي، ووقفت في وجه الإغريق، فقد كان ماجون أول من أوجد النظـام العسكري في قرطاجة [1]، وبدأت الرحلات الكشفية مثل: رحلتي " حيميلكو و حنون "، وبذلك أخذت قرطاجة تنفصل تدريجيا عن صور، وإن احتفظت بالكثير من الأشياء التي تربطها بها، خاصة في الجانب الديني، ففي هذه الفترة تبدلت العلاقة بينهما فتحولت من علاقة التبعية إلى علاقة العرفان بالجميل، والاعتراف بحقوق الأمومة والتنشئة، وبالتالي كان على قرطاجة أن تمد يد العون إلى الوطن الأم في الشرق، فاستمرت في إرسال البعثات الدينية للمشاركة في الاحتفالات السنوية بمعبد الإله ملقرت، وتعددت الوفود التي ترسلها قرطاجة إلى صور، واستمرت حتى القرن الرابع ق. م. تقريبا، فقد ذُكر أنه كان هناك وفد قرطاجي في صور أثناء حصار الإسكندر الأكبر لها في 322ق.م[2]، ولم يحدث أن سمعنا أن وفدا صوريا قد سافر إلى قرطاجة بشكل رسمي.

ومما يدل على الارتباط الوثيق بينهما أن الفرس عندما غزوا مصر في عهد "كامبيس" في نهاية القرن السادس ق م تقريبا، وأرادوا التقدم غربا لغزو قرطاجة، رفض البحارة الفينيقيون الذين كانوا بالأسطول التوجه مع الفرس نظرا للقسم الذي كان يربطهم بإخوانهم في الغرب،قائلين قولتهم المشهورة : "إنه من المستهجن أن يشن الناس الحرب على أطفالهم"[3]. مما يوضح أن قرطاجة تابعة لصور، حيث شبهت "قرطاجة" بالطفل و"صور" بالأم.

وارتبطت قرطاجة بموطنها الأم في الشرق حتى بعد أن حالت الظروف الدولية دون ذلك، وعملت على انفصالها، كظهور الإغريق في وسط البحر الأبيض المتوسط، وتلاحق الضربات العسكرية على صور من الشرق، فاستمرت العلاقات الاقتصادية واستمر التواصل وتدفق الأموال على

(1) صفر؛ أحمد ، المرجع السابق ص167.
(2) الفرجاوي، أحمد ، المرجع السابق ص49 .

(3) Markoe , op . cit . P54 .

صور التي كانت في المرحلة الأولي شبه إجبارية، ولكن بعد القرن الخامس ق.م اقتصرت هذه المبالغ على الجانب الديني فقط، حيث كانت تحملها السفارات السنوية التي كانت ترسل لهذا الغرض، والتي كانت تحمل القرابين إلى معبد الإله ملقرت، ولا يعرف بالضبط إن كانت الأموال المرسلة تخصص من الدخل العام لقرطاجة، أم أنها من الأموال التي كانت تخصص للمعابد في المدينة ، ومع أن بعض المؤرخين يعتبر أن ذلك بمثابة جزية[1]، إلا أنه لا يمكن أن يكون كذلك ، فهو مجرد التزام ديني وإحساس بالانتماء العرقي لا أكثر، حيث إن مدينة صور قد أصبحت بعد القرن السادس ق. م في وضع لا يسمح لها أن تفرض الجزية على غيرها، هذا فضلا عن أن ذلك يتناقض مع طبيعة العلاقة بين صور وقرطاجة، فالجزية بالمفهوم الحديث هي مبالغ مالية تفرضها الدولة المنتصرة على الدولة المهزومة، وهي إن لم تدفع طوعا، أخذت كرها وهذا ما حدث عندما رفضت مدينة عتيقة دفع الأموال المستحقة عليها فجرد ملك صور حملة عليها وأجبرها على دفع تلك الأموال[2]. وفي الواقع فإن قرطاجة لم تنفصل يوما عن وطنها الأم صور، إلا بعد القرن السادس ق.م، فقد كانت بصمات الشرق واضحة عليها، وتجلى ذلك في العقلية، وفي أسلوب الحكم ونظام الحياة، فعلى سبيل المثال لم تعمل على توحيد المستوطنات الفينيقية في الغرب – بالرغم من توفر الظروف المناسبة لذلك – في مواجهة الأخطار والتحديات التي ظهرت في المنطقة، ولم تأخذ مثالا مما كانت تقوم به القوات الرومانية الناشئة [3]، كما أن النظام الاقتصادي الصوري وطرق المعاملة قد بقت بصماته في قرطاجة إلى زمن متأخر، حيث استمرت قرطاجة تسير بنظام المقايضة في أسواقها التجارية، ولم تضرب عملتها إلا في القرن الخامس ق.م، على الرغم من أن بعض المستوطنات الفينيقية الأخرى الأقل شأنا قد سبقتها إلى ذلك، مثل: "موتيا" في

---

(1) عصفور ، محمد أبو المحاسن ، المرجع السابق ص66

(2) الميار، عبدالحفيظ ، المرجع السابق ص 124.

(3) Markoe_, op .cit . p 98.

صقلية، وحتى عندما ضربت عملتها اعتمدت القاعدة الفينيقية في ذلك[1]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن قرطاجة ظلت متأثرة بنظام وطنها الأم في الشرق حتى بعد أن أصبحت إمبراطورية مستقلة، وعلى الرغم من أن قرطاجة قد أصبح لها نمطها الخاص، وطبيعتها الخاصة التي عرفت بها نتيجة احتكاكها بشعوب غرب البحر المتوسط ، وما نتج عن ذلك من ظهور ما عرف بالحضارة البونية فيما بعد، إلا أنها لم تنسلخ في يوم من الأيام وتتنكر لمدينة صور التي سهرت عليها، وأنشأتها، وأمدتها بكل شيء، فما هي إلا علاقة الأم بابنتها .

مما تقدم يتبين لنا أن الفينيقيين قد عرفوا الحوض الغربي للبحر المتوسط مبكراً، وارتادوا شواطئه للتجارة فباعوا واشتروا مع السكان المحليين، وانشأوا المراكز التجارية واستطاعوا أن يؤسسوا المستوطنات في طوله وعرضه في" شمال افريقيا الحالية وجزيرتي صقلية وسردينيا وجزر البليار وشبه جزيرة أيبيريا" حتى تجاوزوا "أعمدة هرقل" منذ الألف الثاني ق.م، ثم بدأ الانتشار الإغريقي هو الآخر في المنطقة مع بداية القرن الثامن ق.م وحاولوا الاتصال ببلاد ترشيش مصدر المعادن، وهنا بدأ يبرز دور احدى المستوطنات الفينيقية وهي"قرطاجة" وبدأت تأخذ دورها كزعيمة للوجود الفينيقي في غرب البحر المتوسط نتيجة مجموعة من العوامل كان على رأسها الضغط من قبل إمبراطوريات الشرق على المدينة الأم "صور"، والزحف الإغريقي الذي أصبح يهدد المستوطنات الفينيقية في المنطقة ، فعقدت اللواء لهذه المدينة التي عاشت في كنف أمها "صور" في بداية تأسيسها ثم ما لبثت أن انفصلت عنها مع مطلع القرن السادس ق.م ، وحلت محل أمها صور في حماية المستوطنات الفينيقية في حوض البحر المتوسط الغربي ، وتحملت مسئولية الدفاع عن المصالح الفينيقية في غرب البحر المتوسط ، مما جَرَّها إلى قيادة الصراع ضد الإغريق فيما بعد.

---

(1) الفرجاوي ، أحمد ، المرجع السابق ص107.

الفصل الثاني

الصراع القرطاجي الإغريقي

المبحث الأول

الفينيقيون والإغريق في إيطاليا

الوجــود الفينيقي :

* فــي صقلية
* فــي سردينيا

الوجــود الإغريقي :

* فــي الجنوب الإيطالي .
* فــي صقلية .

الوجود الفينيقي في إيطاليا :

أولاً : الوجود الفينيقي في صقلية :

بدأت معرفة الفينيقيين بالوطن الإيطالي بشكل عام ، وبجزيرة صقلية بشكل خاص ببداية معرفتهم لمنطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط ، في النصف الثاني من الألف الثانية ق.م ، وعلى الرغم من إرجاع معرفة الفينيقيين للمنطقة إلى نهاية القرن الثاني عشر ق.م ، إلا أنه من المرجح أن تلك المعرفة قد بدأت مع بداية القرن الخامس عشر ق.م على الأقل ، وذلك بالاعتماد على التسلسل المنطقي للارتياد الكشفي للفينيقيين والحركة التجارية التالية له ، فقد كانت جزيرة صقلية تمثل نقطة العبور التي لا غنى عنها للتجار المتجهين نحو الغرب ، خاصة وأن تجار الشرق قد وصلوا للحوض الغربي بواسطة الطريق الشمالي للبحر المتوسط كما يحدثنا الباحثون [1] ، حيث أجبرتهم ظروف الملاحة ونوعية صناعة السفن وجهلهم بطرق الملاحة البحرية على السير بمحاذاة السواحل ، والتنقل بين الجزر القريبة من بعضها ، وإنشاء المحطات التجارية فيها ، بحيث تكون على مسافات قصيرة لا تتعدى مسافة اليوم الواحد من الإبحار[2] ، وبذلك فقد انطلق الفينيقيون من موطنهم الأصلي في شرق البحر المتوسط عبر الجزر اليونانية ، حتى وصلوا جزيرة صقلية ، حيث أنشأوا فيها محطاتهم التجارية التي أصبحت فيما بعد مراكز مهمة انطلقوا منها باتجاه مختلف شواطئ الحوض الغربي للبحر المتوسط منتشرين على أهم جزره ، وكل مكان رأوه صالحا لحركتهم التجارية.

وفي الواقع إن الفترة التي قضاها الفينيقيون في الجزيرة حتى عبروا

---

(1) حتى ، فيليب ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ط . ت ، جورج حداد ، عبد الكريم رافق ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط 3 . د .ت ص104 105 , .

(2) الناضوري ، رشيد ، المرجع السابق ص167

البحر إلى الشواطئ الجنوبية غير معروفة[1] ، ولكنها أصبحت نقطة انطلاق تنطلق منها سفنهم وتعود إليها ، حتى أصبحت لهم فيها مستوطنات ثابتة معلنة عن حضور فينيقي في المنطقة كان خير داعم وأقوى سند للإمبراطورية القرطاجية فيما بعد ، والتي بدورها احتضنت تلك المستوطنات وأمدتها بالحماية من الأخطار الخارجية ، وارتبطت معها بروابط اقتصادية وسياسية ، وصلت في بعض الأحيان إلى حد بسط السيطرة المباشرة ، كما حدث في سردينيا[2] مثلا.

إن بداية معرفة الفينيقيين بالجزيرة تظل غير محددة على وجه الدقة ، ومرهونة بتطور الحفريات الأثارية فيها ، وما تكشف عنه الدراسات المقبلة ، وإزاء هذا الواقع فقد انقسم الباحثون حول هذا الموضوع إلى فريقين:

فريق يرى أن بداية تواجدهم الفعلي وتكوين المراكز التجارية يعود إلى القرن الرابع عشر أو الثالث عشر ق.م على الأقل ، وأن ذلك التاريخ يعد مقبولا انطلاقا من محاولة الربط المنطقي بين الشذرات المتفرقة التي وصلتنا عن ذلك الحضور ، والتي كان من أهمها تمثال البرونز الذي يمثل أحد الآلهة الفينيقية الذي عثر عليه في الجزيرة ، والتي تعود صناعته إلى القرن الرابع عشر ق.م تقريبا[3] ، وعلى الرغم من أننا لا نستطيع أن نبني أحكاما قاطعة على مثل هذا الدليل ، إلا أنه لا يمكن تجاهله تماما بالنظر إلى ماهيته ، فهو يعبر عن جانب روحي ، وليس مادة تجارية يمكن التعامل بها من قبل تجار آخرين ، وكذلك الحديث عن وصول الفينيقيين إلى أرض الغرب وتأسيس المدن في أسبانيا ، فلابد أن تكون المستوطنات التي انطلقوا منها قريبة منهم كما تحدثنا سابقا ، فعلى الأقل لا يعقل أن تكون تلك المستوطنات أبعد من

---

(1) بن إدريس ، عمر الصراع القرطاجي الإغريقي في غرب البحر المتوسط ، دبلوم دراسة معمقة ، جامعة الجزائر ، د .ت . ص22.

(2) Acquaro , Enrico , "Sardinia" ,in Sabatino Moscati, The phoenicians , op . cit . P .272 .

(3) Moscati .S . "Colinization of Mediterranean" , op . cit . P 48.

سردينيا أو صقلية على أقل تقدير ، وهذا يدفعنا إلى الاعتقاد بأن مستعمراتهم في وسط البحر في" صقلية وسردينيا" أقدم من مستعمراتهم في شمال غـــرب أفريقيا وأسبانيا[1] ، وهذا ما يزيد في اعتقادنا بأن الوجود الفينيقي كان مبكرا في صقلية ، وعلى الرغم من أن الدراسات السابقة كانـــت تعتبـــر أن ذلـــك التواجد لا يتعدى القرن الثامن ق.م محاولة ربطه بالوجود الإغريقي ، إلا أن الدراسات الحديثة بدأت تشير إلى قدمه ، وتقول: إن الفترة الممتدة بين نهاية القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر يمكن أن تكون التاريخ المقبول لبداية الحضور الفينيقي في الجزيرة ، خاصة وأن بعض المهتمين بدراســة الحضارة الصقلية يرى أن لها صلات بحضارات شرقية أخرى ظهرت مـــن خلال الأباريق التي استخدمت خلال القرنين الحادي عشر والعاشـــر ق.م ، وكذلك بعض التمائم والجعلان التي لم تكن صناعتها محلية ، وقد عثر عليها في سيراكوزا وميغارا ، ومن المرجح أن من جاء بها هم الفينيقيون[2] ".

أما الفريق الآخر فإنه يعتمد على الدليل المادي في تحديد بداية الوجود الفينيقي في صقلية ، وبذلك فهو يرى أنه لا يتجاوز القرن الثامن ق.م ، وذلك لعدم وجود آثار باقية تدل على وجودهم قبل هذه الفترة[3] ، وفي هذا إشـــارة إلى أن الحضور الفينيقي في صقلية إنما جاء من قرطاجة علـــى الـــسواحل الأفريقية ، وقد حاول هذا الفريق الربط بين الوجود الإغريقي والفينيقي فـــي المنطقة رغم الفارق الزمني وأسبقية الوجود الفينيقي ، مركزين على الفتـــرة التي أعقبت تأسيس قرطاجة ، وبداية الزحف الإغريقي على الجزيرة ، وذلك من خلال التأريخ للصراع بين الفريقين ، ومن هنا جاءت كتاباتهم تأريخا لمـــا بعد القرن الثامن ق.م ، متناسين الفترة السابقة له ، حيـــث كانـــت المراكـــز الفينيقية والمستوطنات تنتشر لا في صقلية فحسب ، وإنما على مختلف شطآن

---

(1) باقر ، طه ، المرجع السابق ص25 .

(2) Tusa , Vincenzo , "Sicily",in Sabatino Moscati ,The Phoenicians , op . cit P. 231.

(3) Burn ,Andrew , op . cit .p 144 .

الحوض الغربي للبحر المتوسط ، وحجة أصحاب هذا الرأي تتمثل في نقطتين:

الأولى : تتمثل في صحة الدلائل الأثارية ، حيث لا توجد أدلة مادية تثبت أقدمية الوجود الفينيقي من خلال الحفريات الأثرية(1) ، وهذا الأمر على الرغم من أخذه بعين الاعتبار ، إلا أن الحفريات لا تزال قائمة ، وبالتالي فهي قد تأتي بالجديد في أية لحظة ، كما أن طبيعة الحضور الفينيقي قد ساهمت بشكل كبير في عدم توفر هذه الأدلة ، حيث كانت أعدادهم قليلة ، وطبيعتهم التجارية تجعلهم لا يهتمون بإقامة المنشآت التي من شأنها أن تترك آثارا تبين لنا تاريخ مجيئهم ، كما أن المواقع التي استقروا بها كانت عبارة عن نتوءات جبلية في داخل البحر ، أو أنهم استقروا في جزر صغيرة قريبة من الساحل ، عملوا على وصلها بالبر الرئيس ، أو أشباه جزر تعاملوا من خلالها مع السكان المحليين(2).

الثانية : تركز على الوجود الفينيقي في غرب الجزيرة دون شرقها ، وهذا ما دفع البعض إلى الاعتقاد بأن أولئك المستوطنين قد جاءوا من سواحل البحر المتوسط الجنوبية ، ولكن ذلك تدحضه شهادة ثيوكديديس المؤرخ الشهير الذي أشار في كتابه السادس إلى أن المراكز الفينيقية قد انتشرت على طول سواحل جزيرة صقلية من شرقها إلى غربها ، ولكن عندما جاء الإغريق بأعداد هائلة ابتداء من النصف الثاني من القرن الثامن ق.م ، اضطر الفينيقيون إلى ترك مواقعهم في شرق الجزيرة أمام هذا الزحف ، والالتجاء إلى مراكزهم في الغرب مشكلين ما يشبه الاتحاد الكونفدرالي فيما بينهم مستندين إلى تحالفهم مع السكان المحليين من "الأليميين" الذين كانت تربطهم بهم علاقات حسنة ، يضاف إلى ذلك قرب المسافة بين غرب الجزيرة ومدينة قرطاجة(3) التي أصبحت الحامي الرئيس للمستوطنين

---

(1) أبورونية ، الشاذلي ، محمد الطاهر ، المرجع السابق ص75.

(2) Burn ,Robert Andrew , Persia and The Greeks The defines of the west , C.546 _ 478.B.C, Edward Arnold(publisher) London 1940t , P 145 .

(3) Thucdides . Book .VI . II .26.

الفينيقيين ضد أعدائهم ، والملاذ الآمن لهم في غرب البحر المتوسط فيما بعد ، لذلك عندما أحسوا بالخطر تجمعوا في كل مـن: " موتيـا – سـولونتم – سيلينوس – بانتالاريا – ليليبايوم – ...الخ "(الشكل4) ، كمـا أن الإغريـق الذين استولوا على المراكز الفينيقية قد دمروا معالمهـا ، وحلـوا محلهـم ، ويقول ثيوكديديس: إن الانحسار الفينيقي قد جاء وفق رغبتهم ، أو عن طريق اتفاقية وقعت بين الطرفين[1] ، إلا أن هذه مجرد وجهة نظر كاتب إغريقـي يؤرخ لبني جنسه ، وليس هناك ما يدل على أن الفينيقيين قـد تركـوا تلـك المواقع؛ لأنها لم تعد صالحة لبقائهم ، بل أثبتت الحوادث عكس ذلك ، فقـد كان الإغريق يحاربون الأهالي ويطردونهم إلى الدواخل ، ويستولون علـى أراضيهم ويسترقّون من يبقى منهم[2].

من هنا ومن خلال مقارنة الرأيين فـإن الـرأي الأول القائـل بقـدم الحضور الفينيقي في الجزيرة هو الأقرب إلى الترجيح ، لتناغمه مع تسلسل حركتهم التجارية عبر البحر المتوسط ، فالجزيرة تعتبـر نهايـة الطريـق الشمالي وهي قريبة جدا من الجزر اليونانية المتناثرة ، التي تـربط شـرق البحر المتوسط بغربه ، كما أنها تمثل البوابة الرئيسة للحوض الغربي للبحر المتوسط ، وهي أقرب نقطة من اليابسة لما نعرفه اليوم بأفريقيا الـشمالية ، وبالتالي فهي حلقة الوصل بين شمال المتوسط وجنوبه في الغرب[3] ، يضاف إلى ذلك أنه لم يعثر حتى الآن على محطات تجارية تـدل علـى اسـتعمال الفينيقيين للساحل الجنوبي في انتقالهم من الشرق إلى الغرب ، ومن خـلال هذه المعطيات نجد أن للحضور الفينيقي في صقلية أسبقيته المتميـزة عـن غيره ، وأن الرأي القائل بذلك هو أقرب للتصديق.

---

(1) Idem.

(2) Bury , j.B , and et ol , History of Greece to the death of Alex ander the Great . London , New York ,T mortem's press 1963 P.95.

(3) Burn ,Andrew ,op . Cit _ .P144.

مثلت جزيرة صقلية النقطة الأهم في التجارة الصورية نحو الغرب ، ففضلا عن وقوعها بالقرب من شواطئ أفريقيا ، فهي تمثل نقطة متوسطة بين الشرق الفينيقي وبلاد الثروات في الغرب " بلاد ترشيش " ، كما أنها تسيطر على خطوط الملاحة البحرية للمتوسط في العالم القديم ، سواء كان من الشرق إلى الغرب ، أو حتى من الشمال إلى الجنوب ، فمن شواطئها ومراكزها انطلقت السفن الفينيقية إلى سردينيا وإلى مالطا وإلى شمال أفريقيا ، وحتى إلى إسبانيا نفسها[1] ، وبذلك فإن السيطرة عليها ضرورة استراتيجية لاستمرار التجارة بين الشرق والغرب ، لهذه الأسباب وغيرها نجد أن قرطاجة قد تمسكت بها بشكل قوي بعد ذلك ، وخاضت فيها حروبا عديدة لم تنته إلا بانهيار قرطاجة نفسها ، حيث استطاعت من خلالها الاتصال بالجنوب الإيطالي والمتاجرة معه ، كما أن الجزيرة مثلت السوق الجامعة المشتركة التي يلتقي فيها التجار الإغريق و الفينيقيون والإتروسك ، وحتى الرومان فيما بعد ، وكانت المركز التجاري المهم والسوق الرائجة لتصريف البضائع القرطاجية[2] ، كما أنها جغرافيا تعتبر نقطة مهمة على الطريق الواصلة بين قرطاجة وسردينيا ، وأن من يستولي على غرب الجزيرة بالذات تصبح له اليد الطولى في التحكم في تجارة البحر التيرهيني ، ويهدد الوجود الفينيقي في سردينيا برمتها ، لذلك عملت قرطاجة بقوة على حضورها في تلك الجزيرة.

بدأ الحضور الفينيقي في الجزيرة كما ذكرنا على هيئة محطات تجارية لم تلبث أن تحولت إلى مراكز فمستوطنات بفضل وقوعها على خطوط الملاحة إلى الغرب ، فضلا عن اتخاذها كنقاط انطلاق للسفن ومراكز للتجارة مع السكان المحليين ، وبذلك أصبحت موانئ ومخازن لتفريغ البضائع القادمة من الغرب

---

(1) بن ادريس ، عمر ، المرجع السابق ص22.

(2) Lloyd , W . Watkiss , op . cit . p. 38.

وبالعكس[1] ، وأصبحت ذات حركة دؤوبة تعج بالسفن الذاهبة إلى ترشيش والآتية من هناك ، مما جعلها الأكثر ازدحاما بالمرتادين ، وحولهـا مـستوطنات دائمـة تركت لنا آثارا تمثلت في المقابر والمعابد الدينية التـي تركوهـا لنـا ، وكانـت مستوطنات دائمة الحضور فيها بشكل قوي ، وعلى رأسها: مدينة "موتيا " ، التـي لا يعرف بداية تأسيسها؛ لكنها احتضنت الفينيقيين الذين تم ترحيلهم من المراكـز الأخرى في شرق الجزيرة ، ويرجح أن ذلك كان بمعزل عن قرطاجة على عكس الرأي القائل: إن موتيا قد تم تأسيسها من قبـل القرطـاجيين ، حيـث إن هـذه المستعمرة قد شهدت بعض الاستقلال الاقتصادي والسياسي عن قرطاجة نفـسها في بعض الأحيان ، وإن مثلت نقطة الارتكاز القرطاجي في الجزيـرة[2] ، فقـد حوت مؤسسات اقتصادية مستقلة ، كصناعة الطين النضيج ، واستخراج الـصبغة الأرجوانية من خلال آثار القواقع التي وجدت هناك ، مما ينبئ بوجـود صـناعة نسيج مزدهرة ، أي إن هناك منشآت اقتصادية مستقلة عن قرطاجة المدينـة الأم المفترضة ، ولو كان غير ذلك لكانت موتيا عبارة عن سوق أو محطـة توزيـع للبضائع القرطاجية.

ومن الواضح أنه مع بداية القرن السابع وعند اشتداد الضغط السكاني فيها الذي جاء من شرق الجزيرة ، وحتى من الشرق الفينيقي نفسه ، عمـل أهل موتيا على نقل مقبرتهم من الجزيرة الصغيرة إلى البر الرئيس ، وأنشأوا طرقا خاصة بها[3] ، وقد بلغت موتيا أوج ازدهارها مع نهاية القرن الثـامن وبداية القرن السابع ق.م ، واستمرت على هذا النحـو كحاضـرة للوجـود الفينيقي في صقلية ، وحافظت على التواصل بينها وبين قرطاجة حتى بداية القرن الرابع ق.م ، وخير مثال على ذلـك أن دينيـسيوس الأول – عـدو قرطاجة اللدود – رأى أن في تدمير موتيا القضاء على أهم مركز للفينيقيين

(1) Ibid , P. 66.

(2) Harden ,D, op . Cit . P. 61.

(3) Tusa , Vincenzo , op . cit .P. 236 _ 23.

في الجزيرة ، وأهم دعامة لقرطاجة هناك ، ولـــذلك ســـارع فـــي 397 ق.م بحصار موتيا وتدميرها بالكامل[1] ، وهذا – أيضا – يوضح لنـــا اســـتقلال المستعمرة عن قرطاجة ، إذ لا يمكن أن تترك قرطاجة إحدى مـــستعمراتها التابعة لها دون جيش قوي يحميها ، خاصة وهي فـــي صـــراع دائـــم مـــع الإغريق ، ولكن يبدو أن هناك اتفاقاً ينظم العلاقة بين الطرفين ، ويفـــرض رحيل الجيوش القرطاجية بمجرد انتهاء الحرب.

وإلى جانب موتيا كانت هناك مستعمرة "سولوننتم" التي كانـــت هـــي الأخرى تحوي أحواضا لتجميع مياه الأمطار فينيقية الطابع للاستفادة منها في الشرب ، ويدل ذلك على دقة التنظيم العمراني ، والاعتناء بعملية الـــصرف الصحي ، كما وجد بها معبد إلهين يرجح أنهما كانا "لبعل حمون وتانيـــت" ، ويرجح أن بناءهما قد تم عقب القرن الخامس ق.م[2]. أما "بانورومس" فقـــد كانت في كثير من الأحيان مقرا لاستقبال الحملات الآتية من قرطاجة ، وهي نقطة انطلاق لها نحو الجزيرة ، إلا أن بناء مدينة بـــاليرمو الحاليـــة علـــى أنقاض المدينة القديمة قد حال دون دراسة الكثير من معالمها الأثرية .

أما "ليليبايوم" "مارسالا" الحالية ، فقد كانت في بادئ الأمر مـــستوطنة ثانوية ، لكنها تحولت إلى مدينة مهمة مع بداية القرن الرابع ق.م إثر تدمير موتيا ، حيث نقل أغلب فينيقي المدينة المدمرة إليها[3] ، وأصـــبحت مركـــز استقبال القرطاجيين من الطرف الأفريقي ، ووجدت بها نماذج لمزهريـــات صغيرة ، وفخار بونيقي ، وبعض الأعمدة الحجرية الخاصة بالدفن ، وكذلك بعض الرموز الدينية[4]. ولم تخلُ المدن الإغريقية هي الأخرى من الحضور الفينيقي ، حيث وجدت لهم آثار في ســـيلينونس: بعـــض رمـــوز تانيـــت ،

(1) Didorus of Sicily , Book xiv . 47 . 6 .48 _ .
(2) Tusa ,Vincenzo , op . cit . P.240 .
(3) IBid , P. 242.
(4) IBid , P. 243.

والشمس ، وعلامة لتانيت مع الصولجان في بنتالاريا وادرانو وأجرينجنتوم وغيرها[1] ، ووجود مثل هذه الآثار لا يمكن أن يدل على مجرد علاقات بين الطرفين ، ولكن يدل على حضور فينيقي قوي ، إما أن تكون جاليات كبيرة لها ثقلها في تلك المدن ، أو أنه وجود فينيقي سابق للإغريق ، أو أن يكـــون تأثيرا دينيا فينيقيا على مجتمعات تلك المدن .

من خلال ما تقدم يمكن أن نصل إلى نتيجـــة مفادهـــا: أن الحـــضور الفينيقي في الجزيرة كان هو الأقدم ، وأنه لم يكن مجرد حضور تجاري كما يرى البعض ، وإن كانت بدايته كذلك ، إلا أنه لم يلبث أن تحول إلى استقرار دائم مورست فيه كافة الأنشطة الاقتصادية والدينية والسياسية ، كالـصناعة والزراعة ، إلى جانب التجارة ، وأن الحياة الاقتصادية قد بلغت درجة مـــن الازدهار والاستقلالية إلى حد إصدار عملتها الخاصة بها ، قبل أن تـضرب قرطاجة نفسها عملتها ، وهذا ما يسلط الضوء على العلاقة بـين قرطاجـــة وفينيقي صقلية ، فقد شكلت المستوطنات الفينيقية في صقلية داعما رئيـــسياً للوجود القرطاجي في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، كما أنها لعبت دوراً مهما في الصراع القرطاجي الإغريقي في المنطقة حيث كانت صقلية هـــي المسرح الرئيس لذلك الصراع ، فقدمت العون لقرطاجة ، وفتحت أبوابها لها وساهمت في تمويل الحملات العسكرية القرطاجيـــة ، وتلقـــت الـــضربات العسكرية اليونانية ، وقد رأت قرطاجة في صقلية خط الدفاع الأول فأولتهـــا عناية خاصة ، ودافعت عنها بكل ما أوتيت من قوة حتى فقدتها أمام الغـــزو الروماني عقب الحرب البونية الأولى خلال القرن الثالث ق.م.

---

(1) Warmington, B . H, op. Cit. P. 80.

ثانياً : الوجود الفينيقي في سردينيا :

اكتسبت جزيرة سردينيا أهمية خاصة في منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط بفضل موقعها الجغرافي المميز ، فهي تقسمه إلى نصفين تقريبا ، بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب ، وبذلك فقد شكلت حلقة الوصل بين السهل الأتروري وجزيرة كورسيكا ، وبلاد الغال في الشمال وبين سواحل أفريقيا الشمالية في الجنوب ، وبين جزيرة صقلية وسواحل جنوب إيطاليا في الشرق ، وجزر البليار وسواحل أيبيريا الشرقية والجنوبية في الغرب (الشكل5) ، ولذا أصبح لزاما على السفن المتجهة من الشرق إلى الغرب المرور بسواحل تلك الجزيرة ، خاصة الجنوبية والجنوبية الغربية منها ، هذا فضلا على أن الساحل الغربي للجزيرة كان يمثل نقطة انطلاق جيدة نحو جزر البليار وسواحل جنوب أيبيريا الشرقية[1] .

كما أن من يستطيع السيطرة على ذلك الساحل تسهل عليه عملية مراقبة حركة التجارة في تلك المنطقة ، وبفضل هذا الموقع أصبحت سردينيا تتحكم في طرق الملاحة البحرية في حوض البحر المتوسط الغربي في العالم القديم ، وأضحت محط أنظار التجار منذ القدم[2]. ومن غير المستبعد أن يكون التجار الإيجيون والمسينيون قد عرفوها ووصلتها سفنهم قبل وصول الفينيقيين إليها خلال النصف الأول من الألف الثانية ق.م حيث ثبت وصول تلك السفن إلى جزيرة صقلية المواجهة تماما للساحل الشرقي لتلك الجزيرة[3] ، من هنا كانت سردينيا من أهم الأماكن التي قصدتها السفن الفينيقية منذ دخولها غرب البحر المتوسط ، وحطها الرحال بها منذ نهاية الألف الثانية

(1) Warmington, B. H, op. cit. P. 30.
(2) Ibid , P. 32.
(3) Harden , D . op . Cit . P 30.

ق.م تقريبا(1) ، وتمسك الفينيقيون بحضورهم فيها ، ومن بعدهم القرطاجيون حتى خروجهم نهائيا منها في القرن الثالث ق.م على إثـر صـراعهم مـع الإمبراطورية الرومانية وتغلبها عليهم .

لم يكن الموقع الجغرافي وحده وراء تمسك الفينيقيين بجزيرة سردينيا ، فقد كان يحيط بالجزيرة الكبيرة جزر صغيرة قريبة من سواحلها التي تحتوي على بعض النتوءات الجبلية الداخلة في البحر الملائمة تماما لإقامة المحطات التجارية المؤقتة(2) كما أن سواحلها بها خلجان ذات مياه مناسبة صالحة لرسو السفن ، ومحمية من التيارات البحرية التي تعيق حركة الملاحة ، وبالتـالي فهي تشكل موانئ طبيعية جيدة ، يضاف إلى ذلك احتوائها على أشباه الجزر التي تسمح لهم بالتوغل في الداخل ، والاختلاط بالسكان المحليـين ، هـذا فضلا عن غنى الأرض السردينية بالموارد الطبيعية ، واحتواء الجزيرة على أراض زراعية خصبة ، كان لها دور مهم في تزويد قرطاجة بالمواد الغذائية عند تعرضها للأزمات ، وحرمانها من المنتجات الإفريقية خاصة الحبوب ، كما حدث عند التمرد الأفريقي خلال القرن الثاني ق. م(3).

بفضل هذه الخصائص جذبت جزيرة سردينيا أنظار التجار الفينيقيـين ومن بعدهم المستوطنين ، مثلما لفتت أنظار الدولة القرطاجية فيمـا بعـد ، فعملت على دعم حضورها القوي فيها ، بل وفرضـت عليهـا سـيطرتها المباشرة في أغلب الأحيان ، حيث خضعت المستوطنات الفينيقية في الجزيرة للإدارة القرطاجية المباشرة ، على عكس علاقتهـا بـبعض المـستوطنات الأخرى ، كالتي في صقلية ، وحتى في شمال أفريقيا ذاتها كعتيقة مثلا(4).

---

(1) غانم ، محمد الصغير ، التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط ، المرجع السابق ص88.
(2) مهران ، محمد بيومي ، المغرب القديم ، المرجع السابق ص 178.
(3) Warmington , B . H, op . Cit . P. 80.
(4) Ibid . P 79.

ولا يعرف على وجه التحديد بداية معرفة الفينيقيين بجزيرة سردينيا بالنظر لطبيعتهم التجارية ، وقلة حجمهم الاستيطاني ، واقتصار تواجدهم على المراكز التي يديرون منها أعمالهم التجارية في بادئ الأمر ، وبذلك لم يتركوا لنا مخلفات يمكن أن نحدد من خلالها بداية وجودهم هناك[1] ، وحتى بعض المصنوعات التي قد نجدها أحياناً نجد أن صناعتها تعود لشعوب أخرى ، كان قد نقلها الفينيقيون الوسطاء ، واستخدموها في مواطنهم الجديدة ، مما قد يحدث لبسا في تاريخ استيطانهم الأول مع من صنع هذه المصنوعات كالفخار الإغريقي مثلا ، ولكن المرجح أن الاستيطان الفينيقي الأول قد يرقى إلى الفترة السابقة للقرن الثاني عشر ق.م زمن تأسيس قادش ، أو ما يعرف بزمن الاستيطان الأول ، حيث يرجح أن مؤسسي مدينة قادش قد انطلقوا من مستوطنات لابد أن تكون قريبة من الموقع الجديد ، وإذا ما نظرنا إلى طريق الملاحة في ذلك الوقت فإن سردينيا هي المكان الأقرب لوجود تلك المستوطنات.

وليس هناك من شك في أن بداية الاتصال الفينيقي المبكر بسردينيا كان على هيئة بعثات تجارية تحمل البضائع من بلادها الأصلية ، ومن مختلف شواطئ البحر المتوسط ، وتقوم بمبادلتها بمنتجات الجزيرة خاصة المعادن منها[2] ، وبالنظر لموقع الجزيرة الممتاز في الحوض الغربي للبحر المتوسط فقد أنشأ الفينيقيون المراكز التجارية فيها ، التي استخدموها كنقاط انطلاق باتجاه الشواطئ الأخرى ، واستخدموها كمخازن لتفريغ البضائع ، وإعادة شحنها إلى جانب دورها التجاري مع السكان المحليين[3] ، ثم لم تلبث أن تحولت إلى مستوطنات أكبر ، كانت نواة لوجود فينيقي أكثر فاعلية هناك ، اتخذت منه قرطاجة مركزا لحركتها التجارية في المنطقة فيما بعد ، وكانت

---

(1) ديكريه ، فرانسوا ، قرطاجة أو امبراطورية البحر ، المرجع السابق ص42.

(2) Lancel , S , op . cit . P.119.

(3) Ibid P 121.

المقبرة الكبيرة ، ومحرقة بلدة Sulcis خير شاهد على ذلك[1].

وتركز الوجود الفينيقي في الجزيرة على الساحل الجنوبي ، والجنوبي الغربي ، وعلى الساحل الغربي ، واختار الفينيقيون مواقعهم بعناية فائقة ، حيث المياه المناسبة والخلجان المحمية من التيارات البحرية ، وسهولة الاتصال بالسكان المحليين ، ومن هنا جاء تركيزهم على شغل الجزر المقابلة للشاطئ وأشباه الجزر وهو شيء ضروري ساعدهم على استخدام كافة اتجاهات الرياح في حركة سفنهم ، ولهذا نرى أن أغلب مستوطناتهم كانت بحرية أكثر منها برية[2] ، من هنا انتشرت أغلب مستوطناتهم على الساحلين الجنوبي والغربي ، وكان أهمها مستوطنات: " نورا وقالجيري في الجنوب ، وسوليس في الجنوب الغربي ، وثاروس على الساحل الغربي" (الشكل6) ، أما على الساحل الشرقي فإن المصادر الكلاسيكية لم تحدثنا عن شيء يذكر ، ولم يعثر الأثاريون على آثار تذكر سوى بعض المراكز البسيطة ، كان أكبرها في جزيرة أولبيا ، التي كانت على ما يبدو قاعدة عسكرية أكثر منها تجارية ، اتخذها القرطاجيون مقرا لقيادة قواتهم أثناء الصراع القرطاجي الإغريقي إبان القرن السادس ق.م[3] .

ومن الواضح أن الاهتمام بجنوب وغرب الجزيرة كان مرده إلى قربها من مراكز الثقل القرطاجي في صقلية ومن سواحل أفريقيا الشمالية ، ولوقوعها مباشرة على الطريق الواصلة إلى بلاد ترشيش بؤرة الاهتمام الفينيقي ، وكذلك قربها من جزر البليار المفتاح الرئيس لسواحل أيبيريا الجنوبية ، حيث أسس القرطاجيون مستعمرة ايبيزا في تلك الجزر منذ منتصف القرن السابع ق.م.

---

(1) مازيل ، جان ، المرجع السابق ص181

(2) Warmington , B . H , op .cit . P. 23.

(3) Moscati , S , "colonization of Mediterranean" , op . Cit. P 55.

وتعتبر مدينة نورا من أهم وأقدم المراكز الفينيقية التي سرعان ما تطورت إلى مستوطنة كبرى ، فقد عثر فيها على نصب تذكاري يعود إلى أواخر القرن التاسع ق.م[1] ، كما أنه تم الكشف مؤخرا عن بقايا معبد "توفيت" وهو يحتوي على مجموعة من الأنصاب في نفس الموقع ، يعود إلى نفس الفترة تقريبا[2]. ومن تلك المستوطنات الواقعة على الساحل الجنوبي بدأ التغلغل الفينيقي يمتد على ذلك الساحل وإلى الداخل ، ولم يكن هناك ما يعترض ذلك التغلغل ، حيث كان حضورهم سلميا يقتصر على التجارة فقط في بادئ الأمر ، ولم تكن لهم مطامع سياسية في المنطقة مما جعل السكان المحليين يرحبون بهم ، كما أنهم لم تكن لهم قوات عسكرية ، فكانوا عبارة عن باعة ومشترين ، بل ومنحهم السكان فرصة العيش بينهم ، فلم يكد ينتهي عصر الاستعمار الأول بنهاية القرن التاسع ق.م حتى كان الاندماج تامًا بين الثقافتين الفينيقية والنورانجية المحلية في سردينيا ، وأصبحتا تشكلان مزيجا واحدا يصعب التفريق بينهما [3]، ويدلل جان مازيل على ذلك التمازج الحضاري بين الثقافتين بالتمثال العملاق الذي يرمز للإله بعل ، والذي تحدث عنه بطلميوس في جغرافيته ، وكان يحمل نقش "Sardus Pater" ، كما تم اكتشاف تمثال صغير لنفس الإله يرتدي ثوبا على الطراز الفينيقي في جنوب غرب الجزيرة[4].

وأصبحت جزيرة سردينيا منطقة استقرار للفينيقيين منذ وصولهم إليها ، لوقوعها على طرق التجارة البحرية ، ولملائمة سواحلها للملاحة ، بالإضافة إلى خصوبة أراضيها وكثرة السهول التي تجري بها الأنهار ، التي أسالت

---

(1) غانم ، محمد الصغير ، التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط ، المرجع السابق ص98.

(2) فنطر ، محمد حسين ، الفينيقيون بناة المتوسط ، اليف منشورات البحر الأبيض المتوسط ، منشورات توبقال والمغرب ، فيفري 1998 ص98 .

(3) Acquaro ,Enrico , "Sardinia" . op .Cit .P 259

(4) مازيل ، جان، المرجع السابق ص180.

لعابهم للبقاء بها ، وتكوين المستوطنات الدائمة فيها ، ولم يقتصر وجـودهم على المستوطنات التجارية ، فقد كشفت حفريات حديثة في الجزيرة النقاب عن أن الفينيقيين قد اشتغلوا بالزراعة في وقت مبكر ، واستغلوا الأرض استغلالا جيدا في الفترة السابقة للعصر القرطاجي[1].

لم تكد قرطاجة تصبح قوة فعالة في غرب البحر المتوسط حتى بدأت تولى جزيرة سردينيا أهمية خاصة ، وتمد بصرها للاستيلاء المباشر عليها ، لأهميتها الإستراتيجية والاقتصادية في المنطقة ، فقد كانت تمثل المفتاح الرئيس للملاحة التجارية في البحر التيرهيني من جهة الغرب[2] ، وبذلك فقد أصبحت تمثل المكانة الأولى لديها ، خاصة بعد ظهور المد الإغريقي نحو الغرب مع منتصف القرن السابع ق.م ، ووصول إغريق فوكايا إلى جنوب بلاد الغال ، وتأسيس مساليا "مرسيليا الحالية " عام 600 ق.م ، ومحاولتهم الاتصال بالمستعمرات الإغريقية في الجنوب الإيطالي مما يهدد المصالح القرطاجية ، لذا أرسلت إليها القوات العسكرية مع منتصف القرن السادس ق.م ، وكانت أول إشارة لذلك هي تلك الحملة التي جاءت من صقلية بقيادة القائد " مالخوس " بعد هزيمته للإغريق هناك. وفي الواقع فإن هذه الحملة كانت موجهة ضد السكان المحليين لبسط الحكم القرطاجي المباشر ، ولكن الحملة منيت بالفشل على ما يبدو.

واستطاعت قرطاجة من خلال وجودها المكثف بسردينيا أن تبسط سيطرتها على التجارة في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، حيث شكّل الجنوب السرديني مع غرب صقلية وقرطاجة مثلثا استراتيجيا ، أحكمت قرطاجة من خلاله قبضتها التجارية هناك ، وأغلقت طرق الملاحة إلى الغرب ، مما أتاح لها فرصة الانفراد بتجارة المعادن مع شبه جزيرة ايبيريا

(1) Warmington , B . H , op . cit . P. 23 .

(2) Acquaro ,Enrico , "Sardinia" . op .Cit .P 2

"إسبانيا والبرتغال الحالية" ، خاصة بعد أن عقدت تحالفا استراتيجيا مع الأتروسك في وسط إيطاليا ، مكنهم من هزيمة الإغريق في معركة الأليا عام 535 ق.م[1] ، ومنعهم من الاتصال بإخوانهم في الشمال ، ونتيجة لذلك زادت من استحكاماتها العسكرية فيها ، وزادت من نشاطها التجاري والاستيطاني ، مستفيدة من الوجود الفينيقي السابق لها هناك ، فأنشأت مجموعة من الحصون العسكرية التي قسمت الجزيرة من الشرق إلى الغرب ، لحماية مجالها التجاري والاستيطاني في الجنوب والجنوب الغربي[2] ، وهي كما يبدو تعتبر الحد الفاصل بينها وبين نفوذ أصدقائها الأتروسك.

وازداد التغلغل الفينيقي بشكل ملحوظ في الجزيرة مع بداية العصر القرطاجي ، إذ كان – قبل ذلك – مقتصرا على بعض المدن الساحلية التي كانت تلعب الدور التجاري أكثر من الاستيطان الزراعي ، وكان من أهم هذه المدن – بالإضافة إلى نورا – كالياري ، وبيثيا ، ومسان ، وانطيوكيو ، وكارلفورتي التي أثبتت الحفريات الحديثة أن بها حضورا فينيقيا على شكل مستعمرات ، وورد اسمها في إحدى النقوش تحت اسم جزيرة الصقور[3] ، لكن مع بروز قرطاجة على مسرح الأحداث وبداية الزحف الإغريقي باتجاه الغرب ، بدأ القرطاجيون يتحولون إلى استيطان المناطق الداخلية (الشكل7) لغلق المنافذ على الإغريق ، والاستفادة من استغلال الأرض ، وقد دعمت قرطاجة ذلك بنقل عدد من عنصر الليبو فينيقي إلى الجزيرة فاستوطنوها ، وقاموا بزراعة الأرض وغراسة الأشجار ، حتى أصبحت سردينيا أهم مصدر للمواد الغذائية والحبوب للمجتمع القرطاجي بعد ظهيرها الزراعي في

---

(1) Picard , G , Le Monde de Carthage , Editions Correo , puchet-chastel , Paris , 1956 .P.31

(2) Moscati , S ," colonization of Mediterranean" . op . Cit. P. 55.

(3) موسكاتي سابتنو ، الحضارة الفينيقية ، ت :نهاد خياطة ، العربي للطباعة والنشر ، دمشق 1988 م ص171

أفريقيا[1] ، واعتمدت عليها بشكل كبير ، وصل إلى حد أنها كانت تـستورد القمح أثناء صراعها مع الإغريق في صقلية ، وتزود حملاتها العسكرية على صقلية بالحبوب من سردينيا ، كما حدث أثناء مهاجمتها لهيميـرا عـام 480 ق.م ، مما يدل على اهتمامها المبكر بالجزيرة ، كذلك أرسلت سفنها للتـزود بالحبوب منها أثناء حصارها لسياركوزا في مطلع القرن الرابـع ق.م عنـد صراعها ضد دينيسيوس الأول[2] ، ولجأت إليها عند حصار أجاثوكليس لها من البر عند قيام حملته على أفريقيا ، حيث استطاع بالتحالف مـع بعـض القبائل الليبية حصار قرطاجة من جميع الجهات ، ولم يبق أمامها إلا البحـر وسردينيا ، لسد حاجة جنودها وسكانها[3].

من هنا نجد أن الحضور الفينيقي قد تركز في سردينيا منـذ معرفـة الفينيقيين بها ، وعلى الرغم من عدم معرفتنا لبداية استيطانهم بها ، إلا أنـه من المرجح أن يكون في فترة مبكرة تعود إلى الألف الثانية ق. م وقد تمتعت الجزيرة بخصوصية مميزة لديهم ، فلم تكن مجرد محطة تجارية على طرق الملاحة ، وإنما كانت مقرا لمستوطنات دائمة تعدد نشاطها ، وعملت علـى نشر الثقافة الفينيقية بين السكان المحليين ، برهنت من خلالها على الرقـي الحضاري والثقافي لدى الشعب الفينيقي ، حيث تقـبلهم الـسكان المحليـون بالترحاب ، وفتحوا لهم أراضيهم ، وتعايشوا وتاجروا معهـم ، ومنحـوهم الامتياز في تجارة المعادن التي تحويها أراضيهم ، كمعدن الحديد مـثلا[4] ، بل وصل بهم الأمر إلى التزاوج معهم ، حتى كان الاندماج الحضاري التـام الذي تحدث عنه مازيل ، وامتزجت العقائد الدينية بـين شـعبي النـورانج

(1) Lancel , S , op . cit . P.121

(2) Hammond , N .G .L , A history of Greece To 322 B.C , Oxford at The Clarendon Press , Second Edition,1967 – P. 269 .

(3) أبو رونية الشاذلي ، محمد الطاهر " ، المرجع السابق ص223.

(4) مازيل ، جان، المرجع السابق ص181.

والفينيقيين ، وتعزز ذلك الاندماج في العصر القرطاجي.

ونتيجة لأهمية الجزيرة الاقتصادية والإستراتيجية والاندماج الذي حدث بين السكان المحليين والوافدين الجدد من الفينيقيين ، فقد فرضـــت قرطاجـــة حكمها المباشر على سكان الجزيرة ، وكأنهم فينيقيو الأصل ، واعتبـــرت أن الأراضي السردينية هي جزء من أراضيها الداخلية أثناء عقد معاهداتها مـــع روما ، على عكس ما تحدثت به عن صقلية ، حيث منحت لهم حق الاتجار فيها أسوة بالفينيقيين ، بينما لم تمنحهم هذا الحق في سردينيا[1] مما يدلل على الأهمية الخاصة التي كانت توليها قرطاجة لهذه الجزيرة التي كان لموقعهـــا الإستراتيجي الدور الأبرز في اهتمام القرطاجيين بها حتى غدت مـــن أهـــم الركائز التي استندت إليها الإمبراطورية القرطاجية في الحـــوض الغربـــي للبحر الأبيض المتوسط فيما بعد.

(1) أبو رونية الشاذلي ، محمد الطاهر ° ، المرجع السابق ص224.
Warmington, B .H , op .Cit . P. 83 .

الوجود الإغريقي

أولاً : الوجود الإغريقي في الجنوب الإيطالي :

يعود أول انتقال للمهاجرين من بلاد الإغريق إلى الجنوب الإيطالي إلى بداية القرن الثامن ق.م ، حسبما أثبتته الحفريات الحديثة ، واتفق عليه أغلب المؤرخين ، وكان ذلك في عام 775 ق.م ، عندما جاءت جماعة مشتركة من الخالكيس والأرتيريين من شبه جزيرة يوبويا من شرق بلاد الإغريق ، واستوطنت جزيرة صغيرة على الساحل الغربي لسهل "كامبانيا" في الوسط الإيطالي ، وقد كانت هذه الجزيرة أبعد نقطة امتدت إليها بلاد الإغريق الكبرى ، تلك الجزيرة كانت تدعى "بيثاكوساى" ، وهي مقابلة تماما للبر الإيطالي(1) ، ولم تبق بها تلك الجماعة طويلا ، حيث انتقلت منها إلى البر الرئيس ، وأسست مستوطنة أخرى بعد خمس وعشرين سنة من وصولهم إليها ، ولا ندري على وجه الدقة أسباب نزول تلك الجماعة لهذه الجزيرة دون غيرها ، أو انتقالهم منها ، وإن كانت بعض المصادر التاريخية تقول: إن شجارا قد نشب بين الأرتيريين والخالكيس في الجزيرة, وربما أن المستوطنين قد هجروا الجزيرة نتيجة حدوث الزلازل وثورة البراكين فيها(2) ، ولكن المهم أنهم انتقلوا جميعاً إلى البر الإيطالي مؤسسين مستعمرة أكبر مع بعضهم البعض.

وإذا ما نظرنا إلى الاستقرار الأول لهذه الجماعات فإننا يمكن أن نصل إلى أن أهداف تلك الهجرة لم تكن استيطانية في بادئ الأمر ، حيث إنها تخطت

---

(1) Grant , Michael, The Etruscans , by Michael Grant publications Ltd. Weidenfeld and Nicolsan , London, 1980 , p. 43.

(2) Board man, John, The Greeks overseas, copyright @ John Board man, Second published in great Britain by HaZell Watson , 1968, P. 182.

الأراضي الزراعية الخصبة في شرق المنطقة ووسطها ، ووصلت إلى أبعد نقطة يمكن الوصول إليها ، ونزلت جزيرة لا تصلح إلا أن تكون نقطة تجارية[1] ، لضيق مساحتها ، وطبيعة تربتها الصخرية ، ولكن بها مناجم للذهب.

وبذلك فإن طبيعة الهجرة إما أن تكون للتجارة أو لممارسة أعمال القرصنة البحرية التي كانت منتشرة في ذلك الوقت[2], وهذا يعني أنها كانت عبارة عن تجربة مبدئية لتكوين مستوطنات لهم خارج الوطن الأصلي ، ولذلك فإنه من الأرجح أنها كانت محاولة انطلاق نحو الغرب وصولاً للمعادن التي كان يجلبها التجار الفينيقيون لهم. وهذا يوحي لنا بمعرفة الإغريق السابقة للمنطقة ، إذ لا يمكن أن يترك المهاجرون الأراضي الخصبة التي مروا بها ، ويتجهون إلى تلك النقطة التي وصلوا إليها ، وربما كان توقفهم في تلك الجزيرة قد جاء نتيجة اصطدامهم بالنفوذ الإتروسكي الأقوى شمالا ، فلم يستطيعوا مواصلة سيرهم باتجاه كورسيكا ، واكتفوا بالتحول إلى البر ، وتأسيس مستوطنة "كوماي" ، التي مثلت المركز الأهم في علاقاتهم مع الأتروسكيين في الشمال فيما بعد ، تلك المستوطنة التي تروي المصادر أنها كانت تعتبر أقدم وجود إغريقي بالمعنى الصحيح في الأراضي الإيطالية بشكل خاص ، ومنطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط بشكل عام ، إذ يعود تأسيسها إلى عام750 ق.م تقريبا[3] ، وهي تقع على أراضٍ مرتفعة إلى الغرب من "نابولي" الحالية ، محمية بمستنقعات في موقع يسهل الدفاع عنه ، وأرض خصبة ، وساحل رملي يساعد على جر السفن ، ولها ميناء جيد ، ويرجح أن بداية الاستيطان بها كان قد جاء من مهاجري بيثاكوساي ، وقد عثر بها على فخار كورنثي ويوبوي ، يعود إلى ما قبل عام750ق.م بقليل ، كما أنه وجدت بها مزهريات على النمط الكريتي. ومن خلال

---

(1) القاضي ، فاروق ، المرجع السابق _ ص137 .

(2) Hammond ,N.G.L., op. cit.. P. 117.

(3) op. Cit . P45 Grant , Michael.

الموجودات التي ظهرت من مقبرة المستوطنة القديمة ، يزداد الاعتقاد بأن المستوطنة كان الهدف من تأسيسها تجاريا أكثر من أي شيء آخر[1] ، فهي أقرب نقطة للنفوذ الأتروسكي, كما أنها قد وجدت بها الكثير من البضائع الأترووسكية ، كالفخار والمجوهرات والبرونز ، كما تم العثور على سلع مصرية في عهدها المبكر ، مما يدل على أهميتها التجارية خلال القرن السابع ق.م ، حيث مثلت هذه المستوطنة حلقة الوصل الرئيسة بين الأترووسكيين في الشمال ، والمستوطنين الإغريق الذين بدعوا يتوافدون على الجنوب الإيطالي منذ ذلك الوقت في الجنوب. وإلى كوماي يُرجع بعض الباحثين الفضل في إدخال الكتابة الإغريقية إلى أترووريا ، وكذلك تعريف الرومان بالآلهة الإغريقية ، أي إن الإشعاع الإغريقي على الرومان كان عبر كوماي[2] ، ومن المرجح أن تسمية "إغريق" ربما جاءت نتيجة وجود جماعة تدعى Giri بين الكوميين الذين عرفهم الرومان وأطلقوا عليهم اسم الإغريق اشتقاقا من اسم هذه الجماعة[3].

وإلى الجنوب من كوماي ظهرت مستوطنة إغريقية جديدة هي "بوسيدونيا" ، وقد أسست من قبل الإيشيين في سيباريس بمساعدة الوطن الأم في البحر الإيجي ، ربما تكون قد أسست في أواخر القرن السابع ق.م ، وكانت تحتل موقعا جيدا عند مصب نهر "السيلي" ، وهي تقع على سهل منبسط محاذٍ للبحر ، ما يوضح أن المستوطنة كانت تؤدي غرضين: زراعي وتجاري ، حيث أصبحت الوسيط التجاري لكوماي مع الشمال[4] ، وليس من المستبعد أن يكون الدوريون قد شاركوا في استيطان تلك المنطقة ، فقد عثر على ثلاثة معابد دورية ، ربما تعود إلى القرن السادس ق.م ، كما أن

(1) جندي ، إبراهيم عبد العزيز ، المرجع السابق ص304 .

(2) المرجع نفسه ص305 .

(3) Bury . j . B . D .litt. op . Cit . p 94.

(4) Boardman. John, op . cit . P. 192 .

المستوطنة تتحكم في أفضل الطرق الرئيسة إلى الجنوب الإيطالي ، التي تمر ببعض المواقع المهمة في جنوبها ، وبالتالي فرضت نفسها كشريك لكومـاي في تجارة الأتروسك ، وكان من أشهر المستوطنات الإغريقية في الجنـوب الإيطالي أيضاً مستعمرة "سيباريس" التي أسست من قبل الإيشيين في أواخر القرن الثامن ق.م "720 ق.م تقريبا" في الطرف الجنوبي لخليج تارنتوم على الساحل الشرقي للقدم الإيطالية[1] ، وقد كانت هذه المستعمرة تتمتـع بموقـع جغرافي ممتاز ، فهي تقع على سهل كبير خصب ، يسيطرعلى أفضل طريق على الساحل الغربي لليابسة التي تقع على البحر التيرهيني ، وبفـضل هـذا الموقع كانت تستخدم في أحيان كثيرة كنقطة لتفريغ البضائع الآتية من الشرق ، ثم تنقل إلى شواطئ البحر التيرهيني الشرقية ، مما أتاح لها ازدهارا ورخاء اقتصاديا كبيراً ، حيث كانت الكثير من السفن تتحاشى مضيق مسينا لخشيتها من التعرض للتيار البحري القوي الذي يمر عبره ، و طالمـا تـسبب فـي إعطابها ، هذا فضلا عن سيطرة الخالكيس على المضيق ومنعهم لهـم مـن المرور فيه ، ونتيجة لهذه المزايا الزراعية والتجارية نالت سـيباريس مـن الثراء والرفاهية ما جعلها مضرب مثل في الترف [2] وإلى الجنوب من هذه المستوطنة ظهرت مستوطنة أخرى هي "كرتون" ، وكانت ايشية هي الأخرى ، وجاء تأسيسها في نهاية القرن الثامن ق.م لكنها بعد سيباريس ، وإن لم يكن بزمن بعيد ، واختلفت في طبيعتها عن المستوطنة السابقة ، فهذه أقيمت على أراضٍ خصبة ، وعلى الرغم من أن لها ميناء على البحر بفضل النتوء الذي أقيمت عليه ، إلا أنها كانت زراعية أكثر منها تجارية ، حيث لم يظهر لهـا نشاط تجاري كبير ، بل اعتمدت في نشاطها الاقتـصادي علـى الزراعـة وتربية الماشية[3] ، ثم نشب خلاف بينها وبين جارتها الشمالية فـي نهايـة

---

(1) Ibid , P. 191 .

(2) Idem .

(3) جندي ، إبراهيم عبد العزيز ، المرجع السابق ص 312.

القرن السادس ق.م ، واستطاعت تدميرها نهائيا ، وإلى الجنوب منها أسست مجموعة من المستوطنات الأخرى ، مثل: "لوكري وكالونيا" ، لكـن أهمهـا جميعا كانت "ريجيوم" ، تلك المستوطنة التي أسست من قبل الخـاكيس مـن مستوطنة "زانكل" على الطرف الآخر لمضيق مسينا ، وكان هؤلاء قد أسسوا الموقع الجديد بالاشتراك مع مجموعة من المسينيين الذين فرّوا مـن جـراء الحرب المسينية الإسبرطية[1] ، وقد جاء تأسيسها في وقت مبكر من القـرن السابع ق.م ، وإن كنا لا نعرف لها تاريخا محددا ، وبذلك فقد أحكم اليوبيون قبضتهم على مضيق مسينا وشمال كعب القدم الإيطالي ، وأصبحت طـرق التجارة مع البحر التيرهيني تحت سيطرتهم إلى حد ما.

وفي وسط خليج تارنتوم وجدت مجموعة مـن المـستوطنات مثـل: سيريس ، التي أسسها الكولوفون ، ومستوطنة تارنتوم الإسبرطية التي سمى الخليج باسمها نظرا لسيطرتها على أفضل موانئه ، وعلى أجـود أراضـي القمح هناك ، ويرجح أن الإسبرطيين قد أسسوا هذه المستوطنة في أواخـر القرن الثامن ق.م 706 تقريبا ، حيث وجد أقدم فخار كورنتي[2]. وتدعى هذه المستوطنة أحيانا "تاراس" ، وليس من المستبعد أن يكون موقعها معروفا منذ القدم ، ويمثل نقطة الاتصال القديمة مع العالم الإغريقي ، حيث عثر علـى أثر الاستيطان فيه منذ العصر الإيجي " الموكيني " ، واستمر هذا الاتـصال حتى بعد الغزو الدوري للبحر الإيجي وتجديدهم لذلك الاستيطان فـي نفـس الموقع إذا صح التعبير ، وتروى قصة لذلك التأسيس لا تخلو من غرابة تعود في جذورها إلى فترة الحرب الإسبرطية المسينية ، حيث غاب الإسبرطيون فترة من الزمن عن أرضهم ، وحدث أثناء هذا الغياب أن حملت النساء حملا غير شرعي ، وكان إنجاب جيل أنكره الإسبرطيون ، وتمت معاملته معاملة

(1) Hammond , N .G . L, op . cit . P 118.

(2) Idem .

سيئة دفعت بذلك الجيل إلى التآمر على حكومة إسبرطة ، مما أدى إلى طردهم من المدينة [1] ، وتم توجيههم من قبل الوحي " وحي دلفي " غربا إلى جنوب إيطاليا ، حيث أسست مستوطنة تاراس أو "تارنتوم ، لكن المستوطنة الدورية الجديدة ارتبطت بالمدينة الأم بشكل كبير ، حيث استمرت العبادات الرسمية في المستوطنة إسبرطية صرفة ، ونمت بشكل مضطرد حتى صارت أقوى مستوطنة إغريقية في الجنوب الإيطالي ، وسمى الخليج باسمها. إلى الغرب منها أسست مستوطنة ميتايونتوم ، والتي ارتبطت بطريق بري غربا مع بوسيدونيا ، وهي – كغيرها – أسست على أراضٍ زراعية خصبة ، مما جعل الاستيطان فيها زراعيا ورعويا ، وهذا ما ميز معظم المستوطنات التي أسست على سواحل القدم الإيطالي الشرقية.

من خلال ما تقدم نجد أن اليونانيين بشكل عام ونتيجة للسباق المحموم بين المدن الإغريقية في بحر إيجة من أجل السيطرة ، قد انتشرت مستعمراتهم في طول جنوب إيطاليا وعرضه ، حتى سمى ببلاد الإغريق الكبرى ، نظرا لكثرة عدد المستوطنات الإغريقية فيه[2] (الشكل8) ، وكان ذلك على حساب السكان الأصليين للبلاد ، فالمستوطنات الإغريقية كانت في الغالب مستوطنات دائمة ، تحتاج إلى الأرض للاستقرار ، وليست كالمراكز الفينيقية التجارية التي تحتاج إلى بقاء المواطنين الأصليين ، لترويج بضائعها ، وقد ساعدهم على الاستقرار لطف مناخ المنطقة " الجنوب الإيطالي " ، وخصوبة أرضها ، وغنى مراعيها ، وكثافة غاباتها التي تقدم الخشب لبناء السفن[3] ، وبذلك توفرت فيها كامل الشروط المشجعة على الاستيطان

(1) بكري،حسن صبحي ، المرجع السابق ص 33.

(2) حسين ، عاصم أحمد ، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة . د . ث ص132 بكري ، حسن صبحي ، المرجع السابق ص37.

(3) إشراف : ف : د : باكوف ، س: كوفاليف ، الحضارات القديمة ، ط . ت : نسيم واكيم البازيجي ، دار علاء الدين ، دمشق ، 2000 ف ص286.

فنشطت الحركة الإستعمارية الإغريقية في تلك المنطقة حتى أصبحت إغريقية صرفة شكلت زخماً بشرياً ومادياً ساهم في تغذية الصراع القرطاجي الإغريقي في الحوض الغربي للبحر المتوسط فيما بعد.

ثانياً : الوجود الإغريقي في صقلية :

لم يتأخر الوجود الإغريقي في جزيرة صقلية كثيرا عن بداية تواجدهم في الجنوب الإيطالي ، فقد تزامن الوجودان مع بعضهما في إطار حركة التوسع الإغريقي في اتجاه غرب البحر المتوسط ، أي مع بداية القرن الثامن ق.م . فبعد تأسيس مستعمرة كوماي في أقصى سهل كمبانيا بالقرب من النفوذ الأتروسكي في منتصف القرن الثامن ق.م من قبل الخالكيس ، لم يمر وقت طويل حتى سارعت جماعة أخرى من الخالكيس أنفسهم من شبه جزيرة ايونيا واتجهت جنوبا متجاوزة مضائق مسينا ، وأسست فيما يبدو أول مستوطنة إغريقية في صقلية ، وهي مستوطنة "ناكسوس "عام734ق.م على الساحل الشرقي للجزيرة[1] ، ليس بعيداً عن المضيق الذي أحكم عليه الأيونيون قبضتهم فيما بعد.

ولا يعرف سبب اختيار هذا الموقع من قبل الخالكيديين ، ذلك أن هذه المستوطنة لا تتمتع بأي ميزات تجذب المستوطنين إليها سوى أنها تكون أول مكان تقع عليه أعين ربابنة السفن القادمين من الشرق عند التوائهم من مضيق مسينا[2] ، لذلك لم تمر فترة طويلة من الزمن حتى وجد الخالكيديون أنفسهم في حاجة إلى تأسيس مستوطنات جديدة في داخل الأراضي الصقلية ، قادرة على استيعاب أعداد جديدة منهم ، وموفرة لهم ما يحتاجون إليه من مواد غذائية ، فكان تأسيس مستوطنة "ليونتني " داخل الأراضي الصقلية ، تلك المستوطنة

---

(1) Thucydides , Book . v1 . 111 _ 6 . iv . 1.

(2) بكري ، حسن صبحي ، المرجع السابق ص36 ، عياد ، محمد كامل ، تاريخ اليونان ـ ج1 ، مرجع سابق ص347.

التي تذكر المصادر أنه تم تأسيسها بعد حوالي ست سنوات من تأسيس"ناكسوس" أي في عام 728ق.م [1] تقريباً ، وإن كان هذا التاريخ يحتاج إلى تدقيق أكثر. لقد كانت مستعمرة ليوننتي تقع على سهل خصب في البر الرئيس في صقلية ، حيث كانت تضم أجود الأراضي الزراعية لسهل " سان مارّو" ، وهي بعيدة عن الساحل قليلا ، لذلك لم يكن لها ميناء بحري ، مما يدل على أنها كانت قد أنشئت من أجل سد حاجة سكان ناكسوس الغذائية ، ثم لم يلبث مستوطنو ناكسوس أن أسسوا مستوطنة جديدة على الساحل هي مستوطنة "كاتانا" ، التي كان بها ميناء ممتاز ، وكانت تقع جنوب "أثنا" خلف سلسلة من الهضاب المنخفضة التي احتمت بها [2]. ومن هنا نلاحظ أن الخالكيديين قد حاولوا بسط سيطرتهم على سواحل صقلية الشرقية إلى جانب مضايق مسينا ، وحتى يضمنوا فرض هذه السيطرة سارعوا إلى إنشاء مستوطنة جديدة بالقرب من المضيق ، مستعينين بالقراصنة القادمين من "كوماي" ، واختاروا لها موقعا على حافة أرضية منخفضة على شكل قوس ، وقد ظهر ذلك جليا على عملة المستوطنة المحلية ، و كانت هذه المستوطنة تسمى زانكل[3] ، وكان تأسيسها يوضح بشكل جلي أن مؤسسيها كانوا يمارسون القرصنة البحرية ، حيث إن لها ميناء جيدا يشرف على المضيق في الجانب الغربي ، ولكنها ليست لها أراض زراعية جيدة ، فكانت معظم أراضيها صخرية ، وما يدل على طبيعة عملهم هذا نجد أنهم شجعوا بعض المسينيين واشتركوا معهم في تأسيس "ريجيوم " على الساحل المقابل ، ثم تحولوا ناحية الشمال الشرقي ، وأسسوا مستوطنة ميلاي[4] ، التي هي أقرب إلى أن تكون حصنا من أن تكون مستوطنة ، أسسوها خلف سلسلة صخرية لحمايتها من البحر ، وبالنظر إلى

(1) Thucydides , Book . v1 . 111.
(2) Op .Cit . P 18 4 Bordman ,john.
(3) Ibid , P 185.
(4) Bury . J . B , and another .. op . Cit . p 99.

حاجة سكان المدينة إلى أراض زراعية يقتاتون منها ، فقد اتجهوا غربا علـــى الساحل الشمالي للجزيرة ، وأسسوا مستوطنة "هيميرا " في منتـصف القـرن السابع ق. م تقريبا ، وقد أسست كمستوطنة زراعية لتوفير المـواد الغذائيـة لسكان زانكل على ما يبدو, فقد كانت تشتمل على أراضٍ زراعية خصبة ، هذه المستوطنة التي كان لها دور بارز في تاريخ جزيرة صقلية بأكملها, وتركـت الأحداث التي وقعت فيها بصماتها على تاريخ المنطقة برمتها ، حيث شـهدت أعنف معركة بين الإغريق والقرطاجيين في بداية القرن الخـامس ق.م ، ثـم شهدت بعد ذلك انتقام القرطاجيين في نهاية ذلك القرن ، وتعتبر"هيميرا "آخـر مستوطنة إغريقية على الساحل الشمالي للجزيرة ، وهي التي كانت تمثل حد التماس للإغريق مع الوجود الفينيقي في غرب الجزيرة ، وهي التي لعبت دور حلقة الوصل في المبادلات التجارية فـي فتـرات مختلفـة بـين الإغريـق والقرطاجيين ، وكانت قريبة من جزر ليباري الواقعة بالقرب مـن الساحل الشمالي للجزيرة[1].

أما أشهر المستوطنات الإغريقية في صقلية وأغناها على الإطـلاق ، والتي قُدّر لها أن تلعب الدور الأكبر في الصراع الإغريقي القرطاجي ، وأن تكون قوة يحسب لها حسابها في جزيرة صقلية بشكل خـاص ، والحـوض الغربي للبحر المتوسط بشكل عام ، نظرا لما تمتعت بها من قـوة وسـلطان ونفوذ ، واستحقت أن تكون زعيمة للوجود الإغريقي في جزيـرة صـقلية بكاملها, فهي مستوطنة" سيراكوزا" ، وهي مستوطنة تقع علـى نتـوء مـن اليابسة في أقصى الشمال الشرقي لجزيرة صقلية ، على شبه جزيرة صغيرة تسمى جزيرة "اورتيجا " ، ترتبط بالجزيرة الأم بلسان من اليابـسة ، وقـد كانت تتمتع بميناء بحري شمالي وآخر جنوبي ، منحاها سهولة رسو الـسفن وإبحارها ، وبذلك فقد تحكمت في حركة المرور من الشرق إلـى الغـرب

(1) Iloyd ,W . Watkiss , op .Cit . P 77.

والعكس[1] ، كما أنها ليست بعيدة عن الوطن الإغريقي ، فبإمكــان الــسفن الإغريقية القادمة من بحر إيجة المرور مباشرة في مياه البحــر المتوســط ، لتصل إلى سيراكوزا دون المرور بشواطئ كعب الحذاء الإيطــالي ، كمــا كانت تتمتع بظهير زراعي ممتاز ، وفر لها ما تحتاجه من حبوب وكــروم وغيرها ، كما تتوفر بها منابع المياه العذبة ، مما جعلها تجمع بين عنصري الاقتصاد الرئيسين: التجارة البحرية والزراعة ، وبذلك فقد حازت مــا لــم تحصل عليه غيرها من المستوطنات الأخرى[2] . وقد أسست هذه المستوطنة لا من قبل الخالكيديين والأرتيريين كما حــدث فــي معظــم المــستوطنات الإغريقية الأخرى ، بل من قبل الــدوريين الكــورنثيين ، ويــذكر بعــض المؤرخين أن المدينة أسست بعد تأسيس ناكسوس بوقت قصير لا يزيد على بضع سنوات ، بعد أن طرد القادمين الجدد سكانها الأصليين من السيكلس[3].

وعلى الرغم من أن أسباب تأسيس هذه المستوطنة يظل مجهولا ، إلا أن الكثير من المؤرخين القدامى يرجعونه إلى الصراع الدائر بين الــدويلات الإغريقية في الوطن الأم ، ففي حين سيطر اليوبيون على شــرق الجزيــرة وشمالها ، سارع الدوريون إلى احتلال هذا الموقع الإستراتيجي الممتاز على الساحل الجنوبي الغربي لها ، لمنع الخالكيديين من التوسع نحــو الجنــوب الغربي ، خاصة بعد تأسيسهم لليوننتي[4] ، وسرعان ما بسطت ســيراكوزا نفوذها على كامل الساحل الجنوبي ، وذلك بإنشائها مستعمرات أخرى تابعة لها ، بل وفرضت سلطانها على كامل جزيرة صــقلية الإغريقيــة ، ســواء بإخضاع بعض المستوطنات الأخرى بالقوة ، أو بتنــصيب طغــاة عليهــا يدورون في فلكها ، وبفضل ما تمتعت به هذه المستوطنة فقد أصبحت محط

(1) Thucydides , Book . v1 . 11 _ 6 .

(2) جندي ، إبراهيم عبد العزيز ـ المرجع السابق ص307.

(3) Bury , j . B , and another . op . Cit . p 100.

(4) Idem.

أنظار الطغاة "الإغريق" من مختلف أنحاء الجزيرة ، وبالتالي استطاعوا تكوين قوة يحسب لها حسابها ، فاقت في كثير من الأحيان قوة الكثير من المدن الرئيسة في بلاد الإغريق ، مثل: قوة "كورنثة" المدينة الأم[1] ، وأصبحت مركزا للوجود الدوري المسيطر في جنوب صقلية ، ثم استطاعت بعد ذلك أن تؤسس مستوطنات جديدة ، كما كانت العادة المتبعة لدى معظم المستوطنات الإغريقية ، فأسست " كاسمارينا واكرا وكامارينا " ، وبذلك فرضت سيطرة مطلقة على جنوب صقلية ، دون منافس[2].

وإلى الشرق من سيراكوزا أسس الميجاريون مستوطنة "ميجارا هيبالايا" على سهل ساحلي بجانب البحر ، وقد واجهت هذه المستوطنة صعوبات في التأسيس في بادئ الأمر ، حيث وقع خلاف بين الميجاريين والخالكيدين في ليوننتي ، طرد على إثره الميجاريون من الإقليم ، وأخيرا أسسوا مستوطنتهم بالقرب من سيراكوزا ، وبالنظر لموقعها القريب من المدينة الإغريقية الأقوى فإنها حرمت من التطور ، وأخذ مكانها بين المستوطنات الأخرى بقوة ، كذلك أصبحت بين شقي الرحى ، الدوريون في الجنوب والخالكيديون في الشرق والشمال ، لذلك أسست مستوطنة جديدة في أقصى غرب مناطق النفوذ الإغريقي في سنة 628 ق.م تقريبا ، وهي التي نعرفها بمستوطنة سيلينوس[3] ، والتي قدر لها أن تنمو أكثر من مدينتها الأم ميجارا ، بفضل بعدها عن المركز الدوري ، وبفضل ملاصقتها للنفوذ الفينيقي غرب الجزيرة ، حيث مثلت ما كانت تمثله هيميراء ، مما أتاح لها النمو والازدهار الاقتصادي بفضل المبادلات التجارية مع جيرانها الغربيين[4] ، هذا فضلا عن اعتمادها على الحياة الزراعية ، ولا أدل على ذلك الاهتمام

(1) J , Alfred . church . .M . A , op. Cit . P 36.

(2) Thucydides , Book . v1 . v . 3 .

(3) Boardman ,john., Op .Cit . P 189.

(4) عياد ، محمد كامل ، المرجع سابق ص352.

من أن الاسم الذي تحمله قد جاء نسبة إلى نبات بحري يحمل نفس الاســم ، وتظهر صورته على عملتها المحلية[1].

ثم جاءت بعد ذلك جماعة دوريــة أخــرى مختلطــة مــن الــرودهيين والكورنتيين ، وأسسوا مستوطنة "جيلا " إلى الغرب من مــستوطنة "كامارينـــا" السيراكوزية ، وكانت تلك المستوطنة تقع على هضبة مرتفعــة بــين الــسهل وشاطئ البحر ، ويرجح أن تأسيسها قد تمَ في الربع الأول من القرن السابع ق.م تقريبا ، وهي تقع بالقرب من مصب نهر "جيايس" ، وقد اســتوطنوها بعــد أن طردوا السكان المحليين منها ، وسيطروا على الأراضي الزراعيــة فــي ذلــك الموقع[2].

ومن جيلا انطلقت حركة استيطانية أخرى إلى الغرب بعــد أن أزداد تدفق الكورنتيين على مستوطنتهم الجديدة ، فتم تأسيس مستوطنة أخرى هي أجريجنتوم " أكراجاس" في بداية القرن السادس ق.م تقريبا ، أي حوالي 580 ق.م ، وهي تقع إلى الغرب من جيلا بحوالي 64 كم تقريبا ، وكان يسكن هذه المنطقة – سابقا – السكان المحليون ، وهم من" السيكان" ، ولكنهم طــردوا من أراضيهم وحل محلهم المواطنون الإغريق الجدد ، وأحيطت المــستوطنة بأسوار لحمايتها [3] ، وبذلك فلم يأت منتصف القرن الــسادس ق. م حتــى اكتملت السيطرة الإغريقية على معظم أجزاء جزيرة صقلية ، ولم يبق سوى الجزء الغربي الذي كان قد تركز فيه الفينيقيون والأليميون ، ووقــع تحــت الحماية القرطاجية بشكل يكاد يكون مباشرا (الشكل9).

وبهذه الطريقة تم تقسيم الجزيرة بين الدوريين في الجنــوب بــسيطرة كاملة وسيادة مطلقة ، وبين الخالكيس " اليوبوين " في الشرق والشمال ، وفي

---

(1) Bury , j . B , op . Cit . p 100.
(2) Ibid . P. 9 9.
(3) Ibid . P .100.

المجمل العام فقد تم الاستيلاء على جزيـرة صـقلية. والملاحـظ هنـا أن الاستعمار الإغريقي للجزيرة قد جاء بصورة عامة نتيجة صراعات داخليـة في الوطن الإغريقي الأم " بحر إيجة " ، وأنه شـملته الفتـرة المحـصورة بين750 ق.م ، 550 ق.م ، وكان يسير بشكل محموم ، تدفعه روح المنافـسة بين الإغريق أنفسهم من أجل فرض السيطرة ، وهذا ما نلاحظه من خـلال إسراع المستوطنات التي تقوم بالتوسع مباشرة ، وإنشاء مستوطنات جديـدة تكون امتدادا لنفوذ المستوطنات السابقة في فترة بسيطة من الزمن ، ثـم لا تلبث أن تستقل عنها نهائيا ، وإن ظلت على ولائها لجنسها الأصلي ، وفـي بعض الأحيان كانت تنشأ للحد من توسع المجموعة الأخرى ، وبـذلك فقـد لعبت المنافسة بين اليوبيين والدوريين دورا مهما في السيطرة على الجزيرة. كما أننا يمكن أن نلاحظ الاختلاف بين الاستعمارين ، فالاستعمار الخالكيسي والذي تركز في الشرق والشمال ، كان يغلب عليه الطابع البحري ، سـواء أكان تجاريا أم في أعمال القرصنة ، ويظهر ذلك من مواقـع المـدن التـي أنشأوها على ضفتي خليج مسينا وهيميراوميلاي وجزر ليباري وغيرها.

أما الاستعمار الدوري فقد كان يغلب عليه الطابع الاستيطاني الزراعـي ، حيث احتلت مستوطناتهم معظم السهول الزراعية الغنية ، والهضاب ، ومصاب الأنهار ، كما أنهم قاموا بطرد السكان المحليين منها ، وإبعادهم إلـى الـداخل ، ولم يبقوا عليهم إلا تحت السيطرة ، مما يدل على عدم حـاجتهم لهـم كـسوق استهلاكية ، والتي تأتي لديهم في المرتبة الثانية بعد الزراعة[1] كما يبدو.

ومن خلال ما رأيناه من سباق محموم بين الجماعات الإغريقية نحـو السيطرة الكاملة على الجزيرة ، والذي دفعهم إلى التوسع غربا قدر الإمكان لبسط سيطرتهم أكثر ، وحرمان بني جلدتهم من التوسع ، وقطـع الطريـق

---

(1) ديورانت ، ول ، تاريخ الحضارة ، ج 2 مج 1 ، الشرق الأدنى ، ت : محمد بدران ، الإدارة الثقافيـة في جامعة الدول العربية ه . ر .ث ، ص309.

أمامهم ، وقد تجسد هذا في تأسيس هيميرا في الشمال من قبل الخـالكيس ، وتأسيس سيلينوس في الجنوب من قبل الدوريين ، هذا الأمر لابد أن تكون له عواقب أخرى ، خاصة وأن وجودهم كان استيطانا ، وبالضرورة أن ذلـك سيدفعهم إلى الاصطدام بالقوي السابقة لهم في المنطقة ، حيث تعودوا علـى طرد السكان المحليين من "السيكل والسيكان" ، كان ذلك في جنوب الجزيرة وشمالها وشرقها ، ولكن عندما وصلوا إلي الغرب فإن الأمر قد أصبح مختلفا تماما ، حيث كان الفينيقيون يتركزون بشكل قوي ، كما أن لهم قوة تحمـيهم من بني جنسهم خارج الجزيرة ، كانت دائما جاهزة فور الاسـتنجاد بهـا ، ومن هنا بدأ الاحتكاك المباشر وتضارب المصالح يظهـر بـين الفينيقيـين والإغريق في الجزيرة ، وبدأت بوادر تغيرات جديدة في المنطقة تلوح فـي الأفق ، تنذر بوقوع صراع حول مناطق النفوذ بين القادمين الجـدد ومـن سبقهم من الفينيقيين أملتها تعارض المصالح بين الطرفين حيث حاول كـل فريق أن يحقق أهدافه على حساب الطرف الآخر.

المبحث الثاني

الصراع العسكري

* تضارب المصالح وبداية الصدام .
* التحالف القرطاجي الأتروسكي .
* مراحل الصراع.
* نهاية الصراع ونتائجه .

الصراع القرطاجي الإغريقي

تضارب المصالح وبداية الصدام :

مع بداية القرن الثامن ق.م بدأ الوجود اليوناني يتسرب إلى الحـوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط كما عرفنا سابقا ، وعلى الرغم من أنه بـدأ في الجنوب الإيطالي إلا أنه لم يلبث أن امتد غربا إلى جزيرة صقلية ، حيث كانت المراكز التجارية الفينيقية على الساحل الجنوبي الشرقي للجزيرة ، ولأن الوجود الإغريقي جاء بكثافة وعلى هيئة مجموعات استيطانية – نظرا للعوامل التي دفعته للهجرة – فقد انسحب الفينيقيون أو على الأصح طـردوا من مراكزهم على السواحل الجنوبية والشرقية ، متجهين نحو الغرب والشمال الغربي[1] ، ذلك أن الإغريق كانوا يستولون على أفضل المـوانئ ، وسرعان ما ينتشرون إلى الدواخل مسيطرين على أخصب السهول ، وأفضل الأراضي الزراعية ، بعد طرد سكانها المحليين ، يساعدهم في ذلك تفـوقهم من حيث التسلح والكفاءة القتالية ، ومن يبقى من هؤلاء السكان يتحول إلـى عبيد للقادمين الجدد. وبهذا نجد أن الاستعمار الإغريقـي كـان اسـتعمارا استيطانيا بمعنى الكلمة ، ولذلك فلم يقاوم الفينيقيون هذه الموجات في بـادئ الأمر ، وانسحبوا من أمامها ، مفسحين لهم لمجال لتأسيس مستوطناتهم[2].

والراجح أن ذلك يعود إلى أسباب عديدة منها: قلة عدد الفينيقيين فـي المنطقة وطبيعتهم المسالمة ، وليس من المستبعد أن يكـون الفينيقيـون قـد رحبوا بالإغريق في البداية ، لما يوفر لهم من كثافة سكانية تخلق لهم سـوقا رائجة لتصريف بضائعهم ، حيث اتسمت العلاقة بين الطرفين بالود والسلام فترة من الزمن في بادئ الأمر ، على الرغم من كثافة الهجرات الإغريقية ،

---

(1) Thucydides , BOOK . V1 . F . 2 .

(2) عياد ، محمد كامل ، المرجع سابق – ص352.

ولكن ما أن ثبّت الإغريق أقدامهم ، ووطدوا وجودهم في الجزيـرة ، حتـى بدأوا يعملون على القضاء على الوجود الفينيقي فيها بشكل خاص ، ويتوقون إلى بسط سيطرتهم على غرب البحر المتوسط بـشكل عـام ، مـن خـلال السيطرة على الطرق التجارية ، والوصول إلى شبه جزيـرة ايبيريـا عـن طريق سردينيا ، تلك المنطقة التي كانت تمثل مصدر الثراء للعالم الـشرقي بشكل عام ، إذ أنها تحتوي على أهم المعادن ، كالذهب والفضة والقـصدير والنحاس ، وهذا ما لم يسمح به الفينيقيون تحت راية عاصمتهم قرطاجة.

ومن هنا بدأ الاحتكاك يظهر بين الجانبين ، وبدأت بـوادر الـصراع تلوح في الأفق ، حيث أخذت العلاقات تتحدر نحو الأسـوأ ، وتتجـه نحـو الحرب مع بداية القرن السادس ق.م[1].

وفي ضوء تضارب هذه المصالح بدأ الفريقان يسيران نحـو الـصدام المباشر ، منتظرين الفرصة السانحة لذلك ، فقد كان الاتجاه الإغريقي نحـو الغرب والعمل على تأسيس المستوطنات في صقلية وشمال أفريقيا باعثا على التحرك الفينيقي لإيقاف هذا التغلغل في منطقة يعتبرونها منطقة نفوذ لهـم ، حتى لو ترتب على ذلك استخدام القوة المسلحة[2] ، وقد جاءت هذه الفرصة عندما حاول أحد المغامرين الإغريق إنشاء مستعمرة جديدة له فـي غـرب جزيرة صقلية ، مدعوما من – وحي دلفي – كما يدعى ، وكان هذا المغامر يدعى "فنتاتالوس" ، إلا أنه هزم من قبل الفينيقيين في الجزيرة بـدعم مـن القرطاجيين ، وقتل وطرد أتباعه ، وكان ذلك عام 580 ق.م تقريبا[3].

كان ذلك أول صدام مسلح مباشر يقع بين الطرفين أوردته لنا المصادر

---

(1) الموسوعة الإفريقية ، عبد العليم ، رجب محمد ، لمحات من تاريخ القارة الإفريقية ، مـج 2 ، مـايو 1977 م ص28.

(2) الجراري ، محمد الطاهر ، دوافع الاستيطان الإغريقي بليبيا ، مجلة البحوث الأثرية ، السنة. 7. العدد الأول ، منشورات جامعة الفاتح ، مركز جهاد الليبين ضد الغزو الإيطالي ، يناير 1985 م ص90 91.

(3) فنطر ، محمد حسين ص44

التاريخية ، أعقبته مصادمات أخرى في البحر التيراني ، كانت فاتحة لصراع طويل اتخذ من صقلية مركزا له ، وامتد إلى شمال الحوض الغربي للبحر المتوسط[1] ، وعلى الرغم من أن شرارة الصراع الأولى كانت بين السكان المحليين والإغريق ، إلا أنها هي التي أشعلت فتيل الأزمة ، وكانت فرصة أغتنمها الفريقان لتحقيق مصالحهما ، فالإغريق كانوا يسعون إلى إيجاد مستوطنات دائمة في جميع أنحاء الجزيرة ، وطرد السكان المحليين ، أو تحويلهم إلى عبيد ، وبذلك تصبح جزيرة صقلية إغريقية كما فعلوا في الجنوب الإيطالي الذي أصبح يسمى بلاد الإغريق الكبرى [2] Magna Gracia ، ومن ثم التحول بعد ذلك نحو الغرب ، حيث مناجم الفضة والقصدير في بلاد ترشيش وما وراءها ، والتي طالما حلموا بالوصول إليها والسيطرة عليها ، وإزاحة الوسيط الفينيقي من أمامهم ، يساعدهم في ذلك التنافس بين دويلات المدن الإغريقية في البحر الإيجي والضغط الفارسي في الشرق ، والذي أدى إلى زيادة الهجرات التي تحولت نتيجة ذلك إلى معين لا ينضب من الجنود والمستوطنين ، وقد بدا لهم أن ذلك ممكن بعد أن استطاعوا السيطرة على الجنوب الإيطالي حتى سهل اترووريا دون وجود مقاومة تذكر ، واستطاعوا الوصول إلى جنوب فرنسا من خلال المرور عبر كورسيكا ، حيث أسسوا مساليا التي أسست بدورها سلسلة من المستوطنات الصغيرة على سواحل جنوب شرق إسبانيا[3] ، بل وتحالفوا مع الملك الترسيس كما تذكر المصادر ، والذي رحب بهم على ما يبدو لمقاومة النفوذ الفينيقي هناك ، ولكن الطريق لم يخلُ من المصاعب ، فقد اصطدموا أيضا بالنفوذ الأتروسكي في المنطقة.

---

(1) أيوب ، إبراهيم رزق الله ، التاريخ الروماني ، منشورات جامعة سبها ، الإدارة العامة للمكتبات والنشر 1996 م ص134 .

(2) بكري ، حسن صبح ، المرجع السابق ، ص37 .

(3) تسيركين ، بركوفيتش ، المرجع السابق ص49 .

استطاع الإغريق الدوريون الإمساك بزمام الأمور في جزيرة صقلية ، واستطاعوا بسط سيطرتهم على معظم أرجائها ، ولم يبق خارج سيطرتهم سوى غربها وشمالها مع بداية القرن الخامس ق.م [1] ، وقد عزّ عليهم ذلك فأرادوا إكمال ضم ما تبقى منها ، والانطلاق منها نحو الغرب مرورا بجنوب سردينيا فجزر البليار ، والالتقاء مع الإغريق الشماليين في أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق).

أما الفينيقيون فقد كانت لهم أسبابهم التي دفعتهم لمواجهة الإغريق ، والتحول إلى استخدام القوة المسلحة على غير عادتهم ، فقد كانوا في السابق رجال سلام ، وكان همهم الأول هو التجارة ، و التغلغل السلمي بين الشعوب التي يفدون إلى أراضيها ، فقد كانوا على عكس الإغريق ، فوجودهم مرحب به سواء في صقلية أو في سردينيا [2] ، إلا أن الفينيقيين ومن ورائهم القرطاجيين شعروا بأن الوجود الإغريقي يهدف إلى أبعد من الاستيطان ، وأحسوا بأن طرقهم التجارية – خاصة مع أتروريا – أصبحت في خطر ، نتيجة أعمال القرصنة التي كان يمارسها البحارة الإغريق في المنطقة [3] ، وأن مصادر ثروتهم هي أيضا في خطر بعد التسرب الإغريقي إلى جنوب فرنسا ، ووجدوا أنفسهم محاصرين من الشرق والشمال الشرقي ، بل وأن الطريق مع وطنهم الأم صور هو أيضا أصبح مهددا بعد تأسيس مستعمرة قوريني في شمال أفريقيا عام 631 ق.م [4] ، وبذلك لم يبق أمامهم سوى الدفاع عن أنفسهم وتحطيم خصومهم بشتى الوسائل ، وقرروا وقف الزحف الإغريقي ، فزادوا من وجودهم في غرب صقلية ، وازدادت مراكزهم في

---

(1) Picard , G . C , Vie et Morte de carthage , Hachette france 1970 . P 64

(2) Ibid . P 60 .

(3) ستيفنتسن ، ه ، تجارة العالم القديم فبي البحر المتوسط ، تاريخ العالم ، مج 2 ، المرجع السابق ص165

.

(4) شاموا ، فرانسوا ، الإ غريق في برقة " الأسطورة والتاريخ " ، نقله عن الفرنسية ، محمد عبد الكريم الوافي ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، 1990 م ص69 .

جزيرة سردينيا ، وانضووا تحت حماية قرطاجة – أقوى مدينة فينيقية في الغرب – التي باشرت الإشراف المباشر على سردينيا ، وأصبحت المعني الأول بترسيخ الوجود الفينيقي في غرب البحر المتوسط ، والمسئولة عن حمايته ، كما أنها سارعت إلى تأسيس مستعمرة ايبيزا في جزر البليار ، حتى يكون وجودها هناك قويا ، تستطيع من خلاله حماية مصالحها التجارية ، وتكون قريبة من السواحل الإسبانية ، مغلقة الطريق أمام الإغريق نحو الغرب[1]. وقد دفعهم هذا إلى إغلاق (مضيق جبل طارق) " هرقل " أمام كل سفينة غير فينيقية ، حتى شملت سفن أصدقائهم وحلفائهم الأتروسك[2]. كل هذه الخطوات تندرج تحت ما نعرفه اليوم بالسباق الاستعماري ، وما يسمى بالحرب الباردة بين الطرفين ، ولكن مع بداية القرن السادس ق.م كان الصدام العسكري المباشر في أول مواجهة مسلحة من خلال تلك الحملة التي أرسلتها الدولة القرطاجية إلى صقلية ، واستطاع القرطاجيون فيها هزيمة الإغريق في الجزيرة ، ثم تحولت تلك الحملة إلى جزيرة سردينيا لبسط سيطرة قرطاجة المباشرة هناك على ما يبدو.

وحسبما ورد إلينا فإن تلك الحملة هي بداية ذلك الصراع المسلح ، ثم لم تلبث أن أعقبتها مصادمات أخرى في ذلك القرن ، وأهمها: معركة الأليا عام 535 ق.م ، والتي تحالف فيها القرطاجيون مع الإتروسك ، وهزموا الإغريق.

وما إن بدأ القرن الخامس حتى ازدادت المصادمات التي أفضت إلى معركة لها شأنها فى تاريخ الصراع القرطاجي الإغريقي ، وأدت إلى صراع مفتوح بين الطرفين لم يعد بحاجة إلى مبررات ، تلك هي معركة هيميرا عام 480 ق.م ، والتي استمر الصراع بعدها حتى نهاية الربع الأول من القرن الثالث ق.م .

---

(1) فنطر ، محمد حسين ، الفينيقيون بناة المتوسط ، المرجع السابق ص102 .

(2) Picard , G . C , Vie et Mort de Carthage, op . cit . P. 56 .

وفي واقع الأمر فإن الصراع الإغريقي القرطاجي على الرغم من تركزه في صقلية ، إلا أنه كان أكثر شمولية ، حيث نجد أنه قد شمل شمال أفريقيا ، حيث يذكر المؤرخ سالوست أن ذلك الصراع قد امتد حتى أصبح بين قوريني وقرطاجة ، وكان محوره مناطق النفوذ في منطقة خليج سرت الكبير ، حتى أرهقت الحروب المتكررة بين الطرفين قوتهما ، فأقرا اتفاقية سلام بينهما تقضي بترسيم الحدود ، وهي ما عرفت بقصة الأخوين فيلاني اللذين تطوعا بأن يدفنا حيين ، لتثبيت الحدود في النقطة التي وصلا إليها (1) ، في السباق الذي جرى بين المتسابقين القرطاجيين والإغريق.

(1) سالوست ، حرب يوغرطة " صفحات من تاريخ شمال أفريقيا القديم ، ت : محمد الناز ي سعود ، مطبعة محمد الخامس الجامعية والثقافية ، فاس ، 1979 م ص162 .

التحالف القرطاجي الأتروسكي

من هم الأتروسك ؟

الأتروسك هم شعب اختلفت المصادر والمراجع التاريخية في تحديد هويته ، وحول موطنه الأصلي بالتحديد ، ولكن الذي أجمعت عليه ، هو أنهم جاءوا من الشرق في إطار الحركة البشرية المتجهة نحو الغرب ، فقد دلت آثارهم ومعتقداتهم على أصولهم الشرقية ، فكانت معبوداتهم وأشكال آلهتهم صورا للإبطال والآلهة التي كانت شائعة في البلاد الآسيوية ، ناهيك عن البصمات الآشورية الممثلة في قصصهم ، والمناظر التي رسموها على أقنعتهم ولوحاتهم الفنية [1].

استقرت هذه الجماعات في وسط وشمال إيطاليا الحالية ، التي حملت اسمهم فيما بعد "السهل الأتروري" ، ويذكر أرنولد توينبي أن هذا الشعب قد جاء من ضفاف مدخل "الدردنيل" حيث كانت المستعمرات الأتروسكية ، وأنهم كانوا يسمون الحيثيين البحريين [2]. وقد استطاع الشعب الإتروسكي أن ينشئ حضارة زاهرة لها خصائصها في الوسط الإيطالي ، استمرت حتى القرن الثالث ق.م تقريبا ، عندما تمكنت الجمهورية الرومانية من طرد ملوكهم ، ثم قضت على أهم مدنهم مع بداية ذلك القرن. ولايعرف على وجه الدقة الفترة التي جاء فيها الأتروسك إلى منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط ، فعلى الرغم من أن حضاراتهم قد ازدهرت عقب القرن الثامن ق.م ، إلا أن مجيئهم إلى المنطقة يعود إلى نهاية الألف الثانية ق.م [3]. وتمتع الإتروسك بعلاقات حسنة مع جيرانهم ، وخاصة النورانج سكان جزيرة سردينيا الأصليين ، فنشأت بينهم علاقات تجارية جيدة ، أصبحت على أثرها تلك الجزيرة المجال

---

(1) عارف ، عائدة سليمان ، مدارس الفن والقديم ، دار صادر ، بيروت ، 1972 ص253 .

(2) توينبي ، أرنولد ، المرجع السابق ص115.

(3) Grant , Michael ,op . cit. P. 9 .

الحيوي لتجارهم ، فجلبوا منها المعادن ، كالذهب والنحاس والحبوب ، وكانت التجارة نشطة جدا بين شاطئ اتروريا الشمالي – خاصة مدينة فيتالونيا – وبين "أولبيا وكالا" في سردينيا [1] ، وقد ساعدت هذه العلاقة التجارية على توطيد التفاهم القرطاجي والأتروسكي فيما بعد.

لم تكن بداية معرفة الفينيقيين بالإتروسك قد جاءت بعد السيطرة القرطاجية على سردينيا ، ولكنها تعود إلى أقدم من ذلك بكثير على ما يبدو ، فقد ظهرت آثار للفينيقيين على الساحل الأتروسكي نفسه ، قبل ظهور قرطاجة ، حيث وجدت عبادة "عشتارت" في "فيثالونيا" على الساحل الغربي لإتروريا ، وهي ما عرفت عندهم باسم "اوني" ، ويرجح أن أصل عبادتهم قد جاءت مباشرة من الشرق ومن مصادر فينيقية ، كما أن هناك من يرجع اسم مدينة "بابالونيا" إلى إنه اشتق من اسم مدينة بيبلوس الفينيقية[2] ، ولذلك فإن الاتصال الفينيقي الإتروسكي كان قديما قدم وصول الشعبين إلى منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط.

وتقاسم كل من الفينيقيين والإتروسك مناطق النفوذ في منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط دون منافس في بادئ الأمر ، وتوثقت العلاقات التجارية بين الطرفين ، فقد كانت سردينيا وجنوب إسبانيا والمنطقة الواقعة خلف أعمدة هرقل المجال الحيوي للفينيقيين ، بينما كانت كورسيكا وشرق إسبانيا وجنوب "فرنسا الحالية" منطقة النفوذ التجاري للإتروسك ، حيث وجدت كميات من الفخار الإتروسكي في هذه المنطقة [3] ، وبذلك سادت العلاقات الحسنة بين الطرفين ، وفتحت أراضي كل طرف أمام تجار الطرف الآخر ، وأصبح كل منها يكمل الآخر ، وعاشا جنبا إلى جنب ، كل يعمل

---

(1) Acquaro ,Enrico , "Phaenicians and Etruscans" ,in Sabatino Moscati, The Phoenicians, op .Cit .P .614 .

(2) Grant , Michael , op . Cit . P.187 .

(3) IBid . P153 .

لتحقيق مصالحه ، دون المساس بمصالح الطرف الآخر[1].

ظهرت قرطاجة ككيان سياسي قوي في غرب البحر المتوسط ، وبسطت سيادتها التجارية على المنطقة بشكل يكاد يكون كليا ، ولكنها لم تصطدم في يوم من الأيام بالقوى المحلية ، ذلك أنها حلت محل المستوطنات الفينيقية القديمة ، وأصبحت ممثلة للوجود التجاري الشرقي هناك ، كما أن طبيعة القرطاجيين السلمية وذكاءهم الاقتصادي جعل منهم شركاء تجاريين للسكان المحليين ، وليسوا منافسين لهم ، فلم يحاولوا فرض سيادتهم التجارية عليهم ، بل صدروا لهم ، واستوردوا منهم ، فعلى سبيل المثال كان التجار الأتروسك يجلبون بعض المعادن - خاصة الذهب - من مدينة ثاروس القرطاجية في سردينيا [2] ، ولذا فقد توثقت العلاقات الاقتصادية بين الطرفين بصورة أكبر بعد ظهور قرطاجة على مسرح الأحداث ، ولكن مع مجيء الإغريق إلى المنطقة بدأت الأمور تأخذ منحىً آخر ، ومع أن الإغريق "الخالكيس" الذين استوطنوا جزيرة بيثاكوساي بالقرب من السهل الأتروري ، عملوا على الاتجار مع الأتروسك ، والاستفادة من المعادن التي كانت بحوزتهم ، سواء أكانت من أتروريا نفسها ، أو جلبت من فرنسا وإسبانيا[3] ، إلا أن دخول طرف ثالث في الحياة التجارية في المنطقة كان من شأنه أن يغير الموازين فيها ، خاصة وأن الإغريق قد تدفقوا بشكل قوي وكثيف على الجنوب الإيطالي ، وكان تدفقهم استيطانيا ، وعلى الرغم من أن الحركة التجارية قد نشطت بين المستعمرات الإغريقية في الجنوب الإيطالي والإتروسك في الوسط والشمال ، إلا أن مجيء موجة استعمارية من مدينة فوكايا الإغريقية في الشرق في نهاية القرن السابع ، وتأسيس مستعمرة لها

---

(1) Acquaro ,Enrico , "Phoenicians and Etruans" , op . Cit . P .612 .

(2) Ibid . P. 610 .

(3) Burn , Andrew , op . cit . P. 160 .

في جنوب فرنسا هي مساليا عام 600 ق.م [1] كان سبباً في سوء العلاقة بين الطرفين. تلك المستعمرة التي نظر لها الأتروسك بعين العداء ، لأنها أسست مجموعة من المستعمرات على الساحل الأسباني ، وبدأت تنافسهم في جلب المعادن من فرنسا وأسبانيا بل وأغلقت الطريق في وجههم في بعض الأحيان ، ومن هنا بدأت الأحوال تتغير في المنطقة.

شكل الاستعمار الإغريقي الكثيف في الجنوب الإيطالي وصقلية منطقة ضغط على المصالح التجارية لكل من قرطاجة وأترووريا على حد سواء ، وأصبح التهديد مباشرا للطرق التجارية بينهما عبر البحر "التيرهيني" الذي كان آمنا ، خاصة وأن معظم التجار الإغريق كانوا يمارسون عملية القرصنة ضد السفن غير الإغريقية ، وبذلك اضطرت أترووريا إلى تغيير طرق تجارتها نحو الشرق ، مروراً بغرب صقلية ، يضاف إلى ذلك الوجود الفوكي في مساليا ، هذا الأمر أدى إلى زيادة التعاون والتقارب القرطاجي الأتروسكي ضد العدو المشترك. ومما زاد الأمر سوءا أنه مع بداية القرن السادس ق.م حدث الضغط الفارسي في الشرق ، فازداد عدد المهاجرين الفوكيين إلى غرب البحر المتوسط ، ملتحقين بأبناء عمومتهم السابقين ، وفي هذا السياق أسس الفوكيون مستعمرة الأليا بالقرب من كورسيكا ومقابلة للساحل الأترووري نفسه في حوالي 560 ق.م تقريبا[2] ، وهذا لا يعني منافسة التجارة الأتروسكية القرطاجية فقط ، وإنما يعني وصل المستعمرات الإغريقية بين جنوب فرنسا وبين الجنوب الإيطالي ، مما يعني السيطرة على تجارة البحر التيرهيني ، وقطع طرق التجارة بين قرطاجة واترووريا ، وبالتالي خنق الإقتصاد القرطاجي ، وحرمانهم من أهم شريك لهم من خلال محاولتهم احتلال كورسيكا احتلالا كاملا [3] ، وهذا يعني السيطرة الإغريقية

---

(1) جندي ، إبراهيم عبد العزيز ، المرجع السابق ص310 .

(2) نصحي ، إبراهيم ، تاريخ الرومان ، المرجع السابق ص 56.

(3) picard , G . le mande de Carthage , op . cit . P. 31 .

على شرق وشمال الحوض الغربي للبحر المتوسط ، انطلاقا من صقلية فكورسيكا ثم الجنوب الفرنسي ، وتهديد الوجود القرطاجي في سردينيا ، وجعله في خطر من خلال السيطرة على طرق مواصلاتها نحو الغرب [1]. من هنا أصبح لزاما على القرطاجيين والأتروسك التكاتف والوقوف في وجه العدو الجديد ، وتوج هذا التقارب بالمعركة التي قادها الطرفان متحدَين ضد إغريق فوكايا عام 535 ق.م ، وعرفت بمعركة "الأليا" وترتب عليها طرد الإغريق نهائيا من جزيرة كورسيكا ، وتقسيم منطقة النفوذ بين قرطاجة وحليفتها أتروريا ، فأصبحت سردينيا من نصيب القرطاجيين ، وكورسيكا من نصيب الأتروسك[2] ، وحرم الإغريق من الاتصال بإخوانهم في الشمال ، وبالتالي فقدوا السيطرة على تجارة الحوض الغربي للبحر المتوسط.

استمر التحالف القرطاجي الأتروسكي بعد معركة الأليا فترة من الزمن ، وإن كان ليس هناك ما يدعم هذا القول من الناحية العسكرية ، حيث لم يتم العثور على وثائق أو آثار تدل على خوض الجيشين لمعركة أخرى متحدَين ، إلا أن ذلك التقارب استمر لفترة نتج عنه ظهور جاليات من الطرفين استقرت في أراضي الطرف الآخر ، وقد ظهر ذلك جليا من خلال الصفائح الثلاث التي وجدت في مدينة "بيرجي" التابعة لكيرا ، والتي تحمل نقوشا كُتب اثنان منها باللغة الأتروسكية ، وواحدة باللغة الفينيقية ، ومع أن اللوحة الأخيرة لم تفك رموزها بعد ، إلا أن ما تحويه إحدى اللوحتين الأخريين يدل على قوة العلاقة بين الطرفين[3] ، كما وجدت ثلاث صفائح عاجية تعود للقرن الخامس ق.م في مقبرة نوار في سردينيا مع مجموعة من التماثيل تنتمي إلى الموجودات الأتروسكية ، هذا بالإضافة إلى الفخار الذي يحمل طابعهم العائد لتلك الفترة ، يضاف إلى ذلك وجود بعض التماثيل الحيوانية التي تعود

(1) عارف ، عائدة سليمان ، المرجع السابق ص263 .

(2) المرجع نفسه ، ص265 .

(3) ميررز ، ح . ل . الأترووريون والقرطاجيون ، المرجع السابق. ص978

للنموذج الأتروسكي ، وجدت أيضا بثاروس ، مما يدل على التقارب التجاري حتى تلك الفترة [1].

أما من الناحية العسكرية فإننا لم نلاحظ تكرار ما حدث في الأليا ، بل استطاعت سيراكوزا أن تهزم قرطاجة عام 480 ق .م في معركة هيميـــرا ، وأن تعود إلى الأتروسك وتهزمهم في معركة كومـــاي عـــام 474 ق.م دون وقوف كل طرف إلى جانب حليفه السابق ، وهذا ما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن ذلك التحالف كان عرضيا ، ولم يكن على أسس ثابتة ، وبذلك انتهى بـــزوال الخطر عن كورسيكا ، أو أنه أقرب ما يكون إلى نجـــدة عـــسكرية قـــدمتها قرطاجة لشريكها التجاري القديم ، ولكن لذلك التحالف أهميته حيث نجد أنـــه يسجل أول تحالف عسكري في منطقة غرب البحر المتوســـط ، كمـــا أنـــه استعدى الإغريق ضد الأتروسك ، وحاول إغريق جنوب إيطاليـــا محالفـــة اللاتين في روما ضد الأتروسك ، مما جعلهم بين شقي الرحـــى ، وبالتـــالي سهلت مهمة القضاء عليهم من قبل اللاتين وحلفائهم الرومان فيما بعد[2].

مـــراحـــل الصـــراع :

بدأ الصراع القرطاجي الإغريقي المباشر مع بداية القرن السادس ق.م ، ولم ينته حتى نهاية الربع الأول من القرن الثالث ق.م ، وعلى الرغم من أن الحرب بين الطرفين لا تكاد تنتهي حتى تقوم من جديد خلال هذه الفترة ، إلا أنها قد مرت بثلاث مراحل رئيسة اعتبرت الخطوط الفاصلة في هذا الصراع ، حيث ارتبطت بظهور الطغاة الإغريق الذين حكموا سيراكوزا.

بدأت المرحلة الأولى مع تولي الطاغية "جيلـــون" حكـــم ســـيراكوزا ، وميزتها معركة هيميراعام480 ق.م ، بينما بدأت المرحلة الثانية مـــع نهايـــة

---

(1) Acquaro ,Enrico , "Phaenicians and Etruscans" , op . Cit . P .615 .

(2) أبو رونية الشاذلي ، محمد الطاهر ، المرجع السابق ص230 .

القرن الخامس واستمرت حتى نهاية الربع الأول من القرن الرابع ، وتميزت بظهور الطاغية "دينيسيوس الكبير" الذي توفي عام 368 ق.م ، حيث ساد الهدوء العلاقات القرطاجية الإغريقية فترة من الزمن ، بينما بدأت المرحلة الثالثة مع نهاية القرن الرابع بتولي" أجاثوكليس" عرش سيراكوزا ، واستمرت حتى وفاته في الربع الأول من القرن الثالث ق.م ، حيث حاول "هيرون" أحد ملوك الإغريق مواصلة الصراع ضد قرطاجة ، إلا أنه فشل في القيام بالمهمة ، وفرّ تاركا الساحة لصراع جديد بدأ يطل على المنطقة ، وهو الصراع القرطاجي الروماني فيما عُرف بعد ذلك بالحروب البونية الثلاث.

المرحلـة الأولـى :

جيلون ومعركة هيميرا 480 ق.م :

لم يكد ينتهي النصف الثاني من القرن السادس ق.م حتى أصبحت قرطاجة معنية تماما بالأوضاع السياسية في جزيرة صقلية ، بعد أن ظهر جليا أن الإغريق كانوا يسعون إلى فرض سيطرتهم التامة عليها ، وحتى يتسنى لها تأمين حضورها التجاري في غرب البحر المتوسط بشكل عام والبحر التيرهيني بشكل خاص ، وأصبح لزاما عليها التدخل مباشرة في شؤون الجزيرة الداخلية من أجل حماية مصالحها ، مستغلة في ذلك الصراعات الدائرة بشكل يكاد يكون مستمرا بين السكان المحليين من "اليميين وسيكان" من جهة ، وبين القادمين الجدد " الإغريق " من جهة أخرى ، وحتى بين المستعمرات الإغريقية نفسها التي كانت في صراع شبه دائم.

بدأت قرطاجة في إرسال حملاتها العسكرية منذ بداية القرن السادس ق.م مستهلة تلك الحملات بحملة مالخوس كما ذكرنا ، ومنذ ذلك الحين أصبحت تراقب عن كثب ما يجري في الجزيرة ، وإن كان حضورها العسكري لم يكن بشكل دائم ، حيث لم تكن لها حاميات عسكرية ثابتة في

المنطقة ، وهذا عائد لطبيعة تكوين الجيوش القرطاجية التي لم تكن نظامية حتى القرن الخامس ق. م تقريبا ، وكان قرب المسافة بين طرف الجزيرة الغربي وبين قرطاجة نفسها قد منحها ميزة إرسال جيوشها إلى هناك بشكل سريع ، مما شجعها على أن تمد بصرها لتفرض سيطرتها العسكرية على صقلية ، وفرض هيبتها هناك ، ولإيقاف الزحف الإغريقي على ما تبقى منها خارج سيطرتهم الاستعمارية[1].

ومع بداية القرن الخامس ق.م حدثت تغيرات مهمة في الجزيرة أفرزتها الصراعات الدائرة بين المستوطنات الإغريقية فيها ، حيث وصل"جيلون" أحد القادة العسكريين الطغاة إلى سدة الحكم في إحدى تلك المستوطنات وأقواها ، وهي مستعمرة "سيراكوزا". وقد ظهر هذا الطاغية في مستعمرة تدعى "جيلا" بعد وفاة طاغيتها المدعو "هيبوكراتيس" ، الذي ترك ولدين صغيرين على عرشها ، حيث وقف إلى جانب الطفلين كوصي عليهما في الفترة الواقعة بين 492ق.م ، 485 ق.م [2] ، وحاول تدعيم نفوذه بعقد تحالفات مع طغاة آخرين ، بل وصاهر بعضهم ، كطاغية "أكراجاس" المدعو" تيرون[3] ، مما منحه نفوذا أقوى على ساحل الجزيرة الجنوبي ، وقد تزامن ذلك مع نشوب ثورة الأرستقراطية في سيراكوزا عام 485 ق.م.

نشأ مع تلك الثورة فراغ سياسي في المستعمرة ، أدى إلى إتاحة الفرصة أمام جيلون للاستيلاء على السلطة فيها ، فسارع إلى الوقوف إلى جانب الثوار واستطاع من خلال ذلك الوصول إلى سدة الحكم فيها ، مورثا حكم مستعمرة جيلا لأخيه هيرون ، وبذلك أصبح معظم الساحل الجنوبي تحت سيطرته من

---

(1) يحى ، لطفي عبد الوهاب ، مقدمة في التاريخ الحضاري ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1991 م ص153 .

(2) Hammond , N.G.I , op . cit . P. 267

(3) مكاوي ، فوزي ، المرجع السابق ص147.

سيلينوس غربا حتى ميجارا هيبالايا على الساحل الشرقي شرقا[1].

هذا الوضع دفع جيلون إلى العمل على بسط سيطرته على كامل الجزيرة بذكاء متميز ، فقد حاول أن يجعل من سيراكوزا مركز الثقل الإغريقي في الجزيرة ، وجعلها أغنى مدينة في العالم الهلليني بالتحالف مع أخيه طاغية " أكراجاس" ، الذي عمل على إخضاع المستعمرات الإغريقية الأخرى لصالحه[2] ، كما أنه حاول اجتذاب السكان إليها ليجعلها أكثر قوة ، وأكثر ازدهارا ، ففضلا عن استقطابه المهاجرين من البلاد اليونانية عمل على جذب سكان المستعمرات الإغريقية الأخرى في الجزيرة بغض النظر عن انتماءاتهم الأصلية: "دوريين – خالكيس – أيونيين ...... الخ" ، وهذا ما يوحي ببعد نظر جيلون في مواجهة النفوذ الفينيقي في غرب الجزيرة ، ويبين عزمه على محاولة ضمها بالكامل وطرد الفينيقيين منها وكسر شوكة الأليميين حلفاء الفينيقيين ، وبذلك عمل على توحيد الإغريق لهذا الغرض ، فعمل على ضم الطبقات الأرستقراطية إلى بلاطه ، وتحويل الطبقات المعدمة إلى خدم لسيراكوزا[3] ، ولتنفيذ هذه الأهداف وغيرها بدأ يعمل على إنشاء قوة عسكرية خاصة بمستعمرة سيراكوزا ، شملت سفنا ذات الثلاثة مجاديف ، وسلاح للفرسان وسلاح المشاة ، وأخذ في إنشاء تحصينات قوية للمدينة قادرة على مقاومة أي هجوم خارجي من الحجم الثقيل [4].

ولم تكن هذه الاحتياطات والدفاعات في الواقع موجهة إلا ضد عدوين قويين هما: قرطاجة في الغرب ، وأثينا العدوة اليونانية اللدودة لسيراكوزا في الشرق ، ومن هنا كانت إجراءات جيلون العسكرية .

---

(1)Llody, W, Watkiss , op . cit . P. 81 .

(2) جوليان ، شارل اندرية ، المرجع السابق ص89 .

(3) Hammond , N . G . l , op .Cit . P .269.

(4) Ibid. P. 267.

وما أن أتم جيلون استعداداته العسكرية حتى بدأ يعمل على إثارة القلاقل في الجزيرة ، التي من شأنها أن تمنحه فرصة التدخل وضم المزيد من الأراضي الجديدة تحت نفوذه ، على حساب أعدائه من المستعمرات الإغريقية الخارجة عن سلطانه ، ففي عام 480 ق.م نشب صراع بين "تيرون" طاغية أكراجاس ، وبين "تريللوس" طاغية هيميرا ، حيث حاول الأول بسط سيطرته على هيميرا بعد أن طرد حاكمها منها[1] ، وليس من المستبعد أن يكون ذلك بمباركة من جيلون نفسه ، فقد ضمن ثيرون مساعدة سيراكوزا له ، وعلى الرغم من أن هذا الصراع كان إغريقيا مائة بالمائة ، أي " دوري – يوبوي " ، إلا أن هيميراكانت على علاقات حسنة مع جيرانها الغربيين "الفينيقيين والأليميين" ، ولذا فمن الطبيعي أن تطلب النجدة من الفينيقيين المنضوين تحت لواء قرطاجة ، ومن هنا بدأت بوادر الحرب بين سيراكوزا وقرطاجة تلوح في الأفق. فرّ "تريللوس" إلى مستعمرة ريجيوم على الساحل الشرقي لمضيق مسينا ، وكان حاكمها المدعو "اناكسيلاوس" زوج ابنته ومن أهم حلفائه ، كما كانت تجمعه به مخاوف الأخير من أطماع جيلون في السيطرة على المضيق[2] ، ومن هناك أرسل يطلب النجدة من جيرانه في الغرب ، ومن ورائهم قرطاجة التي كانت هي الأخرى تبحث عن ذريعة للحد من تحركات جيلون ، تلك التحركات التي ولّدت لديها الشك والريبة في نواياه تجاه الجزيرة بأكملها ، فسارعت بإرسال حملة عسكرية من الواضح أنها كانت تعدها قبل تلك الحادثة ، وأسندت قيادتها إلى واحد من أكفإ قوادها ، ويدعى "حاميلكار" ، حيث عبر إلى جزيرة صقلية ملبيا النداء. وقد ضمت هذه الحملة أجناسا مختلفة من الرعايا القرطاجيين ، منهم الفينيقيون واللوبيون والسردينيون والإيبيريون والكورسيكيون [3]......الخ .

---

(1) IB id . P. 268.

(2) Llody, W, Watkiss , op . Cit . P. 84 .

(3) J , Alfred , church , M .A , op . Cit . P 25.

وعبرت الجيوش القرطاجية البحر إلى صقلية حيث تعرضت لعاصفة دمرت جزءا من أسطولها ، ونزل ما تبقى منه في " بانورومس " ، ومن فوره بدأ حاميلكار يستعد للهجوم على هيميراوطرد ثيرون منها ، فبعد أن أراح جنوده ثلاثة أيام أصلح فيها السفن التي أعطبتها العاصفة البحرية ، زحف برا وبحرا على هيميراء ، وبدأ يعمل على حصار المدينة ، حيث سحب سفنه إلى الشاطئ ، وأنشأ خطا دفاعيا للسفن ، وحاصر المدينة من الغرب [1].

سارع جيلون للالتحاق بجيش حليفه ثيرون في المدينة لرفع معنويات المدافعين عنها من جهة ، ولمباغتة قوات حاميلكار التي بدأت تضرب الحصار على المدينة من جهة أخرى ، كما أنه عمل على الاشتباك مع تلك القوات قبل وصول الإمدادات المفترضة من اناكسيلاوس وتريللوس من ريجيوم إليها. ومن هنا جاءت مفاجأة جيلون للجيش القرطاجي ، ومحاولة إلحاق الهزيمة به ، ومن ثَم دُمرت الحملة تماما ، وقتل قائدها حاميلكار في المعركة [2].

أما إعداد الجيوش لكلا الجانبين ، فإننا نفضل ألا نتعرض إليها لعدم أهميتها أولا ، وللمبالغة الواضحة من قبل الكُتاب الإغريق والتهويل في عدد الجيش القرطاجي ثانيا ، والتقليل من عدد الجيش السيراكوزي لإعطاء النصر الجيلوني قيمة أكبر ، وإضفاء هاله من البطولة عليه ثالثا ، فعلى سبيل المثال يذكر أن القوات القرطاجية بلغت ثلاثمائة ألف جندي قرطاجي هزموا أمام أربعة وعشرين ألف جندي إغريقي[3].

أما أسباب الهزيمة فإن الكُتّاب الإغريق يعيدونها إلى جملة من الأسباب أهمها:

1 ـ مباغتة جيلون للجيش القرطاجي على غير توقع ، وقبل أن يستعد

---

(1) Ibid . P. 26 .

(2) Bury , J . B , D . lilt , ll. op . Cit . P. 303 .

(3) مكاوي ، فوزي ، المرجع السابق ص145 .

جيدا ويبني استحكاماته ، فلم يتوقع القرطاجيون مهاجمة جيلون [1] لهم بالسرعة التي تمت بها.

وهذا من الجائز حيث أدرك جيلون أن مرور الوقت ليس في صالحه ، فهو يفت في عضد المدافعين عن المدينة ، كما أنه كان يخشى من مجيء الدعم المفترض للقرطاجيين من الشرق " ريجيوم " ، حيث يوجد حاكم هيميرا المخلوع وصهره ، هذا فضلا عن أن القرطاجيين لم يستريحوا بعد.

2 – تسرب طلائع الجيش الجيلوني بقيادة ثيرون من خلف خطوط دفاع الجيش القرطاجي ، والاستيلاء على مراكز تموينه ، وأعلاف ماشيته ، وإحراق خيام الإمدادات[2]. وهذا ليس مستبعدا أيضا ، حيث يتوقف ذلك على ذكاء خطة القائد العسكري في الميدان خاصة وأن القرطاجيين لابد وأنهم كانوا مستهينين بالقوات السيراكوزية لقلة عددها ، ونقص خبرتها القتالية.

3 – اعتراض طلائع جيش جيلون لرسالة من أهالي سيلينوس كانت موجهة إلى القائد القرطاجي حاميلكار ، يعلمونه فيها بأنهم سيرسلون له المدد ، وحددوا علامة معينة لبدء القتال ، فاستغل جيلون ما جاء في الرسالة لمصلحته وحوله إلى خدعة حربية جريئة[3] . وفي هذا مثار شك؛ حيث إن سيلينوس على الرغم من علاقتها الحسنة مع الفينيقيين ، إلا أنها كانت إغريقية من أصل دوري ، و لم تكن على عداء ظاهر مع جيلون في سيراكوزا ، فما الذي يدفعها لمساعدة "حاميلكار"؟ ثم إنه كان في "بانروموس" بالقرب منها ، فكيف لم يتم

---

(1) Hammond , N . G . l, op .Cit . P. 269.

(2) Ibid . 2.69 .

(3) Llody, W, Watkiss , op . 97 .Cit . P. 97.

التنسيق فيما بينهما قبل زحفه على هيميرا؛ وهو الذي جمع الجند من مختلف الأقطار؟ كما أن مقتله تدور حوله الشبهات؛ حيث تذكر إحدى الروايات أنه قتل على يد خونة من سيلينوس يفترض أنهم كانوا أنصاراً له [1] .

إن صح هذا فإن جيلون لا يستبعد أن يكون قد دبّر مكيدة مع أبناء جلدته من سيلينوس ، مستغلين العلاقات الحسنة بينها وبين قرطاجة ، ، فأرسلت الأولى فرقة تظاهرت بمساعدة القرطاجيين ، وقامت بحرق الإمدادات عندما سنحت لها الفرصة ، وأشعلت فيها النيران لإثارة الاضطراب في صفوف القرطاجيين ، ثم قام بعض أفرادها بقتل القائد القرطاجي مستغلين ثقته بهم لإثارة البلبلة وسط الجيش القرطاجي ، وهذا أقرب إلى الترجيح ، حيث لا يعقل أن يترك القرطاجيون خطوط دفاعاتهم ومراكز إمداداتهم دون حراسة حتى يتسلل إليها جنود جليون ويقومون بتدميرها. كما أن من اللافت للنظر أن يترك جليون سيلينوس دون أن يهاجمها ، بعد أن تحقق له النصر على القرطاجيين كما يدعي الكُتّاب الإغريق واللاتين ، إن ذلك فعلا يحتاج إلى دراسة تفحصية وتدقيق.

هكذا انتهت معركة هيميرا في نفس السنة التي نشبت فيها الحرب ، وخسرت قرطاجة الكثير من جيشها كما يحدثنا المؤرخون القدامى ، وطلبت الصلح من سيراكوزا التي بدورها أملت عليها شروطا قاسية ، ومن الواضح أن الأخيرة لم تستثمر هذا النصر في طرد الفينيقيين من صقلية التي طالما حلمت بضمها نهائيا ، وهذا ما يثير الشكوك حول نصر جيلون كما صوره الكُتّاب الكلاسيكيون ، وربما أن سيراكوزا قد خرجت من تلك الحرب منتصرة؛ لأنها لم تهزم عسكريا ، أي إن تلك الحرب انتهت دون غالب أو مغلوب ، وإلا لما أبقت الفينيقيين في الجزيرة ، ولما توانت عن تحقيق

(1) Ibid .P. 99 .

أهم غاية عملت على تحقيقها منذ البداية ، ومع ذلك فإن لمعركة هيميرا عام 480 ق.م تأثيرا مهما في مجرى الأحداث التي تلتها ، من تغيير لسياسة قرطاجة في المنطقة برمتها ، وكانت لها تداعيات أثرت في تاريخ الحوض الغربي للبحر المتوسط بشكل عام ، سنحاول تسليط الضوء عليه لاحقا إن شاء الله .

انتهت معركة هيميرا بهزيمة عسكرية قاسية على القرطاجيين كما تحدثنا به المصادر الكلاسيكية ، وعلى الرغم من عدم التسليم بحجم الخسائر التي ذكرتها المصادر بالنسبة لقرطاجة ، إلا أن هذه المعركة كان لها نتائج مهمة توحي بأن قرطاجة لم تكسب هذه المعركة وقد جاءت هذه النتائج على الصعيدين العسكري والسياسي كما يلي :

1 – أدت معركة هيميرا إلى كسر شوكة قرطاجة العسكرية بشكل جعل القرطاجيين يعيدون حساباتهم في إعداد الحملات وتكوين الجيش.

2 – زرعت تلك المعركة الثقة في نفوس إغريق صقلية ، وخاصة سيراكوزا ، مما جعلها محط أنظار المغامرين الإغريق ، وتدفق المساعدات والإمدادات الحربية عليها من المستعمرات الإغريقية في الجزيرة ، وكذلك من البلاد الإغريقية نفسها ، مما ساعدها على أن تكون ندا قويا لقرطاجة.

3 – أصبحت سيراكوزا رأس حربة الصراع الإغريقي القرطاجي ، فعملت على ضم المستعمرات الإغريقية في الجزيرة تحت لوائها.

4 – نتج عن معركة هيميرا توقف القتال بشكل مؤقت لفترة طويلة من الزمن ، استمرت حوالي سبعين سنة ، مما يعني أن الحرب كانت قاسية على الطرفين ، فجعلتهما ينصرفان عنها ، مبتعدين عن الصدام المسلح طيلة هذه الفترة.

5 – نبهت معركة هيميرا القرطاجيين إلى الفضاء الإفريقي ، فبعد تلك المعركة أدرك القرطاجيون أنه لا يمكنهم الاعتماد على التجارة البحرية كمصدر أساسي لاقتصادهم وثرواتهم بعد ظهور المنافسة الإغريقية الجديدة لهم ، مما أوجب عليهم البحث عن البديل لدعم قوتهم الاقتصادية ، فتحولوا إلى بسط نفوذهم على أفريقيا ، واتجهوا إلى الاهتمام بالزراعة والتجارة البرية ، وبذلك شكلت تلك المعركة منعطفا خطيرا في السياسة القرطاجية كان لها آثارها على المدى البعيد.

6 – أدت معركة هيميرا إلى تقليص النفوذ القرطاجي في صقلية طيلة سبعين سنة ، وحلول النفوذ الاثيني محله ، حيث أصبحت تجبي الضرائب من الألميين والسيجست في بعض الأحيان ، ويظهر ذلك من خلال توسيع سيلينونتم نفوذها على حساب سيجستا ، مستغلة في ذلك هزيمة أثينا أمام سيراكوزا[1] ، مما حدا بالألميين إلى الاستنجاد بقرطاجة عام 409 ق.م ، تلك الحرب التي برز فيها الطاغية دينيسيوس الكبيرعلى الساحة السياسية ، وعدت بداية المرحلة الثانية في الصراع الإغريقي القرطاجي.

7 – ساعدت تلك الموقعة على إنهاء التحالف القرطاجي الأتروسكي الذي رأيناه في معركة الأليا عام 535 ق. م ، حيث لم نجد أثرا لمساعدة الأتروسك لحلفائهم القرطاجيين في تلك الحرب ، كما أن قرطاجة لم تستطع مساعدة الأتروسك عندما هزمهم الإغريق في معركة كوماي عام 474 ق.م.

من هنا ومن خلال ما تمخضت عنه تلك الموقعة ، نجد أنها شكلت منعرجا مهما في تاريخ الحوض الغربي للبحر المتوسط بشكل عام ، وتاريخ قرطاجة بشكل خاص.

---

(1) Rollin , M . , op . cit . P.125 .

المرحلة الثانية :

دينيسيوس وقرطاجة:

تعتبر معركة هيميرا التي وقعت بين سيراكوزا وقرطاجة عام480 ق.م ذات أهمية بالغة على كافة الصعد في منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط ، خاصة على صعيد الصراع المسلح بين القرطاجيين والإغريق في صقلية ، فخلال الفترة التي سبقت هذه المعركة كان الصراع محتشماً لا يكاد يظهر بشكل واضح ، رغم تضارب المصالح بين الطرفين ، ولكن بعد هذه الموقعة أصبح الصراع مفتوحاً بشكل كامل ، ولا تحتاج قرطاجة إلى ذريعة للتدخل في صقلية ، ولا يحتاج الإغريق إلى مبرر لمهاجمة نفوذها في غرب الجزيرة ، وعلى الرغم من أنه قد أعقب هذه الموقعة قرابة سبعين سنة من الهدوء الحذر بين الطرفين ، إلا أن ذلك كان عائداً لأسباب أخرى تخص كل طرف على حدة ، فقرطاجة أدركت أنه يجب عليها اتباع سياسة جديدة في المنطقة ، وتدعيم مركزها في الفضاء الإفريقي أولا[1] ، بينما عاش الإغريق على حالتهم السابقة في صراعات دائرة فيما بينهم ، كل يسعى لبسط هيمنته على الجزيرة ، وكانت المدينة المعنية بهذا الأمر هي سيراكوزا التي لها ما يشغلها في الشرق أيضا ، وهو عداؤها المستمر مع أثينا[2] ، فكانت لا تترك فرصة لعقد السلام مع قرطاجة في الغرب إلا ولجأت إليها ، حتى تستطيع تدعيم وجودها في الجزيرة والسيطرة على المستعمرات الإغريقية فيها ، ومن هنا جاء الهدوء الذي ساد هذه الفترة .

تزعمت سيراكوزا الصراع الذي أصبح مفتوحا بين الطرفين كما ذكرنا ، إلا أن الفرصة كانت سانحة للقرطاجيين بشكل مستمر نتيجة الصراع

---

(1) مهران ، محمد بيومي ، المغرب القديم ، المرجع السابق ص243 .

(2) Rollin , M , op . cit . P. 123.

الدائر في الجزيرة ، فهم يتدخلون بناء علي تلبية مناشدات توجه إليهم ، كما رأينا في معركة هيميرا480 ق.م ، ففي عام 409 ق.م حدث نزاع هذه المرة بين حلفائهم الرئيسيين من الأليميين سكان سيجستا ، وبين سكان سيلينوس من الإغريق ، ومع أن التدخل لصالح الأليميين كان من جانب أثينا العدو اللدود لسيراكوزا في بادئ الأمر ، إلا أن الحملة الاثينية قد فشلت ، مما أفسح المجال أمام إغريق سيلينوس للتوسع على حساب سيجستا ، الأمر الذي دفعها إلى التوجه لقرطاجة والاستنجاد بها حيث لبت الأخيرة النداء(1).

أرسلت قرطاجة قوة عسكرية برية وبحرية بقيادة القائد القرطاجي"حنبعل" حفيد "هاميلكار" الذي قتل في معركة هيميرا ، وانتصر القائد القرطاجي لحلفائه من الأليميين فطرد الإغريق من سيجستا ، والتحق بجيشه عدد من الفينيقيين الصقليين والأليميين ، وتابع سيره إلى سيلينوس حيث حاصرها ، واستطاع دخولها بعد فترة قصيرة من الحصار ، ثم تابع الأسطول سيره إلى هيميرا ، ففتحت عنوة حيث أعدم ثلاثة آلاف أسير كما يذكر المؤرخون الإغريق انتقاماً لروح جده(2). وقد انتهت هذه الحملة دون عقد معاهدة ، ولم تستمر أكثر من ثلاثة أشهر.

تجدد الصراع بين الطرفين ، فأرسلت قرطاجة حملة جديدة عام 406 ق.م وعهدت قيادتها هذه المرة إلى اثنين من أكفإ قوادها العسكريين ، وهما "حنبعل "الذي قاد الحملة الأولى ، وعينت نائبا له " حميلكون " ابن حنون ، بعد أن رفض حنبعل قيادة الحملة في بادئ الأمر متحججا بكبر سنه ، لكنه عاد وقبل بها بعد ذلك ، ومنح سلطات أعلى ، ويبدو أن مهام الجيش قد قسمت بين القائدين ، فأوكلت قيادة القوات البرية إلى جانب القيادة العامة

---

(1) GSELL , S, Histoire Ancienne del Afrique du nord ,Tom .111 , Histoir Militaire de Carthage ,Ottozellcreverlag Sdupruck,Paris , 1972. P. 3 .

(2) Ibid . P .4 .

للحملةإلى"حنبعل" ، وأوكلت مهمة قيادة الأسطول إلى حميلكون [1].

حاول السيراكوزيون حشد الدعم لمواجهة هذه الحملة من مختلف المدن الإغريقية في الجزيرة ، لكن الاستجابة لهم كانت ضعيفة ، نظرا للعداء المستحكم بين المدن الإغريقية من جهة ، وللسمعة العسكرية التي تتمتع بها قرطاجة نتيجة الحملة السابقة من جهة أخرى. لذا لجأت سيراكوزا للاستنجاد بالمدن الإغريقية في بحر إيجه.

ونزلت الحملة القرطاجية على الساحل الصقلي مستهدفة مدينة "أجريجنتوم" ، المدينة الغنية والحصينة والحليف الرئيسي لسيراكوزا ، ورغم مناعة أسوارها إلا أن الجيش القرطاجي رفع آلات الحصار فوق الأسوار ، واستخدم المنجنيق في تهديم التحصينات وأبراج المدينة ، وتم الاستيلاء عليها ، وتذكر المصادر أن مرض الطاعون قد تفشى بين أفراد الجيش وأصيب به القائد "حنبعل" نفسه ، مما أدى إلى هلاك قسم كبير منهم ، فاعتبره القرطاجيون نقمة إلهية عليهم ، فقدمت الضحايا كقرابين لإله البحر [2].

واستطاع حميلكون الاستيلاء على المدينة بعد أن فر منها الكثير من سكانها إلى مدينة جيلا ، بعد أن حاصرها طيلة ثمانية أشهر تقريبا ، وعلى الرغم من هذا النصر الثمين إلا أن القائد القرطاجي لم يبادر إلى مطاردة الفارين ، وبقي في المدينة المفتوحة فترة من الوقت استمرت طيلة فصل الشتاء ، حتى يجنب قواته القتال في البرد القارص ، ويمنحهم قسطاً من الراحة ، ويعد خطته الجديدة للاستيلاء على المدينة التالية [3] ، وبالفعل فقد تقدم بعد ذلك شرقا نحو مدينة جيلا المعقل التالي لفلول الإغريق المنهزمة ، ولأنها تعتبر الخط الدفاعي الأخير أمام سيراكوزا ، فقد كانت ترسل لها

(1) Rollin , M , op . cit _ P .124.

(2) Ibid . P. 125 _ 126.

(3) warmington , B . H , op . Cit . P. 95.

الإمدادات والتعزيزات بشكل متواصل ، ومع ذلك استطاع القرطاجيون فتحها والاستيلاء عليها ، وبذلك أصبحت سيراكوزا قاب قوسين أو أدنى من السيطرة القرطاجية ، خاصة وأن النفوذ القرطاجي قد تزايد في شرق الجزيرة ، حيث كانت على علاقة حسنة مع المدن الواقعة على مضيق مسينا التي كانت دائما تخشى السيطرة السيراكوزية ، والتي يعمل طغاتها على فرض سلطانهم على ذلك المكان الإستراتيجي[1].

وفي هذا الواقع المؤلم لسيراكوزا ظهرت شخصية جديدة أستولت على السلطة فيها ، وقادت الصراع ضد قرطاجة ، هذه الشخصية هي شخصية الطاغية " دينيسيوس " الذي كان سياسيا حكيما ومحنكا ، عركته ظروف الحياة ، فقد كان قائدا لمجموعة من القراصنة الذين أتوا من شرق بلاد الإغريق إثر الثورة الإيونية ، واستوطن صقلية وامتهن حرفة القرصنة ضد السفن القرطاجية والأتروسكية في المنطقة [2] ، هذا الرجل رأى أن الأمور تسير في غير صالح سيراكوزا ، فبادر إلى طلب الصلح من القرطاجيين وفق شروط ارتضوها هم ، وكان أهم هذه الشروط ما يلي :

1 – من حق القرطاجيين أن يفرضوا سيادتهم على مدن: سيلينونتم – هيميرا – أجريجنتوم – جيلا ، فضلا عن ممتلكاتهم السابقة في الجزيرة مع بقاء سكان هذه الجزيرة من الإغريق فيها دون أن يكون لهم الحق في تحصينها أو إنشاء دفاعات فيها[3] ، أي أن تبقى هذه المدن مفتوحة في وجه السفن القرطاجية.

2 – مدينة ليونتني ومدن مسينا وباقي صقلية تبقى مستقلة حرة ، لها الخيار في أن تتحالف مع قرطاجة وفق إرادتها.

---

(1) Rollin , M , op . Cit . P .126 .

(2) تسيركن ، بولي بركوفيش ، المرجع السابق ص58 .

(3) Rollin , M . op . Cit . P. 127 .

3 – تبقى سيراكوزا تحت سيادة دينيسيوس.

4 – يحق للقرطاجيين ممارسة التجارة في مختلف المدن الإغريقية ، وإقامة الوكالات التجارية فيها بما في ذلك سيراكوزا نفسها[1] ، وبتوقيع هذه المعاهدة عام 405 ق.م انتهت تلك الحملة ، وعاد حميلكون إلى قرطاجة منتصرا ظافرا ، واستقبل استقبال الأبطال ، وعلى الرغم من الانتصارات الحاسمة له في الميدان إلا أنه لم يشأ أن يهاجم سيراكوزا ويخضع الجزيرة بأكملها لسلطته ، رغم أن الظروف كانت مواتية له ، وإن كنا لا نعرف السبب في ذلك إلا أن تفشي مرض الطاعون بين جنوده في بادئ الأمر قد يكون أثر في قوته العسكرية [2] ، ومن المرجح أن يكون السبب الرئيس مردّه إلى القوانين القرطاجية القاسية التي يتعرض لها القادة المهزومون كالنفي والإبعاد ، ولذلك فإن القائد القرطاجي عندما يحصل على النصر ولو كان مؤقتا – يحتفظ به ، ولايغامر حتى لا يتعرض لخسارة ، قد لا تكون في حسبانه وتطبق عليه تلك القوانين الجائرة.

وبإيقاف هذه الحرب وإنقاذ سيراكوزا من مصير المدن السابقة لها بدأ نجم دينيسيوس في الصعود ، وبدأت شعبيته تزداد بين المواطنين الذين رأوا فيه المخلص لهم من السيطرة القرطاجية ، فاستغل هذا التأثير الشعبي أحسن استغلال ، وبدأ يعمل على توطيد نفوذه بشكل أقوى ، ويوسع قاعدته الشعبية في المدن الإغريقية الأخرى ، كما أنه ظهر بمظهر البطل القوي لدى الإغريق بشكل عام ، وبدأت الإمدادات تنهال عليه من البلاد الإغريقية الأم في بحر إيجة ، واستغل وقت السلم لبناء قوته العسكرية ، وكسب الأنصار له في صقلية ، حيث كان يرى أن تلك المعاهدة ما هي إلا محاولة لكسب الوقت

---

(1) J , Alfred , church , M . A, op . Cit . P. 67 _ 68

(2) Rollin , M , vol . 1 .op . Cit . P. 126 .

من أجل الاستعداد للحرب[1] ، وازدادت أطماعه لفرض سيطرته على كامل صقلية وتكوين إمبراطورية إغريقية فيها بعد طـرد القرطـاجيين منهـا ، وإخضاع الأليميين والسيكان لسلطته ، وبذلك فما إن اكتملت استعداداته حتى بدأ يثير المتاعب للقرطاجيين في الجزيرة ، ويثير مشاعر الحقد والعداء ضد التجار القرطاجيين في المدن الصقلية ، وما أن جاء عام 398 ق.م حتى أعلن الحرب صراحة على الوجود الفينيقي فيها بعد أن جمع المرتزقة مـن بـلاد الإغريق ، وخاصة من إسبرطة ، وأثار الناس ضد التجـار الفينيقيـين[2] ، فاستولى الإغريق على ممتلكات أولئك التجار ، وتم إعلانهم كأعـداء لكـل الإغريق وطردهم من سيراكوزا ، ومن ثَم باقي المدن الإغريقية ، وأرسـل إلى قرطاجة يطلب منها إلغاء المعاهدة الموقعة بينهما ، والرحيل عن صقلية ، ومنح المدن الإغريقية التي نصت عليها تلك المعاهدة حرياتهـا ، وإذا لـم تقبل هذه الشروط فإنه يعلن الحرب عليها[3].

ولم ينتظر دينيسيوس – كثيرا – الرد القرطاجي فسار بقواته غربـا ، وحاصر مدينة موتيا التي تمثل القاعدة القرطاجية الرئيـسة علـى الـساحل الصقلي ، واستطاع تدميرها بالكامل بعد مقاومة عنيفة ، وعاث فيها جنـوده سلبا ونهبا ، ثم غادرها بعد أن ترك فيها حامية قوية ، ونصب عليها حاكما يثق به من قادته العسكريين [4] وبدأ القرطاجيون في إعداد حملة عـسكرية كبيرة للرد على هذه الأعمال العدوانية ، وعهدوا بقيادتها إلى" حميلكون "أحد قضاتها ، وعين لأسطوله البحري قائدا يدعى " ماجو" أبحر باتجاه صـقلية ، حيث نزل في "باليرمو" ، واستطاع السيطرة على عدة مدن ، كما أنه استطاع استعادة موتيا المدمرة ، وطرد منها الإغريق. لقد كانت حملة عظيمة اتجـه

(1) Diodorus of Sicily , Book xiv . 42 _ 1 _ 43 _ 1 .
(2) Ibid. 43 _ 5 _ 44 _ 3 .
(3) Idem .
(4) Bury , J . B , op . Cit . P. 627 .

بها نحو سيراكوزا نفسها لمحاصرتها [1] .

وبعد أن استطاع حميلكون تحرير غرب صقلية من جنود دينيسيوس قرر التوجه إلى سيراكوزا ومعاقبتها على فعلتها ، ولتحقيق هذا الغرض وضع القائد القرطاجي خطة عسكرية محكمة لا تخلو من الذكاء ، فبدلا من الاتجاه نحو سيراكوزا مباشرة ، تركها وشأنها وتوجه إلى شرق الجزيرة ، حيث مضيق مسينا ، واستطاع أن يستولي على ما وقع في طريقه من مدن وأراض ، وبالفعل فقد أخضع مدن المضيق سواء بالتحالف أو بالقوة العسكرية[2] ، وكان يهدف من وراء ذلك محاصرة سيراكوزا ، وحرمانها من الإمدادات التي قد تصلها من المدن الإغريقية في الجنوب الإيطالي ، وكذلك تفتيش واحتجاز السفن التي تمر عبر المضيق إذا كان من بينها من هو آت لمساعدة دينيسيوس [3] ، ثم توجه بعد ذلك نحو الغرب ، وأرسل أسطوله البحري بقيادة ماجو إلى حافة "تارّوس" التي كانت تقع تحت سيطرة "السيكلس" ، كما أنه تقدم على رأس قواته البرية ليتم لقاء القوتين البرية والبحرية في النقطة المتفق عليها ، وهي مدينة "كاتانا" ، لكن دينيسيوس أسرع إلى كاتانا للاشتباك مع قوات ماجو البحرية قبل أن تصل القوات البرية بقيادة حميلكون ؛ لأنه تصعب عليه مواجهة القوات القرطاجية مجتمعة ، وبالفعل تمّ له ما أراد ، واستطاع هزيمة ماجو وتدمير أسطوله حسبما يحدثنا به ديودورس[4] ، ومع ذلك فقد تقدم حميلكون وعسكر بقواته البرية قبالة المدينة ، وقد كان عددها هائلا ، مما قذف الرعب في قلوب سكان المدينة ، ودفع دينيسيوس إلى طلب قوات إضافية من المرتزقة من "كورنثا" تقدر بستين سفينة وأكثر من ألف جندي إضافي ، ولكن القرطاجيين استطاعوا

---

(1) Ibid . P. 628 .

(2) Diodorus of Sicily , Book xiv . 59 .1 _ 5

(3) Ibid .55 . 4 _ 56 . 2 .

(4) Ibid . 59 _ 1 _ 5 .

الاستيلاء على كامل صقلية تقريبا ، ولم يبق سوى سيراكوزا المحاصـرة ، وانتشرت قواتهم في الأقاليم المجاورة للمدينة[1] وبذلك أصبحت - بريـا - معزولة تماما ، ولم يبق سوى البحر الذي ظل مفتوحا بعد هزيمة الأسـطول القرطاجي كما يدعى "ديودورس" ، وبذلك فقد أصبح سقوطها قاب قوسين أو أدنى ، واعتبره القرطاجيون تحصيلا حاصلا.

ولكن كما يذكر المؤرخون فقد حدث ما لم يكن في الحسبان ، حيـث انتشر وباء الطاعون بين أفراد الجيش القرطاجي ، خاصة الأفارقة مـنهم ، وأتى على قسم كبير منهم ، مما أدى إلى فشل الحـصار ، وانتعـاش روح المقاومة لدى السيراكوزيين[2].

والحقيقة أننا لا ندري أكان هذا من خيال المؤلفين ، أم أن للطـاعون موعدا مع القوات القرطاجية عندما تقترب من سيراكوزا ، حيث لم تكن هذه المرة الأولى التي يحل فيها الطاعون بالقوات القرطاجية عند حصارها لمدينة إغريقية؟! أم أن المرض لا يصيب غيرهم ، حيث لم نسمع بأنه ظهر بـين السكان الإغريق في المنطقة؟!.

واستغل دينيسيوس هذه الكارثة وهاجم القوات القرطاجية التي لم تكن في وسعها مقاومة العدوين في آن واحد ، وانتشرت جثث الموتى في السهل حتى أصبح من الصعب دفنهم ، وهنا استطاع الطاغية السيراكوزي الاستيلاء على عدد من السفن القرطاجية وإحراق الجزء الباقي ، ولذلك فإن الهزيمة قد لحقت بالجيش القرطاجي ، وأصبح "حميلكون" في وضع سيئ جداً ، اضـطره إلى الانسحاب ، وفك الحصار عن سيراكوزا ، وتحول هذا النصر إلى كارثة ، وكأنها حدثت بمعجزة إلهية ، وعندما توقف القتال بين الطرفين فـي آخـر النهار أرسل القائد القرطاجي إلى دينيسيوس يطلب منه التوقف عن الحرب ،

---

(1) Rollin , M , op . Cit . P. 129 ..

(2) Ibid . P. 130 .

وترك بقايا القوات القرطاجية ترحل بسلام دون ملاحقتها مقابـل ثلاثمائـة تالنت من الفضة ، وتعويضات حربية أخرى تـدفع لدينيـسييوس ، وفـك الحصار عن سيراكوزا ، ورحيل قوات الحملة ، وعودتها من حيث أتـت ، وتم ذلك بالفعل ، وعاد حميلكون إلى قرطاجـة يملـؤه الأسـى كقرطاجـة الحزينة[1] ، وكان ذلك عام 396 ق.م ، وبذلك فشلت تلك الحملة العظيمـة ، ولكن النفوذ القرطاجي ظل كما هو عليه في الجزيرة ، فأسس القرطـاجيون مدينة ليليباليوم بدلا من موتيا ، مما يثير الشك حول تلك الانتصارات التـي يوردها الكُتّاب الإغريق.

وبعد هذه الحملة لم تتوقف الحرب بين الطرفين ، فالقرطاجيون لم يكن في إمكانهم التنازل عن مكتسباتهم في صقلية ، والتخلي عن حلفـائهم مـن الألميين والسيكان ، حيث إن ذلك يعني فقدهم السيطرة علـى أهـم بوابـة للحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، وقد يعني ذلك انتقال الصراع إلى جزيرة سردينيا أهم موقع لهم في المنطقة ، والتي كانت تعني لهـم الكثيـر: موقعا استراتيجيا و نقطة اتصال مع حلفائهم الأتروسك وحلقة الوصل مـع جزر البليار والجنوب الأسباني وسوقا رائجا للبضائع ومـصدرا للحبـوب والمواد الغذائية. هذا فضلا عن أن الصراع بين المدن الإغريقية كان عاملا مشجعا للحضور القرطاجي المستمر في الجزيرة ، كذلك فإن القوة القرطاجية لم يصبها الوهن الذي يجبرها على تـرك الجزيـرة ، علـى الـرغم مـن الانتصارات المستمرة للإغريق التي يتحدث عنها الكُتّـاب القـدامى ، ممـا يعرض نتائج تلك المعارك للشك والإغريق لهم أهدافهم في الـسيطرة علـى الجزيرة وطرد الفينيقيين منها.

وتجدد الصراع بين الإغريق والقرطـاجيين عـام 392 – 393 ق.م ، ولكن دون نتائج حاسمة ، ثم أرسلت قرطاجة حملة أخرى عام 381 – 382

---

(1) Pollin ,M . op . Cit . P. 132 .

ق.م هزم [1] فيها السيراكوزيون ، واستمرت الحرب بين مد وجزر حتى عام 374 ق.م عندما أرسلت قرطاجة حملة عسكرية قوية إلى غرب الجزيرة خاضت معركة ضد قوات دينيسيوس قتل فيها أحد قادته المشهورين ، ويدعى " لبليتوس " ، مع ما يزيد على أربعين ألفا من رجاله ، ترتب عليها عقد معاهدة سلام بين الطرفين ، دفع بموجبها دينيسيوس تعويضات حربية لقرطاجة بلغت ألف ثالنت حسب المصادر ، وتم الاتفاق على أن يكون نهر " هاليكوس " حدا فاصلا بين الطرفين ، حيث شمل النفوذ القرطاجي جزءا من سالينونت ، وجزءا من أجريجنتوم[2] ، واستمر الحال على هذا حتى وفاة أعتى طغاة سيراكوزا " دينيسيوس " عام367 ق.م ، حيث خلفه في الحكم ابنه دينيسيوس الصغير الذي كان على خلاف والده ، فلم يكن محبا للحرب ، وحاول كسب ود القرطاجيين[3] ، فسادت في بداية عهده فترة سلام حاولت فيها قرطاجة تدعيم مركزها في الجزيرة ، مستغلة الظروف الملائمة لتنفيذ مصالحها ، فعقدت التحالفات السياسية ، ووطدت مصالحها الاقتصادية ، وفتحت المدن الإغريقية أبوابها أمام التجار القرطاجيين بما فيها سيراكوزا نفسها[4] ، ولكن دينيسيوس الابن لم يهنأ بالحكم فترة طويلة ، حيث قامت الثورة ضده لوجود كثير من المغامرين الطامعين في العرش ، والذين كانت تعج بهم الجزيرة ، معتمدين على مجموعات من المرتزقة – ألم يكن دينيسيوس الأب من أشهر قراصنة البحر الذين جاءوا إلى الجزيرة عقب الثورة الأيونية وامتهن القرصنة على شواطئ صقلية ضد كل سفينة غير إغريقية؟![5] – ففي عام 347 ق.م حدثت الثورة في سيراكوزا وطرد

---

(1) J , Alfred ,Church , M . A ,op .cit . P.54 .

(2) Gsell , S, op .Cit , P. 10 .

(3) The Cambridge Ancient History . v1 , Macedon . 401 _ 301 b.c , Cambridge University Press , Third Impression ,1953 ,P 272 _ 75.

(4) Ibid. P. 274 .

(5) ه ، ستقنسن تجارة العالم القديم ، المرجع السابق ص164.

دينيسيوس الصغير ، إلا أنه استطاع العودة في العام التالي ، وأعدم الكثير من خصومه ، وأخاف الباقين مما اضطرهم إلى طلب النجدة من "هيكثياس" حاكم ليوننتي وكان على علاقة حسنة مع القرطاجيين ، وكان يأمل في اعتلاء حكم سيراكوزا بمساعدتهم ، كما أنه طلب النجدة من كورنثا البلد الأم التي لم تتأخر في إرسال المعونة إليه [1] ، ولكن ليس كما كان يرغب هو ، فقد أرسلت على رأس تلك النجدة طاغية جديد يدعى "ثيمولين "لحكم سيراكوزا وإعادة النظام إليها ، وبما أن "هيبستاس" هو الآخر كان يطمح إلى الوصول إلى عرش سيراكوزا فقد طلب المساعدة من قرطاجة التي كانت ترى في ذلك تنفيذا لمصالحها ، فأرسلت نجدة عسكرية لمساعدته كان على رأسها أحد القادة ويدعى "ماجون" [2].

حاول ماجون القضاء على ثيمولين قبل وصوله إلى المدينة فاعترض طريقه في البحر ، إلا أنه فشل في ذلك ، فزحف براً من الشرق إلى جانب قوات هيكثياس باتجاه المدينة ، إلا أن تلك المساعدة سرعان ما توقفت بعد ما أحس القائد القرطاجي بعدم جدوى مقاومة ثيمولين ، ويعتقد بأنه أحس الغدر من الإغريق الذين يقاتلون إلى جانبه ، بل ومن هيكيتياس نفسه ، فقرر الانسحاب بجيشه من المعركة وترك ساحة القتال ، وهناك من يقول: بأنه قتل في إحدى المعارك نتيجة تلك الخيانة[3] ، فتمكن ثيمولين من دخول سيراكوزا ، وإعادة الأمن والنظام فيها ، ونصب من نفسه طاغية جديدا فيها عام 344 ق.م ، وبذلك عادت سيراكوزا إلى عدائها السابق لقرطاجة أيام دينيسيوس الأكبر.

وما إن اعتلى ثيمولين عرش سيراكوزا حتى بدأ يثير المتاعب في وجه النفوذ القرطاجي بإثارة المدن الإغريقية الصقلية وتأليبها على القرطاجيين ، كما

---

(1) Bury , J .B , op . Cit . P 673 .

(2) The Cambridge ancient history , op . cit . P. 286

(3) Ibid . P. 287 .

أنه ليس من المستبعد أنه أخذ في الإغارة على مناطق القرطـاجيين ، مـادفعهم لإعداد حملة كبيرة لتأديب ثيمولين الذي اعتلى العرش ضد مشيئتهم ، ونقلت هذه الحملة إلى "ليليبا" على الساحل الصقلي عام338 ق.م ، ثم بدأت الزحف شـرقا باتجاه سيراكوزا ، ولكن ثيمولين لم ينتظر أن تأتيه الحملة هناك ، فخرج عـل رأس قوة كان قد أعدّها لملاقاة القوات القرطاجية ، والتقى الفريقان عنـد نهـر "كريمسوس" ، ودارت معركة بين الطرفين عرفت بمعركة "كريمسوس" ، وكان النصر فيها حليفا للإغريق كما يذكر الكُتّاب القدامى الذين عزوا ذلك النصر إلى تدخل القدر ، ووقوف الآلهة إلى جانب قوات ثيمولين ، حيث نزل غمامـا مـن السماء يصحبه رعد وبرق على الجانب القرطاجي ، وانزلقـت الأرض تحـت أقدام القرطاجيين رغم أن الفصل كان صيفا كما يذكر أولئك الكتـاب(1) ، كمـا هاجم الإغريق القرطاجيين أثناء عبورهم النهر ، وأربـك الإغريـق خطـوط أعدائهم ، وخلخلوها بدفع العجلات الحربية وسطها ، وأصبح سـلاحهم أكثـر إعاقة لهم ، فغرق عدد كبير منهم في النهر ، وفرّ من بقي منهم هـائمين علـى وجوههم ، وأبيدت تلك الحملة بشكل شبه كامل(2). ولكننا إذا ما نظرنا إلى بنـود تلك المعاهدة نجد أنها لا تتفق ونتيجة المعركة كما صورت ، مما يدفعنا إلى ان نأخذ تلك الكتابات بشيء من الحذر ، فقد اتفق الطرفان على ما يلي:

1- ن تبقى الحدود بين الطرفين وفق اتفاقية 374 ق.م مـع دينيـسيوس الأكبر ، أي إن نهر هاليكوس هو الخط الفاصل بين الطرفين.

2- يتم طرد الإغريق من منطقة نفوذ قرطاجة إلى سيراكوزا.

3- تتعهد قرطاجة بعدم مساعدة أعداء سيراكوزا(3).

فهذه الشروط وغيرها ، لا أظن أنها كانت شروط المنتصر ، وبـذلك

---

(1) J , Alfred, op . Cit . P. 73.

(2) Bury , J. and another . op . Cit . P. 677 .

(3) Gsell , S, Tom . 111, op .Cit . P. 16 .

فإن نتيجة المعركة تعتبر مشكوكا فيها كغيرها من المعارك الأخرى.

بعد معركة كريمسوس بدأت قرطاجة تنتهج نهجا جديدا في سياستها تجاه إغريق صقلية ، حيث بدأت تعمد إلى الطرق السلمية ، ومحاولة تثبيت سلطانها عن طريق تنصيب زعماء إغريق على مختلف المدن الإغريقية بما في ذلك سيراكوزا ، يكونون موالين لها ، وغير معارضين لمصالحها الاقتصادية ، خاصة وأن الصراعات كانت مستمرة بين الزعماء الإغريق للوصول إلى سدة حكم زعيمة مدنهم سيراكوزا.

المرحلة الثالثة:

أجاثوكليس(*) وقرطاجة :

على أثر وفاة ثيمولين بدأت القلاقل تظهر من جديد في سيراكوزا ، حيث ظهر اثنان من المغامرين من أجل الإستحواذ على سيراكوزا ، وهما : هيراكيدس وسوسيستراتوس[1] ، حيث عمل الأول على جلب أنصار جدد له إلى المدينة ، لكن الأخير وقف في وجهه ، وأصبحت سيراكوزا على شفا حرب أهلية ، وفي هذه الأثناء استغل القرطاجيون الفرصة على يد أحد قادتهم المدعو حاميلكار ، وسارعت إلى دعم مغامر ثالث ، واتخذت منه صنيعة لها ويدعى" أجاثوكليس" ، وساعدته في الوصول إلى سدة الحكم في سيراكوزا ، وبذلك ضمنت على الأقل عدم عداء سيراكوزا ، إن لم تكن ضمنت موالاتها[2] ، ولكن وصول أجاتوكليس هذا بدعم من القائد القرطاجي

(*) ولد أجاثوكليس في مدينة"ثيرمو"في شمال صقلية تحت النفوذ القرطاجي ، ثم لم يلبث أن انتقل مع والده إلى سيراكوزا ، ولكنه أتهم بتزعم الحزب الديمقراطي ، والسعي إلى قلب نظام الحكم فيها ، فتم طرده من سيراكوزا ، حيث امتهن الجندية وكون أتباعاً خاصين به.

(1) Cary ,M . M.A .D Litt , A History of The Greek World from 323 b.c To 146 b.c _ Methuen & CO . LTD . London 1959 ,P. 167 .

(2) Gsell , S , Tomm . 111 , op . cit . P.17 .

"حاميلكار" يمكن أن يكون موضع نقاش ، خاصة إذا عرفنا أن العلاقة بين ذلك القائد والحكومة في قرطاجة لم تكن جيدة ، ولكن هذا ليس هنا محل نقاشه.

ما إن بدأ التنافس بين "هيراكيدس وسوسيستراتوس" حتى استغل القائد القرطاجي "حاميلكار" الظرف ، ودفع بإجاثوكليس للاستيلاء على المدينة ، وبفعل المساعدة البونية استطاع الوصول إلى السلطة ، والتفوق على خصومه ، وأطلق يده فيها حتى دانت له سيراكوزا ، وأصبح سيدها بمساعدة القائد القرطاجي المذكور الذي أمده بالقوة اللازمة لفرض سيطرته عليها ، وغض الطرف عنه في حربه ضد كل من يعترض طريقه بما فيها المدن الإغريقية نفسها[1] ، ومن المرجح أنه عقد اتفاقية مع حاميلكار تعهد فيها ببعض الالتزامات تجاه ولي نعمته ، لكن لم تصلنا بنود تلك الاتفاقية ، كما أنه أبرم معاهدات سلام مع بعض المدن الإغريقية ، وبذلك أصبحت له عدة امتيازات في ظل حماية القائد القرطاجي ، استغلها بعد ذلك ضد قرطاجة نفسها ، واستطاع جمع عدد من المرتزقة حوله ، وكوّن جيشاً خاصاً به ، وكان ذلك كله تحت نظر حاميلكار وبموافقته ، مما أثار شكوكاً حول العلاقة بينهما ، على أنها لا تخدم مصالح قرطاجة في بعض الأحيان ، حيث أن مجلس الشيوخ قد وجه إليه بعض التهم التي تدينه[2] ، وبذلك فهو وإن كان قائداً لقرطاجة في صقلية إلا أنه لم يكن على وفاق تام مع غالبية أعضاء مجلس الشيوخ ، ويؤكد ذلك أن أجاتوكليس لم يلبث أن انقلب على قرطاجة عقب وفاة حاميلكار عام 313 ق.م ، وبدأ في الإغارة على مناطق نفوذها ، وأصبح في حرب مفتوحة ضدها ، بداية من عام 311ق.م[3].

وبعد وفاة القائد القرطاجي حاميلكار بدأ أجاتوكليس في انتهاج سياسة

---

(1) J , Alfred , church , M. A , op . Cit . P. 76.

(2) Ibid . p. 78

(3) The Cambridge Ancient History , vol . v11 , op . cit . P. 623 .

جديدة في جزيرة صقلية ، حيث أخضع بعض المدن الإغريقيـة المـستقلة ، وأصبح له جيشاً من المرتزقة ، بل ووصل به الأمر إلى محاولة الـسيطرة على بعض مناطق النفوذ القرطاجي في الجزيرة[1] ، وأخذ يعد العـدة لـشن حرب ضروس ضد قرطاجة نفسها ، حيث حاول الاتصال بإغريق قـوريني للاستعانة بهم ضد قرطاجة ، كما أنه لا يستبعد أن يكون قد اتصل باللوبيين أنفسهم الذين لم يكونوا على وفاق مع قرطاجة في بعـض الأحيـان ، وقـد اتضح ذلك من خلال حملته على أفريقيا حيث ظهرت بوادر ذلك التحالف في مساعدة السكان له ، ولا يعرف بالضبط متى كانت بداية تلك الاتـصالات ، ولكن لا يستبعد أن تكون قد بدأت في عهد حاميلكار ، إذ لم يكن أجاتوكليس معروفاً لدى زعماء القبائل الليبية. وبعد أن حاول أجاتوكليس غـزو بعـض المدن الخاضعة للقرطاجيين في صقلية ، أحست قرطاجة بالخطر ، فأرسلت حملة عسكرية لحماية "أجريجنتيوم وجيلا " ، وأسندت قيادة هذه الحملة إلـى قائد عسكري يدعي "حاميلكار ابن جيسكون" عام 312 ق.م[2] ، وسرعان ما زحفت شرقاً مستولية على الهضبة الواقعة بين أجريجنتيوم وجـيلا ، كمـا أرسلت فرقاً عسكرية أخرى لمحاصرة سيراكوزا نفـسها ، لجعـل قـوات أجاتوكليس بين شقي الرحى. وأدرك أجاتوكليس الذي كان قد صمم في بادئ الأمر على ملاقاة القوات القرطاجية أنه لا قبل له بها ، وأنه خاسر حربه لا محالة ، فعاد إلى سيراكوزا ، وعمل على تنظيم المقاومة فيها ، خاصة وأنها تتمتع بتحصينات لا بأس بها منذ أيام دينسيوس الأول[3] ، ولكن مع ذلك لـم تكن لديه القوة الكافية لمقاومة القرطاجيين ، ورأى أنه لا يمكنـه الـصمود طويلا أمام هذه القوات الزاحفة ، ففكر في خطة بديلة لإنقـاذ سـيراكوزا ،

(1) CARY, M . A . M ,D .litt , op .Cit .p. 168
(2) IBid . p. 169 .
(3) Idem .

وكانت تلك الخطة هي غزو قرطاجة نفسها(1).

وهنا تظهر علامات الاتصال المسبق ببعض الليبيين المعادين لقرطاجة ، وكان أشهرهم: القائد الليبي " اليماس " (2) ، إذ لا يمكن أن يجازف أجاتوكليس بحفنة من الجنود لا تزيد على أربعة عشر ألفاً كما تذكر المصادر ، ويتحول إلى غزو قرطاجة هارباً من بعض الجنود الذين أرسلتهم لتأديبه ، و لا يمكن أن يكون ذلك إلا بضمان موطئ قدم لهم في أفريقيا ، وتوفير الحماية لهم من قبل قوات أخرى تنتظرهم.

في عام 310 ق.م تحول أجاتوكليس إلى الشواطئ الأفريقية على رأس أسطول صغير بعد أن خدع الأسطول القرطاجي في بادئ الأمر ، ولكن سرعان ما تتبع القرطاجيون أسطوله ، وطاردوه حتى نزل إلى البر في أفريقيا ، وهنا تذكر المصادر أن القرطاجيين أحجموا عن مواجهة قوات أجاتوكليس ، دون أن تورد سببا لذلك ، أو أنهم لم يدركوها(3). كما أن القائد الإغريقي أحرق مراكبه حتى يقطع أمل الفرار على جنوده ، ولكن ذلك لا يكون إلا في وجود حماية لجيشه ، كما أنه لم يواجه مقاومة تذكر على اليابسة ، حتى استطاع احتلال الكثير من المدن التي وصلت إلى 200 مدينة تقريبا(4) ، ثم يستطرد الكُتّاب فيقولون : إنه في بادئ الأمر لقي ترحيبا من السكان المحليين الذين رأوا فيه مخلّصا لهم من سيطرة القرطاجيين ، حتى استطاع محاصرة قرطاجة نفسها ، وتحول من الشرق إلى الغرب وأخضع عتيقة ، ألا يعني ذلك أن هناك تحالفا لوبيا إغريقيا ضد قرطاجة؟ ، إذ استطاع أجاتوكليس بحفنة قليلة من الجنود السيطرة على الأراضي الخلفية

---

(1) الميلي ، مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، تقديم وتصحيح : محمد الميلي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1976م ص148.

(2) Gsell , S , op . Cit . P. 24 .

(3) الميلي ، مبارك بن محمد ، المرجع السابق ص149 .

(4) Gsell , S ,Tom .111, op .Cit . P 37

لقرطاجة ، ولم يبق أمامها سوى البحر للإمداد الغذائي من سردينيا ، وكــان لابد لهذه الحرب من مصادر تمويل من غذاء وأسلحة وأموال وعتاد وجنود ، وكان كل ذلك على ما يبدو قد جاء على حساب الحلفاء اللوبيين الذين أُرهق كاهلهم من دفع الضرائب التي فرضت عليهم, وتسخير كافة مواردهم لخدمة أجاتوكليس في حربه ضد قرطاجة ، مما دفعهم إلى الارتداد إلى المعــسكر القرطاجي ، وبذلك أصبح هذا القائد في موقف صعب لا يحسد عليه ، حيث انقلب عليه القائد اللوبي" اليماس" ، وخاض ضده حربا ، قيل إن الأخير قتل فيها[1] ، ولم ينقذه – مؤقتا – سوى النجدة التي وصلت إليه قادمة من الشرق بقيادة حاكم قوريني الضابط البطملي "أوفيلاس" الذي جاء يحدوه الأمل فــي الاستقرار في قرطاجة ، بناء على الاتفاق بينه وبين أجاتوكليس ، الذي وعده بتسليم أفريقيا له لإلحاقها بقوريني ، وهذا مــا يؤكــده اصــطحابه النــساء والأطفال إلى جانب جنود الحملة ، ولكن ما إن استقر المقام بأوفيلاس حتــى دبر أجاتوكليس مقتله ، واستولى على قواته ، وضمها إلى جانبه ، وأصبحت عونا له ، خاصة بعد تخلي اللوبيين عنه كما يبدو[2]. فبعد اســتيلائه علــى قوات أوفيلاس بدأ يعد العدة لهجوم منظم على قرطاجة نفسها ، واستطاع في عام 308 ق.م أن يضيق الخناق عليها ، مما دفعها إلى استعادة جــزء مــن قواتها من صقلية ، وقررت الخروج لملاقاته ، ولكنه قرر العودة فجأة إلــى صقلية ، وأوكل القيادة لابنه "أركجاتوس" ، وأمر قائده"أوماكس" بالتوغل في داخل البلاد للاستيلاء على بعض المدن وضمان ولاء الأفارقة له [3].

لم تعرف الأسباب التي دفعت أجاتوكليس إلى العودة إلى صقلية علــى وجه التحديد ، فهناك من يقول : إنه ذهب لتفقد قواته المقاومة للقرطــاجيين هناك ، وبث روح التضحية لديهم ، ورفع معنوياتهم. وهناك من يقول: إنـــه

(1) Ibid. P. 35 .

(2) جوليان ، شارل اندرية ، المرجع السابق ، ص93 . صفر ، أحمد ، المرجع السابق ص190 .

(3) صفر أحمد ، المرجع السابق ص191 .

خشي فقدان مركزه هناك لمصلحة قادة آخرين قادوا عملية الدفاع عن المدينة ، أمثال: " دينوكراتس " ، حيث خشي عند عودته أن يفقد منصبه كطاغية للمدينة ، وبالتالي عاد للاطمئنان على الأوضاع هناك – ويبدو أن ذلك هو الأرجح – حيث ظهر عدد من المغامرين على رأس مجموعات محاربة ضد القرطاجيين (1) ، وفي حالة نصرهم لا يمكن لهم أن يسمحوا له بالعودة إلى سدة الحكم.

وعندما عاد إلى قواته في أفريقيا وجد أنها هزمت على يد القرطاجيين وقتل منهم أعداداً كثيرة ، مما أثر على معنوياته ، ، وأدرك أنه لا يمكن إصلاح ما فسد ، فقد تخلى عنه حلفاؤه اللوبيون وهزم جيشه ، هذا فضلا عن ظهور تكتلات إغريقية جديدة في صقلية.

كل هذه الأمور جعلت من أجاتوكليس غير واثق من النصر في أفريقيا ، بل وليس من المستبعد أن تضيع منه صقلية نفسها ، لذلك قرر العودة بمفرده سرا مرة ثانية إلى صقلية ، تاركا ابنه وبعض قادة جيشه لعقد اتفاق ينهي الحرب مع قرطاجة(2) ، وبالفعل عرض السلام على قرطاجة في 306 ق.م ، وتمّ الاتفاق على أن تعود الحدود إلى سابق عهدها ، وأن ترحل قوات أجاتوكليس عن أفريقيا مقابل تعويضات حربية(3) ، ولكن ذلك مشكوك فيه أيضا ، إذ أن القرطاجيين كانوا في حالة نصر ، فلا يمكن أن يقبلوا بدفع غرامة حربية.

أما في صقلية فإن قيادة المقاومة كانت تحت قائد يدعى" كسيزيكوس" من أكراجاس ، وبعد هزيمته تولى "دينوكراتس" من ايميجيري قيادة المدافعين ، وقد خشي أجاتوكليس أن يحل محله في قيادة إغريق صقلية ، وعند عودته إلى

---

(1) The Cambridge ancient history ,vol _ v11 , op . Cit . P. 305

(2) Gsell, S , Tom 111, op .Cit . P 49.

(3) warmington , B. H, op . Cit . P .127 .

سيراكوزا ترك دينوكراتس يفاوض القرطاجيين[1] ، وعمل هو على بناء جيشه من جديد مركّزا على القوة البحرية التي رأى أنه لا بد من إنشاء أسطول قوي لهزيمة القرطاجيين ، وقد خادع دينوكراتس باستمالة جنوده إلى جانبه ، وبذلك كوّن نواة لجيش جديد وبدأ يعمل على إيجاد تحالفات جديدة ، وإخضاع المدن الإغريقية ، واستطاع توطيد سلطته ، ثم أعلن نفسه ملكا عام 304 ق.م ، وساد السلام طيلة بقية حياته حتى توفي عام 289 ق.م قبل أن يعلن الحرب من جديد على قرطاجة وبموته انتهت المرحلة الثالثة والأخير من الصراع القرطاجي الإغريقي وبدأت المنطقة تتجه نحو صراع جديد هو الصراع القرطاجي الروماني الذي بدأت إرهاصاته مع ظهور الملك اليوناني "بيرهوس" في صقلية.

(1) CARY, M , A . M , D .litt , op .Cit .p .171 .

نهاية الصراع ونتائجه :

انتهى الصراع القرطاجي الإغريقي بشكل فعلي برحيل أجاتوكليس عن الساحة السياسية في صقلية ، حيث دخلت صقلية من جديد في نزاعات بين مدنها الإغريقية ، وأصبح الفراغ السياسي يملأ سيراكوزا ، وحيث إنها كانت دائماً محط أطماع الطغاة المغامرين ، فقد تنازعها اثنان منهم ، وتولى حكمها في بادئ الأمر شخص يدعى "هيكيتاس" لكنه دخل في صراع مع "فينتاس" حاكم أجريجنتيم وهزمه ، ولكن الشعب السيراكوزي رفض هذا الطاغية ، ونادى بشخصية أخرى هو "سوسيستراتوس" الذي خلف فينتاس في حكم أجريجنتيم ، ويبدو أنه كان غير معاد لقرطاجة التي حاربت هيكيتاس وهزمته ، ولكن سوسيستراتوس وُوجه بمنافس جديد في سيراكوزا ، وهو "ثينون" الذي تحصن في قلعة سيراكوزا [1].

وفي هذه الأثناء أرادت قرطاجة أن تستغل الفرصة وأن تقضي على الاثنين معاً ، فحاصرت ثينون بالأسطول البحري ، وحاصرت سوسيستراوس بالجيش البري[2] ، إلا أن هذا الأخيرحاول الاتصال بالملك اليوناني الجديد حاكم "ابيروس" في الجنوب الإيطالي ، وكان أحد قادة الإسكندر المقدوني العسكريين ، ويدعي" بيرهوس" ، حيث كان يحتفظ بقوة عسكرية لا بأس بها ، وبالفعل فقد لبى بيرهوس النداء ، وعبر إلى صقلية بحوالي عشرة آلاف مقاتل ، تضاعف عددهم بعد انضمام قوات سوسيستراتوس إليهم ، وبعض الفرق الأخرى ، فهاجم الجيش القرطاجي ، واستطاع أن يفك الحصار عن سيراكوزا ، وقرر أن ينقل الحرب إلى أفريقيا كما فعل سلفه أجاتوكليس[3] ، لكنه هُزم أمام القرطاجيين ، وفقد نصف

(1) CARY , M , A . M , D .litt . op .Cit . p. 173

(2) IBid . p. 174 .

(3) جوليان ، رشال أندريه ، المرجع السابق ص94 .

أسطوله ، وثار عليه حلفاؤه ، وتخلوا عنه ، مما دفعه إلى تـرك صـقلية ، والعودة إلى جنوب إيطاليا ، وبذلك استطاع القرطاجيون أن يستعيدوا نفوذهم في صقلية.

استنجد السيراكوزيون من جديد ببيرهوس ، وعندما حـاول العـودة نشبت الحرب بين الممارتين "الجنـود المرتزقـة الإيطـاليين فـي جـيش أجاتوكليس" ، وبين السيراكوزيين ، وظهر قائد جديد من بين أبناء سيراكوزا في سنة 275 ق.م ، هو هيرون[1] ، واستطاع أن يقود الـسيراكوزيين إلـى النصر ضد المامارتين ، ولكن لم يلبث أن نشب الصراع بينه وبين قرطاجـة ، وبدأت روما تدخل ساحة الصراع ، بتدخلها إلى جانب المرتزقة المـامرتين في مضيق مسينا ، مما أنذر ببداية صراع جديد ، هذه المـرة بـين رومـا وقرطاجة ، فيما عرف بالحروب البونية ، أسفر عن تدمير قرطاجة نهائيـا عام 146 ق.م .

وعلى الرغم من أن الصراع اليوناني القرطاجي انتهى بهذه الصورة ، واستطاعت قرطاجة أن تعود إلى صقلية بقوة ، خاصة بعد طرد بيرهوس ، إلا أننا يمكن أن نعتبره نصرا غير حاسم ، وأن نتيجة ذلك الصراع انتهـت بلا غالب ولا مغلوب ، ولكنه صراع خلّف مجموعـة مـن النتـائج علـى المستوى السياسي والعسكري ، انعكس بشكل جلي على منطقـة الحـوض الغربي للبحر المتوسط ، نجملها فيما يلي :

1 – امتد الصراع القرطاجي الإغريقي طيلة قرنين ونصف من الزمـان تقريبا ، أي من منتصف القرن السادس ق.م تقريبا حتى بداية القـرن الثالث ق.م ، كانت الحرب مفتوحة من الجانبين طيلة هذه الفترة ، وإن تخللتها بعض فترات السلام ، إلا أنها في واقع الأمـر لـم تكـن إلا استعداداً لجولات أخرى من الحرب.

(1) J , Alfred , Church . M . A , op . cit . P. 78 .

2 – أدى هذا الصراع إلى بروز سيراكوزا كرأس حربة في الصراع ، مما أعطى لها الحجة في فرض سيطرتها على باقي المدن الإغريقية في الجزيرة ، كما أنه منحها غنىً وافرا بفضل المساعدات التي كانت ترد إليها ، والمرتزقة الذين يتوافدون عليها من كل مكان ، حتى كادت تفوق المدن الإغريقية الكبيرة ، أمثال: أثينا وإسبرطة.

3 – دخول دول الإغريق الكبرى كإسبرطة وكورنثا كطرف في الصراع ، حيث كانت الإمدادات المالية والعسكرية ترد باستمرار على سيراكوزا كلما دعت الحاجة إلى ذلك ، فعلى سبيل المثال كان دينيسيوس الأول في عام 396 ق.م قد طلب من إسبرطة حوالي ألف من المرتزقة وستين سفينة ، وقد حصل عليها بالفعل(1)" ، وبعد ذلك أرسلت كورنثا "ثيمولين " عندما حدث النزاع على عرش سيراكوزا ، وحاولت قرطاجة تنصيب أحد أعوانها حاكما عليها ، كما أن مغامرة أجاتوكليس وتركه سيراكوزا وانتقاله إلى أفريقيا ، لم تكن من فراغ ، فلابد أن تكون المدن الإغريقية قد وفرت الحماية اللازمة للمدينة ، خاصة وأنه فرّ من أمام قوات قرطاجة ؛ لأنه لا يستطيع مواجهتها.

4 – أدى ذلك الصراع إلي بروز التحالفات الدولية لأول مرة في منطقة غرب البحر المتوسط ، حيث ظهر التحالف القرطاجي الأتروسكي ، ولا يستبعد أن يكون هناك تحالف بين الإغريق والرومان ضد الأتروسك ، وإن لم يكن ظاهراً ، "يتضح ذلك في معاهدة روما وقرطاجة الأولى".

5 – فتح الصراع شهية روما ، ونبهها إلى أهمية صقلية ، فلم يكد ينتهي الصراع اليوناني القرطاجي حتى بدأ الصراع القرطاجي الروماني ، والذي ترتب عليه احتلال صقلية من قبل الرومان.

---

(1) Diudorus of Sicily , Book xiv . 58.1 _ 4

6 – أنهك ذلك الصراع قوة قرطاجة العسكرية في صقلية مما سهل على روما مباغتة قرطاجة والاستيلاء على الجزيرة قبل أن تلتقط قرطاجة أنفاسها من الحرب الطويلة مع الإغريق ، كما أن لذلك الصراع أثاراً أخرى أكثر أهمية سنعرض لها في حينها.

7 – أظهر هذا الصراع تذمر السكان المحليين من الحكم القرطاجي فـــي تحالفهم مع الإغريق أحياناً .

الفصل الثالث

التأثيرات السياسية والاقتصادية

المبحث الأول

التأثيرات السياسية

* نظام الحكم خلال القرنين السابع والثامن ق.م .
* تطور نظام الحكم .
* الثورات المحلية .
* طبقة ملاك الأراضي .
* التأثيرات العسكرية .

نظام الحكم خلال القرنين السابع والثامن ق.م

اعتُبر القرن التاسع ق.م هو زمن التأسيس السياسي المفترض لمدينة قرطاجة ، العاصمة الجديدة للفينيقيين في غرب البحر المتوسط ، وكان الربع الأخير من ذلك القرن هو الزمن المتفق عليه من قبل المؤرخين لذلك التأسيس. ومنذ تلك الفترة وحتى منتصف القرن السابع ق.م – عندما بدأت قرطاجة في تأسيس المستعمرات[1] لا نكاد نعرف شيئا عن تاريخ تلك المدينة التي ظهرت في القرن السادس ق.م بشكل قوي وبصورة حاضرة لإمبراطورية قوية لها كيانها السياسي الفريد ، وتنظيماته الإدارية والسياسية الممتازة ، حتى امتدحها أرسطو من خلال إشادته بالدستور القرطاجي ، واعتبره من أرقى دساتير العالم القديم[2].

والواقع إن الفترة الممتدة بين تاريخ التأسيس وبداية ظهور قرطاجة كدولة متكاملة ، أي طيلة قرنين من الزمان تقريبا ، هي فترة يلفها الغموض بشكل عام ، ولم يصلنا عنها على كافة الجوانب السياسية والاقتصادية ، وحتى الدينية ، إلا القليل ، وذلك لصمت المصادر الكلاسيكية عن هذه الفترة ، وغياب الدليل الأثري الذي يبين لنا ماهية أنظمتها وشئونها السياسية.

إن المصادر الكلاسيكية رغم أنها تتحدث بإسهاب عن مجيء عليسة وتأسيس قرطاجة ، وتحدثت عنها كأول ملكة فينيقية في الغرب في نهاية القرن التاسع ق.م ، إلا أنها تصمت بشكل يكاد يكون كلياً عن نظام الحكم الذي هيمن على قرطاجة في الفترة التي أعقبت موت تلك الملكة ، فلا تكاد تذكر شيئا عن طبيعة ذلك الحكم ، ولا عن مؤسسات الدولة السياسية ، على

(1) Moscati,S , The World of Phoenicians ,Tranzlated from the Italian by Hamilton Alastair, London,1968 _ P 117.

(2) Rollin , op . cit . P.94.

الرغم من أنها تصفها بالملكية[1] ، لكنه مجرد حديث يفتقر إلى الدليل الذي يؤكد طبيعة ذلك النظام ، حيث لم نعثر على اسم أي ملك في تلك الفترة ، ولا عن أعمال تدل على وجود ملوك ، أو حتى زعماء ورثوا التركة التي تركتها لهم الملكة المؤسسة ، حيث لا يمكن أن تكون المدينة قد خضعت لحكم ملوك استطاعوا أن يصلوا بها إلى الشكل المنظم والرائع الذي ظهرت به في القرن السادس ق.م ، ثم لا يترك لنا أحدهم ما يخلد ذكراه ، من عمل أو نقش يتحدث من خلاله عن أهم أعماله العظيمة ، وبذلك تبقي التكهنات ومحاولة الاستنتاجات هي المسيطر على التاريخ السياسي لهذه الفترة ، فهل كانت عليسة ملكة بالفعل؟ ومن تولي الحكم بعد انتحارها؟ وهل كان العرش وراثياً مثلما كانت العادة في المدن الفينيقية في الشرق؟ أم كان عن طريق الانتخاب كما يتحدث عنه أرسطو؟ أم أنه لم يحكم قرطاجة ملك حتى القرن السادس ق.م ، وإنما كانت تدار شئونها بواسطة مجلس عام يتلقى أوامره من صور المدينة الأم في الشرق؟ أم كان مجلساً مستقلاً ؟ فلماذا لم ينتخب ملكاً؟ ألم يأت الصوريون بكامل عاداتهم وتقاليدهم من الشرق ، بما فيها أنظمة الحكم ؟. فمن خلال الإجابة عن هذه الأسئلة يمكننا تكوين فكرة – ولو بسيطة – عن نظام الحكم فيها في تلك الفترة.

جاء الفينيقيون إلى غرب البحر المتوسط سفراء لأوطانهم على الساحل الشرقي للبحر المتوسط ، يمارسون التجارة ، مكونين بؤرا استيطانية تابعة مباشرة للمدن الفينيقية في الشرق ، وكانت قرطاجة على رأس هذه المستوطنات ، واستمرت تابعة لصور حتى أجبرتها الظروف الدولية في القرن السادس ق.م على الاعتماد على نفسها بالكامل ، وذلك عندما تعرضت المدينة الأم للاجتياح من قبل الآشوريين والكلدانيين[2] ، وكذلك ظهور الخطر

---

(1) أرسطوطاليس ، السياسة ، نقله إلى العربية: أحمد لطفي السيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1979م ص173.

(2)Wise, Terence , Armis of The Carthaginians _ ospry publishing _ London , 1982, P. 5.

الإغريقي في وسط المتوسط بتأسيسهم مدينة "قوريني" على السواحل الجنوبية للبحر ، وسيطرتهم على شرق صقلية[1] .

ومن المرجح أنه خلال فترتي القرنين الثامن والسابع ق.م كانت مدينة قرطاجة تدار بواسطة مجلس يمثل طبقة التجار من ذوى المصالح في المنطقة ، كان يتلقى أوامره من الشرق ، بل ولا يستبعد أنه كان يعين من هناك ، حيث لم تظهر أسماء شخصيات أو حكام في قرطاجة نتعرف من خلالها على أصحاب السلطة فيها ، وإنما كانوا عبارة عن تجار يديرون مصالحهم التجارية فقط ، ويمارسون عباداتهم ، وينظمون العلاقات فيما بينهم ، خاصة وأن قرطاجة في هذه الفترة كانت تابعة لصور تماماً كما ذكرنا في فصل سابق. وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين يعتبرون أن نظام الحكم في قرطاجة قد مر بثلاث مراحل[2]، كان أولها مرحلة الملكية ، إلا أن هذا يبقى مجرد رأى ليس له ما يؤيده ، حيث إن الملكية فيها لم تظهر بشكل واضح ، وعوامل نشوء الملكية في قرطاجة كانت غير متوفرة على غرار الملكية في منطقة الشرق ، فقد كان نظام الحكم في المدن الفينيقية في الشرق تطوراً لنظام حكم قَبَلي ، يكون فيه شيخ القبيلة على رأس مجموعة من المساعدين من أصحاب الرأي والمشورة في القبيلة ، وقد تطور هذا النظام بفضل التكتلات السياسية إلى اتحاد مجموعة من القبائل تشكلت منها المدينة ، وأصبح هؤلاء المساعدون يكونون مجلس المدينة وكانوا من كبار أثريائها ، ويتمتعون بالكلمة النافذة فيها[3] ، ومع التحول التدريجي إلى نظام دولة المدينة ، والازدهار الاقتصادي ، وتزايد ثروات هؤلاء الأعضاء ، أصبحوا يشكلون ما يعرف بمجلس الشيوخ الحاكم ، وعلى رأس ذلك المجلس رئيس

---

(1) Thucdides , Book _ 111 _ 2.

(2) مهران ، محمد بيومي ، المدن الفينيقية _ دار النهضة العربية ، بيروت ، 1994م ص294.

(3) حتاملة ، محمد عبده ، الفينيقيين ، مجلة المؤرخ العربي ، مجلة فصلية تصدر عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ، العدد57 ، 1999م ص222.

تحول إلى ملك ، وقد منحهم هذا الحق رعاية أموالهم ومصالحهم التجارية.

أما في قرطاجة فإن المجلس الذي ظهر فيها كان يتكون من مجموعة من التجار ذوي المصالح المشتركة ، ولا يمثلون طبقات اجتماعية مختلفة ، أو مجموعة من القبائل مثلما نشأت الملكية في الشرق ، وبالتالي فإنه لا مجال لظهور شخصية الملك فيما بينهم ، ويتأكد ذلك بصورة أكبر إذا سلمنا بتبعية قرطاجة إلى مدينتها الأم صور في بداية نشأتها.

أما ما يذكره "أوغسطين" عن "مالخوس" القائد القرطاجي ، والذي يعتبره بعض المؤرخين أول ملك تذكره المصادر بعد " ديدو" ، حيث يرجحون أن كلمة "مالخوس" إنما هي تعني في اللغة السامية الملك[1] ، وهي لا تعدو أن تكون مجرد صفة أطلقها الإغريق على تلك الشخصية ، وقد أورد الكتاب الإغريق القدامى اسم مالخوس تحت لقب: "بزيليوس"Basilews" ، وهي تعني صفة الملك لدى الإغريق[2] ، ولكن هذه التسمية لا تمنح مالخوس صفة الملكية ، ولا يعدو كونه أبرز شخصية عرفها الإغريق؛ لأنه قاد الجيش القرطاجي وحاربهم وهزمهم ، ومن هنا عرفه مؤرخوهم تحت اسم: " بازيليوس" ، ولذلك فلا يمكننا الأخذ به دون التحقق منه ، ودراسته دراسة جيده ، حيث يتناقض هذا الرأي مع ما حدث له ، فقد حكم عليه بالنفي من قبل المجلس الحاكم في المدينة ، وهذا الحكم لا يمكن أن يكون قد صدر ضد ملك له أعلى سلطة في الدولة ، وأن مالخوس – بناءً على ذلك – لا يكون إلا قائداً عسكرياً تم تعيينه على رأس تلك الحملة من قبل ذلك المجلس ، فهو الذي عينه ، وهو الذي أصدر ضده الحكم ، حيث يذكر" جوستان" أن مالخوس هذا كان جنرالا عسكرياً لا أكثر ، خلفه بعد ذلك جنرال آخر هو ماجون[3] ، أما إضفاء صفة الملكية على القادة العسكريين

(1) المرجع نفسه.

(2) Lancel, S , Carthage , op. cit .P .158.

(3) Lancel ,S , op . cit . P.159 .

في قرطاجة ، كوصف أفراد الأسرة الماغونية بأنهم ملوك لقرطاجة ، فإن هـذا يحتاج إلى تمحيص أكثر ، ولا يعدو كونه تصور من قبل الكتاب الإغريق فقط ، وأن ذلك إنما جاء نتيجة معرفتهم بهم من خلال ساحات القتال ، وقـد تحـدث هؤلاء الكتاب عن كيفية تولي من وصفوهم بالملوك الحكمَ ، حيث يذكر أرسطو أن ما يميز الملوك في قرطاجة أنهم لا ينتمون إلى عائلة واحدة ، وأن تعيينـهم كان يتم بواسطة الاقتراع[1] ، وكان ذلك يتم سنوياً ، حيث استطاع "هاسدروبال" ابن ماجون أن يكون حاكما إحدى عشرة مرة[2] ، وهذا لا يتـأتى فـي النظـام الملكي حتى في أقدم العصور ، حيث تحدثنا المصادر عن تولي أبنـاء الملـوك عروش آبائهم ، كما حدث مع الملك "بيجماليون" بن اتيوبعل ملك صور وأخـي الأميرة "عليسة" مؤسسة قرطاجة ، عندما تولى عرش أبيه في صور ، كمـا أن بعض النصوص اللاتينية التي تتحـدث عـن المـاجونيين تنعـتهم أحيانـاً بالامبراطور ، وبالديكتاتور أحيانا أخرى ، وبذلك لا يمكن أن نسمي أفراد هـذه الأسرة ملوكاً ، خاصة وأن نفوذ قادة هذه الأسرة ظهـر بـشكل قـوي علـى الساحات العسكرية خارج قرطاجة ، ودون الانفراد بالسلطة السياسية داخلها[3] ، كوظيفة الملوك التي كانت تكتسب من السيطرة الداخلية أولاً ، وخير دليل علـى استبعاد وجود الملكية في قرطاجة: أن هذه الصفة قد أطلقت علـى مـن تـولى وظيفة الشفطم " القاضيين" ، وهذه الوظيفة لم تظهـر فـي قرطاجـة إلاّ بعـد منتصف القرن الخامس ق.م ، إن لم يكن في نهايته[4] وقبل ظهور هذه الوظيفة كانت صفة الملكية تطلق على القادة العسكريين ، فأصبح هذا اللقب ينتقل بـين القائد العسكري وبين "الشفطم" حسب موقعه من الصراع مع الإغريق.

من هنا لا يمكننا الأخذ بما يورده المؤرخون بوجود مرحلة الملكية فـي

---

(1) Aristotal , Politique , 1 _ 11 .

(2) Lancel , S , op . cit . P.57

(3) أبو رونية ، الشاذلي ، محمد الطاهر ، المرجع السابق ص173.

(4) المرجع نفسه ص 176.

قرطاجة ، تلك الافتراض الذي بني على أسطورة هروب عليسة ، وتأسيسها لمدينة قرطاجة ضد رغبة أخيها في صور ، كما أننا إذا افترضنا وجود الملكية خلال القرن الثامن والسابع ق.م ، فإن هذا النظام يكون قد جاء من الشرق ، وأن هذا لابد أن يخضع للنظام الوراثي كما كان يحدث في المدينة الأم ، وهذا ما لم نعثر عليه في التاريخ القرطاجي ، وحتى سيطرة الأسرة الماجونية فيما بعد والأسرة البرقية إنما كان يتم بواسطة الاقتراع – وإن كان شكلياً – وفقاً للدستور[1] ، فهل يمكن أن يأتي القرطاجيون بالملكية من الشرق ، ويرفضون مبدأ الوراثة فيها؟ هذا لا يمكن القبول به ، خاصة وأن النقوش البونية لا تأتي على ذكر صفة الملك ، في حين أنها تتحدث عن وجود وظيفة الشوفيتم[2].

والأرجح هو وجود مجلس يرعى المصالح اليومية في المدينة ويتلقى أوامره من صور ، وينفذ سياساتها طويلة المدى حتى سيطرة البابليين والآشوريين عليها ، وأصبحت غير قادرة على رسم سياسة مستعمراتها في الغرب ، وهنا بدأ ذلك المجلس يتخذ قراراته من تلقاء نفسه بعد إنتقال بعض الساسة من الشرق إلى قرطاجة ، ويسن قوانينه الخاصة به التي أصبحت – فيما بعد – دستوراً لقرطاجة ، أشاد به الخصوم والأعداء قبل الأصدقاء.

---

(1) المرجع نفسه ص171.

(2) المرجع نفسه.

تطور نظام الحكم

يبدأ التاريخ السياسي لقرطاجة بشكل أكثر وضوحاً مع بداية القرن السادس ق.م ، حيث أصبحت قرطاجة مستقلة بشكل يكاد يكون كاملاً عن الوطن الأم في الشرق ، فأصبحت تدير شؤونها بنفسها ، وتقرر سياساتها الخارجية والداخلية[1] ، بل وورثت مهمة مدينة صور في الغرب ، وهي حماية المستوطنات الفينيقية في غرب البحر المتوسط بشكل عام ، فقد كانت أقوى المدن الفينيقية في المنطقة ، وهي المدينة التي تمتعت بالرعاية الصورية منذ تأسيسها ، وإليها هاجر أغلب فينيقيي الشرق من ذوى الشأن والمكانة الرفيعة ، كأصحاب رؤوس الأموال والساسة ، مما ساعدها على التمتع بقدرات سياسية واقتصادية متميزة[2]. هذه الظروف وغيرها أدت إلى تبلور الحياة السياسية فيها ، وساعدت على إفراز كادر سياسي محنك ساهم في وضع دستور منظم ، وفرضت عليهم إيجاد هيئات سياسية ، كان من شأنها أن تنظم الشؤون الداخلية والعلاقات الخارجية ، خاصة وأنها بدأت منذ ذلك القرن تتعرض لضغوط خارجية مست عصب حياتها الاقتصادية ، وهي التجارة البحرية ، حيث وجدت منافسة قوية من قبل المستوطنين الإغريق الجدد في المنطقة [3] ، ووجدت نفسها مدينة لها مقومات الدولة ، ومع ازدهارها الاقتصادي وتزايد ثروتها أصبحت في حاجة إلى مؤسسات لإدارة شؤونها السياسية والاقتصادية ، وبما أن قرطاجة - شأنها شأن أي شعب في العالم قديماً وحديثاً - يسيطر فيها أصحاب رؤوس الأموال وكبار التجارعلى شئون الدولة ، فإن تكوين تلك الهيئات أصبح بأيدي أولئك الأفراد ، فأصبح من حقهم إصدار القوانين والقرارات التي من شأنها أن تحافظ على أموالهم ، وتنظم

---

(1) الهادي ، أحمد عبدالله ، الحياة السياسية للفينيقيين في شمال أفريقيا ، رسالة ماجستير لم تنشر ، جامعة قاريونس ، 1997م ص53.

(2) Rollin , Vol . 11 , op . cit . P.94.

(3) الناضوري ، رشيد المرجع السابق ص172

تجارتهم ، وتحدد مصيرها في الخارج والداخل[1] ، وبذلك طغى على الساحة السياسية مجموعة من الهيئات شكلت الهرم السياسي في الدولة القرطاجية ، أملته عدة ظروف ، كان على رأسها: المنافسة الإغريقية ، وعلى الرغم من أن تلك الهيئات قد جاءت لمصلحة الدولة ، ونص عليها الدستور القرطاجي صراحة ، إلا أنه لم يلبث أن أصبح هناك تنافس داخلي فيما بينها ، فقد أُنشئ بعضها لمراقبة البعض الآخر ، وللحيلولة دون انفراد جهة ما بالسلطة في الدولة ، خاصة العسكريين منهم ، مما ولّد نفوراً بين الجيش والمجلس المدني الحاكم ، وشيئاً من عدم الثقة بين الطرفين[2] ، مما اعتبر تطوراً في نظام الحكم القرطاجي.

تميز نظام الحكم القرطاجي بأنه نظام حكم أوليجارشي ، اقتصر على فئة محددة من أصحاب رؤوس الأموال ، فقد منح الدستور القرطاجي حق تولي مهام الحكم للأغنياء دون الفقراء واعتبر أن من حقهم تسيير شئون الدولة ، خاصة في سن القوانين والتشريعات التي تصدر فيما يتعلق بالشئون الاقتصادية ، فقد كان عضو المجلس أو القاضي لا يتقاضى مرتباً أو مكافأة على أداء مهامه[3] ، وبالتالي فإن الفقير لا يستطيع أداء مثل هذه المهام ، كما أنه لابد أن يكون هناك دوافع لذلك الموظف للقيام بإدارة عمله على الوجه الأكمل ، وهذا لا يكون إلا من خلال رعايته لمصالحه الخاصة ، وبذلك كون القرطاجيون هرماً سياسياً اختلف إلى حد ما عن نظام الحكم في الوطن الأم في الشرق ، وتطور وفق الظروف التي تمر بها قرطاجة عبر العصور حتى سقوطها ، وقد جاءت هذه التركيبة السياسية وفقاً لمقتضيات الحاجة إليها ، فتمثلت في الآتي :

---

(1) جوليان ، شارل أندريه ، المرجع السابق ص113

(2) برستد ، جيمس هنري ، العصور القديمة ، نقله الي العربية : داود قربان مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، 1983م ص514

(3) ديكريه ، فرانسوا ، قرطاجة أو إمبراطورية البحر ، المرجع السابق ص83

القاضيان "الشوفيتم":

يرى كثير من المؤرخين – وعلى رأسهم أرسطو أن وظيفة الـشوفيتم" القاضيان" في قرطاجة تعادل منصب الملك في نظام دولة المدينة في بلاد الإغريق ، بينما يقابلها نظام القناصل في الدولة الرومانية ، ولذلك أطلق عليهم لقب ملك في كثير من الأحيان ، ولكننا إذا ما نظرنا إلى كيفية تولي مثل هذه الوظيفة نجد أنها بعيدة كل البعد عن صفة الملكية ، حيث كان يتم انتخاب القاضي "الشفط" من قبل أعضاء مجلس الشيوخ ، ويتم عزله بعد سنة واحدة[1] ولكن يجوز له أن يرشح نفسه مرة ثانية وثالثة ورابعة....الخ . حتى ألغي هذا التكرار مع بداية القرن الثاني ق.م ، وأن من يتولى سلطة القضاء يخضع للدستور ورقابة مجلس الشيوخ ، وبالتالي فهي أقرب للنظام الروماني.

يتكون النظام السياسي في قرطاجة من عدة هيئات سياسية تتدرج حسب أهمية كل منها ، ويأتي على رأس هذا الهرم وظيفة القضاء "الشفطم" ، وتعتبر هذه الوظيفة أعلى سلطة سياسية في الدولة ، وكانت أقل درجة من سلطة الملك وإن أُطلقت عليها هذه التسمية – لعدم وجود سلطة تعلو سلطاتهما – وقد ظهرت هذه الوظيفة عقب منتصف القرن الخامس ق.م ، وقد كان يشغل هذا المنصب قاضيان يتم إنتخابهما من قبل مجلس الشيوخ ، ثم أصبح من مهام محكمة المائة وأربعة عقب القرن الرابع ق.م[2] ، وتعتبر سلطاتهما تنفيذية أكثر منها تشريعية ، وفي غالب الأحيان توكل لأحدهما مهمة الإشراف على الإدارة بينما توكل للآخر مهمة الإشراف على العدل ، وكانا يكلفان بقيادة الجيوش في بعض الأحيان[3] ، ومن حقهما دعوة مجلسي

---

(1) برستد ، جيمس هنري المرجع السابق ص51.

(2) حتاملة ، محمد عبده ، المرجع السابق ص223.

(3) السويح ، الطاهر ، حنعبل.... العودة الثانية ، مجلة الحياة الثقافية ، السنة21 ، العدد80 ، ديسمبر1996م ص11.

الشيوخ والشعب للانعقاد ورئاسة مجلس الشيوخ[1] ، ومن حق القاضي أن يعاقب أي وزير يخالف أوامره وأن يوبخه ، دون أن يكون له الحق في إيقافه عن العمل ، مثلما فعل الشفط "حنبعل" عندما أرسل في طلب وزير المالية ، وأهمل الأخير طلبه ، فأرسل أحد أعوانه وأوقف الوزير وجره أمام مجلس الشعب[2]. وبالرغم من هذه السلطات إلا أن قرارات القاضي غير ملزمة لمجلس الشيوخ في الأمور الحاسمة ، فمن حق المجلس الاعتراض عليها ، ولا تكون نافذة إلا إذا وافق عليها مجلس الشعب ، ولا يجوز له إصدار الأوامر للجيش أو الأسطول إلا بتكليف رسمي من مجلس الشيوخ[3] ، وبالتالي فإن سلطاتهما هي أقرب إلى رئاسة مجلس الوزراء في العصر الحالي منها إلى السلطة الملكية.

مجلس الشيوخ :

يعتبر مجلس الشيوخ من أقدم الهيئات السياسية في قرطاجة وأقواها نفوذاً ، فهو أول هيئة تحدث عنها المؤرخون بعد تأسيس قرطاجة ، أي بعد الفترة التي يلفها الغموض من تاريخها " القرنين والثامن السابع ق.م" ، ومن المرجح أنه تطور لهيئة كانت موجودة لإدارة الأنشطة التجارية في المدينة قبل ظهورها كدولة ، فقد ورد الحديث عن مجلس حاكم في قرطاجة منذ القرن السادس ق.م من المرجح أن يكون مجلس الشيوخ أو أنه تطور عنه ، حيث ذُكر أن ذلك المجلس قد أعد حملة عسكرية أرسلها لمقاتلة الإغريق في صقلية ، ثم أمرها بالتحرك إلى سردينيا بعد ذلك ، وعاقب قائدها إثر فشله في سردينيا[4] ، وإن كان المؤرخون لم يذكروا صراحة أن ذلك المجلس هو

---

(1) الناضوري ، رشيد ، المرجع السابق ص184.

(2) بوتسيروب ، اليكس ، الفينيقيون في أفريقيا ، ت: محمد دربال ، مجلة الحياة الثقافية ، السنة26 ، العدد12جانفي2001ص44.

(3) J , Alfred , Church .M .A , op . cit . P.103

(4) صفر ، أحمد ، المرجع السابق ص 10304 ـ .

مجلس الشيوخ ، إلا أن المرجح أنه المعني ، فقد كان لهذا المجلس نظيره في الوطن الأم ، وأن هذه الهيئة لا يستبعد أن تكون قد انتقلت من الشرق إلى الغرب ، مما قد يعني أنه كان موجوداً منذ القرن السابع ق.م ، أي سابق لذكره في القرن السادس ق.م ، فقد كان يمارس مهامه كاملة في ذلك القرن[1].

ومن المحتمل أن تكون قرطاجة قد سيرت شئونها بواسطة هذا المجلس تحت إشراف الملك الصوري قبل بداية القرن السادس ق.م ، وحتى الذين قالوا بوجود الملكية في قرطاجة تحدثوا عن وجود مجلس للشيوخ إلى جانب الملك[2] ، وقد ورد ذكره في قرطاجة قبل الحديث عن وجود القاضيين ، وحيث إن لهذه الهيئة جذورها في العالم الشرقي ، فلا غرابة في انتقالها المبكر مع الصوريين إلى قرطاجة ، خاصة إذا علمنا أن أعضاء هذا المجلس هم أصحاب التجارة ، وأصحاب رؤوس الأموال في المدينة.

ويعتبر مجلس الشيوخ أول جهاز سياسي تم إنشاؤه في قرطاجة[3] ، لكن حدثت عليه بعض التطورات والتحويرات ، خاصة خلال ما يعرف بالعصر القرطاجي ، أي ما بعد القرن الخامس ق.م ، حيث ألغيت فيه بعض الهيئات ، واستحدثت هيئات أخرى نتيجة ما أملته الظروف السياسية والاقتصادية في ذلك الوقت ، خاصة مع ظهور المنافسة الإغريقية في الحوض الغربي للمتوسط ، وما ولده ذلك الصراع من ضرورات ملحة أجبرت المشرعين القرطاجيين على اتخاذ خطوات مهمة وجديه لمواجهة تلك الأخطار الناتجة عن التهديدات الإغريقية ، مثل استحداث محكمة المائة ، وتكوين لجان صغيرة تتابع مختلف الأنشطة في الدولة ، عُرفت بلجان الخمسة[4] ، كما أن ترنح مدينة صور منذ القرن الثامن والسابع ق.م في

(1) J, Alfred, J, church .M .A , op . cit. P13.

(2) Moscati ,S , The World of Phoenicians , op . cit . P.131 .

(3) الهادي ، أحمد عبد الله ، المرجع السابق ص50.

(4) المرجع نفسه ، ص53.

الشرق فرض على القرطاجيين الاعتماد على أنفسهم ، وإحداث مؤسسات سياسية لتسيير شؤونهم الخاصة ، والشؤون الفينيقية بشكل عام ، وكان على رأس هذه المؤسسات وأهمها: هو المجلس الكبير ، أو مجلس الشيوخ.

ويحتل مجلس الشيوخ المرتبة الثانية في الهرم السياسي القرطاجي بعد القاضيين "الشفطم soffqt" ، ولا يعرف عدد أعضائه على وجه الدقة ، إلا أن المرجح أنهم كانوا حوالي ثلاثمائة عضو ينتخبون مدى الحياة ، ويستشف هذا الرقم من عدد الرهائن الذين فرضتهم روما على قرطاجة عام 149 ق.م ، والذي يساوي عدد أعضاء مجلس الشيوخ في المدينة(1).

وكان من شروط عضوية هذا المجلس مقدار الثروة والمولد والجدارة أو الحكمة ، ولكن مقياس الثروة كان هو الأهم ، وهو الأساس الذي يتم عليه اختيار عضويته ، وهذا ما يدل على الطبيعة الأوليجارشية للحكومة القرطاجية ، أي حكم القلة ، وفيه ما يعني أيضاً أن الاقتصاد هو أساس التنظيم السياسي والاجتماعي في قرطاجة ، فبقدر ما يكون لديك من ثروة يكون موقعك من مراكز صنع القرار في الدولة(2) ، خاصة إذا ما عرفنا أن مجلس الشيوخ هذا هو المصدر التشريعي فيها.

ويعتبر مجلس الشيوخ هو الهيئة العليا للسلطة الفعلية في البلاد ، وكان يسمي في السابق بمجلس القدامى أحياناً ، فهو الهيئة التشريعية التي تصدر القوانين التي تنظم المعاملات الاقتصادية وتشرف على الشئون التجارية والسياسية ، وحتى الدينية ، حيث يوجد به عدد من الأعضاء مهمتهم الأشراف على المعابد والأمور الدينية(3) ، وهو ما يعرف بمجلس العشرة ، وكان مجلس الشيوخ هو الذي يتخذ قرارات السلم والحرب ، وهو الجهة

---

(1) Polype , XXXV1 _ 4 _ 6 .

(2) غانم ، محمد الصغير ، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر ، المرجع السابق ص 95.

(3) فنطر ، محمد ، قرطاج" لمحة من تاريخ الحضارة البونيقية ، منشورات دار الثقافة ، تونس 1963م ص 50.

المسئولة عن إبرام الاتفاقيات واستقبال البعثات الدبلوماسية ، وهو المخــول بالرد علي مبعوثي الدول الأجنبية ، وكانت اقتراحات الدول الأخرى تقرأ في المجلس أثناء انعقاده ، كما حدث عنـدما أرسـل دينيـسيوس الأول حـاكم سيراكوزا مبعوثين إلى قرطاجة لإعلان الحرب عليها[1] ، وهو الذي يـشكل جيوش الحملات العسكرية ، حيث لم يكن هناك جيش نظامي في بادئ الأمر. وبشكل عام كان بيده كل ما يتعلق بالشئون العامة للدولة ، ومنه تنبثق بعض الهيئات الرقابية الأخرى فيها ، وهو الذي له الحق فـي الاعتـراض علـى قرارات الشوفيتم وإن كان لا يستطيع إبطالها ، إلا أنه يستطيع عرقلتها حتى تعرض على مجلس العامة ، وبالنظر لاحتوائه على جميع المجالس الفرعية ، كمجلس الخمسة ، ومجلس المائة وأربعة ، فإنه بهذا يكون قد أمسك بزمـام الأمور في الدولة.

وبالرغم من هذه الصلاحيات الواسعة والفعلية لهذا المجلس ، إلا أنـه واجه منافسة قوية من قبل بعض الشخصيات العسكرية التي ظهرت فيما بعد ، والتي استغلت وجودها على رأس القوة الحامية للدولة ، وفرضت نفـسها بالقوة نتيجة الحاجة إليها في مواجهة الخطر الخارجي ، وأصبح هذا المجلس لا يستطيع مجاهرة بعض القادة بالعداء ، مثل ما حدث ضد مـالخوس فـي القرن السادس ق.م ، وكالذي حدث ضد حاميلكار القائـد القرطـاجي فـي سيراكوزا في نهاية القرن الرابع ق.م ، أو كما حدث عندما تـولى حنعبـل القائد العظيم منصب الشفط ، حيث عدل بمساعدة مجلس الشعب فـي مـدة عضوية المجلس لسنه واحده لمنع تعيين القضاة سنتين متتاليتين[2].

وكان مجلس الشيوخ حاوياً لجميع المؤسسات السياسية الفاعلـة فـي الدولة ، وكان المشرف على كافة شئون البلاد ، فهو العقل المدبر ، والفكـر

---

(1) Rollin ,M ,vol . 1 , op . cit . P.128 .

(2) السويح ، الطاهر ، المرجع السابق ص11.

المستتير لإدارتها ، وعلى الرغم من وجود القاضيين على رأسه كأعلى سلطة في البلاد ، إلا أنهما يعتبران مجرد هيئة تنفيذية للقرارات التي تصدر من مجلس الشيوخ ، فكان به إلى جانب محكمة المائة عدة لجان تختص كل واحدة منها بمهمة خاصة في الدولة ، وعادة ما تتكون هذه اللجان من خمسة أشخاص ، كالشئون المالية ، وشئون الصرف والإيرادات والضرائب والتجنيد ومهمة إسناد قيادة الحملات[1] ، فضلاً عن المهام التي ذكرناها سابقاً. ووجود هذا التنظيم الرائع حذا ببعض المؤرخين إلى الحديث عن مجلس دعوه بالقضاة الخمسة[2] ، ولكن المرجح أن هؤلاء لم يكونوا سوى القضاة الذين يترأسون مجلس المائة ، وكانت وزارة المالية من ضمن أعضاء مجلس الشيوخ ، وبذلك فإن أعضاء هذا المجلس يمثلون الوزراء النوعيين في العصر الحالي ، فهو عبارة عن لجان خماسية تختص كل منها بشأن محدد.

مجلس المئة :

تسمى هذه الهيئة بمحكمة المائة أو مجلس المائة ، وهي تتكون من مائة وأربعة من القضاة المنتخبين من بين أعضاء مجلس الشيوخ ، وعلى الرغم من أن هذه الهيئة قد ظهرت بشكل واضح وهيمنت على هذا المجلس في نهاية القرن الخامس ق.م وبداية القرن الرابع ق.م[3] ، إلا أنها في واقع الأمر تعتبر قديمة قدم مجلس الشيوخ ، الذي كان يضم مجلساً داخلياً يتكون من ثلاثين شخصاً ، وهو ما يعرف بمجلس الثلاثين[4] ، وكان هذا المجلس المصغر مهيمناً على قرارات مجلس الشيوخ ، ومهمته مساعدة القاضيين " الشفطم" ، كما أنيطت به

---

(1) غانم ، محمد الصغير ، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر ، المرجع السابق ص94

(2) الهادي ، عبدالله أحمد ، المرجع السابق ص69.

(3) Lancel , S , op . cit . P. 161 .

(4) Ibid . P. 165 .

مراقبتهما ، وكان يشرف بل ويشارك أحياناً في المهام التي يقوم بها الضباط ، وعلى الرغم من أن عضو المجلس لا يقوم بقيادة الجيوش بدلا من الضباط العسكريين إلا بتكليف رسمي من المجلس الكبير ، إلا أنه في الغالب يعين من قبل مجلس الشيوخ كمرافق للقائد العسكري في الميدان ، مراقباً لتصرفاته ، بل وشريكاً له بصفة مستشار ، وبذلك أصبح شريكاً في العمليات العسكرية[1].

بدأت الأمور تتغير في قرطاجة منذ النصف الثاني من القرن الخامس ق.م على إثر هزيمة القرطاجيين في معركة هيميرا 480 ق.م ، وبدأت الأحوال السياسية تتبدل هي الأخرى ، وأحس القرطاجيون بتزايد النفوذ العسكري في مؤسساتهم السياسية ، وتعاظم شأن القادة العسكريين على أيدي الأسرة الماغونية الذين بدأت البلاد في عهدهم تسير نحو الحكم الفردي ، والذي ساعدت عليه نمو القوة العسكرية في قرطاجة وحاجة الدولة إليها ، وبذلك بدأت الطبقة الأوليجارشية تفقد سيطرتها شيئا فشيئا لمصلحة أولئك القادة ، لظهور الحاجة إليهم في مواجهة المنافسة الإغريقية ، ومن هنا بدأ مجلس الشيوخ يفقد صلاحياته ، خاصة بعد أن تم حل مجلس الثلاثين الذي كان يمثل الرقابة على الجيش إلى حد ما ، لذلك رأى أعضاء المجلس الكبير "مجلس الشيوخ" أنه لا بد من الحد من سلطة هؤلاء العسكريين ، فتم استحداث هيئة جديدة لمراقبة الجنرالات ومحاسبتهم ، ومقيدة لتصرفاتهم الفردية ، وتستطيع أن توقف هذا الانحراف نحو الحكم الفردي الإستبدادي ، وبالفعل فقد تشكل ما يعرف بمجلس المائة ، أو محكمة المائة وأربعة[2] في منتصف القرن الخامس ق.م تقريباً ، وحلت محل مجلس الثلاثين المنحل ، ولكن مع زيادة في الصلاحيات بشكل جعل من هذه الهيئة المسيطر الأول على مجلس الشيوخ ، والأقوى نفوذاً في الدولة القرطاجية بشكل عام ، فكان من مهامها: انتخاب

(1) Picard , G . Le Monde de Carthage . op . cit . P.40 .

(2) الهادي ، عبد الله أحمد ، المرجع السابق ص66

الشفطم ، ومراقبة تصرفاتهم ، والمحافظة على القانون ، وإصدار الأوامر لقادة الجيوش ، ومحاسبتهم على تصرفاتهم الفردية ، خاصة المقصرين في أداء الواجب ، الذي يترتب عليه هزيمة القوات القرطاجية أمام الأعداء ، وعلى الرغم من أن هذه الهيئة قد أنشئت في بادئ الأمر للحد من نفوذ الجنرالات ، عن طريق مثولهم أمامها كلما اقتضى الأمر ، وتقديم تقاريرهم عقب كل معركة[1] ، إلا أن صلاحياتها بدأت تتسع بشكل تدريجي ، فأصبحت تحاسب وتسأل كل من يحاول أن يستبد في الشئون السياسية في الدولة ، كما أنها فرضت سلطتها لمراقبة الشئون الاقتصادية ، حيث يذكر أن هناك جهازاً يسمى شرطة المائة يعمل على مراقبة عمليات التهريب ، عندما قررت قرطاجة تحديد وتنظيم السلع المستوردة من الإغريق ، وحصرها في المنتجات النادرة ، التي يتم استيرادها عن طريق حلفائها في صقلية ، فكانت شرطة المائة تراقب هذه العمليات ، وتطبق القوانين دون رحمة أو هوادة ضد المخالفين[2] ، وكانت عضوية هذه الهيئة مدى الحياة في بادئ الأمر ، مما فتح المجال أمام أعضائها إلى الاستبداد ، حتى جاء حنعبل العظيم وقدم مشروعاً لمجلس العامة استطاع من خلاله تحديد مدة العضوية فيها لسنة واحدة ، ولا يجوز فيه انتخاب القاضي سنتين متتاليتين[3].

ويبدو أن الوصول إلى عضوية هذا المجلس يمر عبر تسلسل وظيفي ، فعلى العضو أن يتدرج من الوظائف الصغرى إلى وظائف تؤهله للوصول إلى تلك العضوية ، فلا يكفي أن تكون عضواً في مجلس الشيوخ ليتم اختيارك في مجلس المائة ، فقد كان وزير المالية الذي عاقبه "حنبعل" لإهماله تنفيذ الأوامر مرشحاً للانتقال من سلك المالية إلى سلك القضاة الجبار ، فكان يدرب نفسه على

(1) Justin , X1X _ 15 _ 6 .

(2) Picard, G , Le Monde de Carthage , op . cit . P. 42 .

(3) السويح ، الطاهر ، المرجع السابق ص11.

مشاعر الزهو والكبرياء ، وإهماله حتى أوامر الشفط[1] ، وهذا يعني أن مجلس المائة كانت له الكلمة النافذة في الدولة القرطاجية التي تمنحه حق عصيان أوامر الشفطم بالرغم من أنهم أعلى سلطة في البلاد ، وكان لمجلس المائة لجنة ترأسه تتكون من خمسة أشخاص تنظم أعماله ، وتدير جلساته ، وتعرض عليه التقارير ، وكانت اجتماعاته تعقد سرية في بعض الأحيان ، خاصة عند اتخاذ القرارات الخطيرة بشأن بعض القادة العسكريين ، كالقرار الذي تم تمريره ضد القائد حاميلكار في صقلية عام 314 ق.م تقريباً ، والذي اتهم سراً بممالأة الأعداء ، والتقصير في واجباته ، ومحاولة زيادة سلطانه ونفوذه عن طريق الجيش ، وإيجاد حلفاء له من الأعداء دون الرجوع إلى مجلس الشيوخ في قرطاجة ، حيث ساعد الطاغية أجاتوكليس في الوصول إلي سدة الحكم في سيراكوزا[2].

مجلس الشعب :

ظهر هذا المجلس على ما يبدو بعد انفصال قرطاجة عن وطنها الأم صور في القرن السادس ق.م ، مثله مثل باقي المؤسسات السياسية الأخرى ، وهو يأتي في آخر السلم السياسي ، حيث إن مجلس الشيوخ جاء كتطور لمجلس مصغر من أصحاب المصالح التجارية في المدينة الجديدة ، ولكن بعد استقلال قرطاجة السياسي والاقتصادي ، وانتقال الكثير من الصوريين إليها ، وتسيدها للوجود الفينيقي في الغرب ، بدأت تكتمل هيئاتها السياسية بما فيها مجلس الشعب ، أو ما يمكن أن نسميه مجلس العامة.

ويتكون مجلس الشعب هذا من باقي طبقات المجتمع القرطاجي الفينيقي الأصل كما يبدو ، ولا يعرف بالضبط إن كان يضم عناصر أخرى من غير القرطاجيين ، كعنصر الليبو فينيقي الذين احتلوا مراكز مرموقة في الدولة ،

(1) السويح ، الطاهر ، المرجع نفسه.

(2) The Cambridge Ancient History , Vol .V11, op . cit . P. 622 .

وكون بعضهم ثروات لا بأس بها ، ولكن الشئ الثابت أنه كان لا يشمل الأجانب المقيمين في قرطاجة ، كما أنه لا يسمح للعبيد بعضويته[1].

وكان المجلس يضم مختلف فئات المجتمع من غير الأرستقراطية ، كالصناع ، وصغار الفلاحين ، وصغار التجار ، وأصحاب الحرف المهنية ، ويشترط بلوغ سن معينة لعضويته ، ولم يكن للثروة دور في تحديد العضوية ، فكل من هو قرطاجي" فينيقي قرطاجي" يكون له الحق في حضور جلسات المجلس ، ورغم أن "ستيفن جزيل" يذكر أنه لابد من توفر حد أدنى من الثروة لعضويته[2] ، إلا أن ذلك يشوبه الشك ، حيث لم يكن هناك قرطاجيون غير أحرار لا يمكنهم المشاركة فيه ، بالإضافة إلى أنه لم يحدد عدد أعضائه ، مما يعني أنه يضم كل القرطاجيين غير الأعضاء في مجلس الشيوخ.

وكان يجتمع في الساحة العامة ، وليس لهذا المجلس صلاحيات مهمة في الحياة السياسية للدولة في بداية عهدها ، وعلى الرغم من أنه يشارك في اختيار القاضيين ، إلا أن دوره لا يتعدى التصديق على اختيار مجلس الشيوخ ، كما أنه يمثل دور الحكم في حالة اختلاف مجلس الشيوخ والقاضيين في أمر من الأمور ، فعند ذلك يعودان إلى مجلس الشعب للتصويت ، أما في حالة التوافق بين الهيئة التشريعية "مجلس الشيوخ" والهيئة التنفيذية"الشفطم" فإن مجلس الشعب لا يستشار ولا يؤخذ برأيه في أي مسألة من المسائل[3].

ومن صلاحيات مجلس الشعب التي تمتع بها خلال القرون التالية المشاركة في تعيين قادة الحملات العسكرية[4] التي تشنها قرطاجة ضد أعدائها ،

---

(1) غانم ، محمد الصغير ، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر ، المرجع السابق ص 96.
(2) Gsell ,S . Tom. 11. op _ cit . p. 208.
(3) أرسطو – السياسة ، المرجع السابق ص147.
(4) غانم ، محمد الصغير ، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر ، الرجع السابق ص96.

خاصة عند الأزمات التي تهدد البلاد ، كما حدث عند القضاء على ثورة المرتزقة ، لكن الصراع القرطاجي الإغريقي ساهم بشكل أو بآخر في أهمية الدور الذي يضطلع به مجلس الشعب ، حيث كثرت الخلافات بين الشفطم ومجلس الشيوخ على إثر الهزائم التي منيت بها القوات القرطاجية ، ونتيجة ازدياد حاجة الدولة لعدد أكبر من المجندين الذين كانت أعداد منهم من أبناء الشعب القرطاجي ، كما أن بروز الطبقة الأرستقراطية وملاك الأراضي كقوة أساسية في مجلس الشيوخ أدى إلى اصطدامها بطبقة التجار ، مما أدى إلى حدوث تجاذبات سياسية داخل مجلس الشيوخ بين أطراف صنع القرار فيه ، أدت إلى محاولة كل جناح التقرب أكثر إلى مجلس الشعب ، وأصبحت الحاجة إليه أمس للفصل بين التيارات المتصارعة من خلال إعطائه دوراً أكبر في الحياة السياسية ، فقد أصبح يدعى من قبل القضاة إلى الاجتماع منذ القرن الرابع ق.م ، وأصبح يلعب دوراً أكبر في شئون الدولة ، حتى إن تعيين الجنرال "حنعبل" لقيادة الجيش في اسبانيا كانت قد تمت المصادقة عليه من قبل مجلس الشعب(1) ، وهذا يبين المكانة التي أصبح يتمتع بها ذلك المجلس نتيجة ازدياد الضغوط الخارجية على الطبقة الحاكمة في قرطاجة ، مما دفعها إلى إعطاء الشعب دوراً أكبر في تسيير شئون الدولة.

(1) Lancel, S , op . cit . P.169 .

الثورات المحلية

كانت قرطاجة طيلة القرنين الثامن والسابع ق.م تابعة لمملكة صور ، وكان جهازها السياسي لا يعدو كونه مجلسا من أصحاب رؤوس الأموال ، يديرون تجارتهم في غرب البحر المتوسط[1] ، وليس لهم منافس على الساحة الاقتصادية في المنطقة ، وبالتالي لم يشعروا بالحاجة إلى قوات تحميهم ، ومن ثم لم تكن هناك أحزاب وتيارات سياسة ، سواء كانت مدنية أو عسكرية تطمح في الوصول إلى السلطة ، ولم يكن هناك دافع لمثل هذه التطورات ، ولكن ما إن حل القرن السادس ق.م واستقلت قرطاجة وأصبحت شئونها بيدها حتى بدأ يلوح في الأفق التهديد الخارجي المتمثل في الزحف الإغريقي باتجاه الغرب[2] ، الأمر الذي غير وجه الحياة السياسية في قرطاجة ، سواء من حيث التركيبة السياسية ، أو حتى من حيث القوانين والأوامر الصادرة ، وأفرز جملة من التطورات التي من شأن بعضها أن يكون له انعكاس خطير في داخل قرطاجة ، ووجدت نفسها مضطرة إلى استحداث هياكل ومناصب جديدة عليها ، لمواجهة الأخطار الناجمة عن تطور الأوضاع الخارجية ، كما أنها وجدت نفسها مضطرة إلى سن قوانين جديدة لحماية مصالحها الاقتصادية ، ولحماية أمنها الخارجي ، مثل: استحداث جيش منظم ، وتكليف قادة عسكريين لقيادته ، ولضمان نجاح أولئك القادة وعدم تهاونهم في خوض المعارك ، والحرص على إحراز الانتصارات في ساحات القتال فقد وضعوا القوانين لمعاقبة المتقاعسين[3] ، وبالغوا في إصدار مثل هذه القوانين والتشدد في تطبيقها ، مما كان له أثار سلبية في بعض الأحيان ، فقد نتج عن ذلك حدوث أول سابقة خطيرة في تاريخ قرطاجة السياسي ، متمثلة في عقوبة الإعدام أو النفي التي أشتمل عليها القانون القرطاجي ، كعقوبة للقادة المهزومين[4] ، ظهرت أثارها

---

(1) أبو رونية ، الشاذلي ، محمد الطاهر ، المرجع السابق ص170.

(2) Picard, G , Vie et mort de Carthage , op . cit . P. 54.

(3) Ibid . P.56 .

(4) J, Alfred , Church . M .A , op . cit . P.13.

في تمرد بعض هؤلاء القادة على مجلس الحكومة في قرطاجة ، كنتيجة لرفض تلك القوانين القاسية ، فقد ذكر أن القائد "مالخوس" حُكم عليه بالنفي بعد هزيمته في سردينيا ، إلا أنه رفض الحكم ، وعاد بالجيش فحاصر قرطاجة واستولى على الحكم فيها[1] وهي سابقة فريدة من نوعها أبرزت الدور العسكري الذي بدأ يتنامى في المؤسسة السياسية للدولة ، وأظهر صراعاً جديداً على السلطة السياسية وإن كان بشكل غير مباشر ، وعلى الرغم من أن مالخوس قد أعدم فيما بعد من قبل مجلس الشيوخ ولم يحتفظ بالعرش[2] ، إلا أن ذلك يعود إلى أن مثل هذا الحدث كان غير مألوف ، وأن اعتلاء قائد عسكري العرش في قرطاجة أمر غير مستساغ ، حيث إن ذلك يعنى قيام حكم الفرد الذي لم يكن معروفاً لديهم ، وهذا ما يدعم عدم معرفتهم للنظام الملكي.

وعلى الرغم من أن تمرد ذلك القائد لم يكن له أثراً مباشراً على نظام الحكم في قرطاجة ، إلا أنه يعتبر أول تمرد تحدث عنه المؤرخون الكلاسيكيون ضد الجهاز الحاكم في المدينة ، ومع أننا لم نجد من خلال الكتابات أي حديث عن ثورة قد قامت فيها بعد ذلك حتى نهاية القرن الخامس ق.م تقريباً ، إلا أن الأمر لا يخلو من محاولة الاستيلاء على السلطة من قبل بعض القادة ، حيث نجد أن ماجون الذي خلف مالخوس في قيادة الجيش وأسس الأسرة الماجونيه ، قد حاول الاستيلاء على السلطة ولكن بشكل مختلف ، وذلك من خلال بسط نفوذه عن طريق السيطرة على مجلس الشيوخ ، وتمرير سياسة الأسرة الماجونية التي استمرت في قيادة الجيش طيلة ثلاثة أجيال ، على الرغم من أن وصولها إلى القيادة كان من اختيار القرطاجيين في بادئ الأمر[3] ، وهو ما يعد ثورة على المجلس

---

(1) Lancel , S, op . cit . P.157.

(2) Idem .

(3) إيمار ، أندريه ، تاريخ الحضارات العام ، مج2 ، روما وإمبراطوريتها ، منشورات عويدات ، بيروت 1964م ص46

الحاكم والقوانين السائدة ، ولكن بشكل غير مباشر ، بالالتفاف على الهيئة التشريعية وتوجيه القوانين وجهة معينة ومحددة ، وهذا ما يمكن أن نسميه ثورة غير معلنة إن جاز التعبير ، أي إذا اعتبرنا أن الثورة هي التغيير في المجتمع من خلال تغيير القوانين.

واستمرت الأسرة الماجونية تفرض سيطرتها في قرطاجة حتى نهاية الربع الأول من القرن الخامس ق.م ، حيث أدت هزيمة قرطاجة في معركة هيميرا 480 ق.م إلى تغييرات جذرية في حياة المجتمع القرطاجي بشكل خاص ، وفي منطقة حوض البحر المتوسط الغربي بشكل عام, فقد أدت تلك الهزيمة إلى زيادة التغلغل القرطاجي في الفضاء الإفريقي الذي كان قد بدأ منذ بداية القرن السادس ق.م على عهد مالخوس(1) كما تحدثنا المراجع التاريخية ، وهذا ترتب عليه الاستيلاء على المزيد من الأراضي وفرض السيطرة.

وما كاد القرن الخامس ق.م ينتهي حتى بدأت المرحلة الثانية من الصراع القرطاجي الإغريقي على يد "دينيسيوس الأول" ، حيث تعرض القرطاجيون لبعض الهزائم ، واستغل السكان الأفارقة هذا الوضع ، فانتفضوا ضدهم ، خاصة المتذمرون منهم ، والذين ضمت الدولة القرطاجية أراضيهم(2) ، فعملوا على استردادها والتخلص من الضرائب التي فرضت عليهم بحكم أنهم أصبحوا رعايا قرطاجيين ، فقد ورد الحديث عن ثورة قام بها السكان المحليون في بداية القرن الرابع 396 ق.م وصلت إلى حد حصارهم لقرطاجة ، وهي ما عُرفت تحت اسم: ثورة العبيد المغاربة(3) ، وقد جاءت هذه الثورة إثر ورود أنباء عن هزيمة الجيش القرطاجي في صقلية عام 396 ق.م ، كما يذكر أن ثورة أخرى قام بها السكان

(1) J , Alfred, Church , M . A , op . cit . P. 12 .

(2) محمد ، اكريم الجارح ، جدلية التداخل بين السلطة والدين في مستعمرة قرطاجة خلال الفترة الرومانية من أغسطس دمكرياتوس 27 ق.م 315 م. رسالة ماجستير لم تنشر ، جامعة الفاتح 2004 ف ص66

(3) Diodorus of Sicily , Book , X1V. 77

المحليون بعد تلك الثورة بعشرين سنة(1) ، هذا فضلاً عن محاولات بعض القـادة العسكريين الخروج عن طاعة السلطة المركزية التي وصلت إلى حد التحالف مع بعض الأمراء المحليين ، كمحاولة القائد "حنون" الاستغاثة بالملك الموريطاني ضد الحكومة في قرطاجة خلال القرن الرابع ق.م(2) ، كما يحدثنا المؤرخون بأن هناك تحالفاً قد تم بين الطاغية السيراكوزي أجاتوكليس وبعض الأمراء المحليين ، أمثال القائد "ليماس" الذي لعب دوراً مهماً في مساندته في الحرب ، وإطالة أمـدها(3) ، كما أن القائد الإغريقي قد تحالف مع بعض النوميديين ضد قرطاجة ، وهذا يعنـي أن الثورة متأصلة بين السكان ، وهي لا تحتاج إلا لمن يقودها ، والدليل على ذلك مساندتهم للغزاة الإغريق ضد القرطاجيين ، وعلى الرغم مـن أن الـبعض مـن الكتّاب الأجانب أمثال: "ستيفان جزيل" يـصورون هـؤلاء الثـوار بالمرتزقـة المستعدين لبيع ولائهم للمنتصرين في الحرب(4) ، ويدللون على ذلك بانقلابهم ضد أجاتوكليس ، إلا أن هذا غير صحيح ، حيث إن ثورتهم ضد القائد الإغريقي إنمـا جاءت نتيجة فرضه الضرائب والإمدادات اللازمة لحملته عليهم ، وبالتالي أصبح لا يطاق ، ووجد السكان أن الحكم القرطاجي أرحم من هذا القادم الجديد ، وهـذا ما دفعهم إلى الإنقلاب عليه.

ومن أهم الثورات الأخرى التي قام بها بعض القادة القرطاجيين أنفسهم كانت ثورة "أميلكار" 308 ق.م ، والتي حدثت أثنـاء حـصار أجـاتوكليس لقرطاجة ، حيث أراد هذا القائد العسكري الاستيلاء على الـسلطة وتنحيـة المجلس الحاكم ، مستغلاً في ذلك الظروف العصيبة التي تمر بها المدينـة(5)

---

(1) البقلوطي ، حبيب ، دور اللوبيين في حرب المرتزقة(241 – 238ق.م) ، المغيبون في تـاريخ تـونس الاجتماعي ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، بيت الحكمة ، تونس 1999م ص302.

(2) أبو رونية ، الشاذلي ، محمد الطاهر ، المرجع السابق ص186 .

(3) غانم ، محمد الصغير ، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر ، المرجع السابق ص239.

(4) Gsell ,S . op . cit . Tom 111 , P 40 _ 49.

(5) ديكريـه ، فرانـسوا ، قرطاجـة أو إمبراطوريـة البحـر ، المرجـع الـسابق ص81.
Lancel , S , op . cit . P.163 . –

التي كانت تحت التهديد الإغريقي ، فأعلن القيام بالثورة ، مستغلاً وجوده كقائد لبعض الفرق من الجيش القرطاجي ، فقام باستعراض تجمعاته العسكرية ، وطرد كل من لم يتعهد بحمايته ، حيث بقي معه حوالي 500 من القرطاجيين و 5000 من المرتزقة ، ثم أعلن نفسه ملكاً على قرطاجة ، وبدأ في تصفية خصومه من القرطاجيين الذين رفضوا الانصياع لأوامره ، فشق أنصاره طريقهم إلى مكان السوق ، إلا أن أنصار الحكومة أحاطوا بهم من جميع الجهات ، وأجبر أميلكار على الانسحاب ، حيث جرت المفاوضات بينه وبين الحكومة ، وتم الاتفاق على الهدنة ، وصدر عفو عام عن الثوار ، وسلموا أسلحتهم ، وفرضت عقوبة على" أميلكار" تقدر بعشرين "كيلة" من القمح ، لكن الحكومة عادت وقبضت عليه ، وتم إعدامه[1].

وعلى الرغم من قصر مدة الثورة ومحدودية انتشارها ، إلا أنه كان لها أثر مهم على قرطاجة نفسها ، حيث أبانت خلافات سياسية في الدولة ، وأوجدت الرافضين للسياسة القرطاجية حتى من بين أبناء الطبقة الحاكمة الذين يتحينون الفرص للنيل من الحكومة حتى في أحلك اللحظات.

وكانت ثورة الجند المأجور عام 241 ق.م – 238 ق.م – كما يسميها البعض – من أهم الثورات التي واجهتها الدولة على الرغم من أنها لم تعتبر ثورة إلا بعد أن أصبحت لوبية مائة بالمائة[2] ، فقدأستطاع الثوار محاصرة "عتيقة وهيبودياريتوس" وشنوا عدة هجمات على قرطاجة نفسها حتى كادت تسقط بين أيديهم مما أثار الرعب في حكومة قرطاجة نفسها[3] (الشكل10) ، وعلى الرغم من أن هذه الثورة قد جاءت بعد انتهاء الصراع القرطاجي الإغريقي ، إلا أننا إذا ما تتبعنا جذورها نجد أنها تمتد إلى فترة ذلك الصراع ،

---

(1) J , Alfred , Church . M. A , op . cit . P. 85 .

(2) البقلوطي ، حبيب ، المرجع السابق ص 283 .

(3) عقون ، محمد العربي ، من تداعيات الحرب البونية الأولى على قرطاج " ثورة جندها المأجور (241 – 237ق.م)" مجلة العلوم الإنسانية ، عدد21 ، جانفي 2004م ص203 .

حيث إن هذه الثورة لم تكن في حقيقتها مجرد ثورة جنود أرادوا الحصول على مرتباتهم ، وإنما كانت في الواقع ثورة محلية بأتم معنى الكلمة ، أراد منها السكان المحليون التخلص من الحكم القرطاجي[1] ، وقد كان من أهم قادة هذه الثورة: شخص محلّي يدعى "مطوس" ، ذلك القائد الذي استطاع تحويل تلك الثورة من ثورة جند مرتزقة يطالبون بحقوقهم ، إلى ثورة محلية بفضل التأييد الذي لاقته ، فقد كانت الغالبية العظمى من هؤلاء الجند من الأفارقة على مختلف انتماءاتهم ، وكانت المساهمة الشعبية كبيرة جداً فيها[2] ، سواء من حيث توفير الإمدادات العسكرية من أسلحة وجنود ، أو من حيث تموين أولئك الثائرين من قبل السكان المحليين ، فوصل الأمر إلى تبرع النساء بحليهن لدعمها ، حتى استطاع القائد "مطوس" دفع مرتبات الجند لضمان استمرارهم في الثورة ومساندتهم له ، وهذا ما يبين لنا مدى التذمر الذي كان منتشراً بين السكان من جراء فرض السيطرة القرطاجية التي حدثت إبان القرن الخامس ق.م ، وما نتج عن هذه السيطرة من انتزاع للأراضي من أصحابها الأصليين ، وفرض للضرائب على سكان المدن ، خاصة الموسرين منهم ، مما جعلهم يتوقون للتخلص من الحكم القرطاجي ، فأصبحوا يتحينون الفرص لذلك[3] ، فتحالف بعضهم مع أجاتوكليس ، وانتصروا بعد ذلك لثورة الجند عندما نشبت عام241 ق.م ، وعلى الرغم من أن القرطاجيين استطاعوا القضاء على هذه الثورة عام 238 ق.م بعد أن تم القبض على قائدها ، إلا أنها تعتبر أعنف الثورات التي واجهت الدولة القرطاجية ، وبينت الآثار التي ترتبت على فرض السيطرة القرطاجية على الفضاء الأفريقي ، نتيجة حرمانها من السيطرة البحرية علىالحوض الغربي للبحر المتوسط.

---

(1) البقلوطي ، حبيب ، المرجع السابق ص 299 .

(2) محمد ، أكريم الجارح ، المرجع السابق ص67 .

(3) عزونة ، جلول ، دراسات حضاريه عن تونس ، دار الإتحاف للنشر ، تونس 2001 م ص8 .

من هنا ومما تقدم يتبين لنا أن التمردات العسكرية والثورات التي حدثت في قرطاجة لم تقتصر على فئة معينة أو طبقة إجتماعية محددة ، وإنما شملت شرائح مختلفة من المجتمع البوني ، كان منها القادة العسكريون ، وأبناء المجتمع اللـوبي الطامحون إلى التخلص من السيطرة القرطاجية ، وحتى الساسة الـذين حـاولوا فرض سيطرتهم على الحكومة ، وقد جاءت هذه الاقـرازات نتيجـة الظـروف الخارجية التي تعرضت لها قرطاجة ، ساعدت عليها الظروف الخارجية ، فكـان لها انعكاس على الأوضاع الداخلية في الدولة ، مما أفسح المجال للقيام بمثل هـذه الحركات ، وكان على رأس تلك الظروف الصراع القرطاجي الإغريقي.

طبقة ملاك الأراضي

كان نظام الحكم في قرطاجة حكم أقلية بما للكلمة من معنى حيث تسيطر فئة قليلة على مقاليد السلطة في الدولة ممثلة في أصحاب رؤوس الأموال ، وكان هؤلاء يحتلون مركز الصدارة فيها ، ومنهم يتكون مجلس الشيوخ " الهيئة التشريعية" ، وقد نص الدستور القرطاجي على ذلك حيث أعتبر أن الثروة هي المعيار الذي أعتمده القرطاجيون في تولي وظائف الدولة المهمة كعضوية مجلس الشيوخ[1] مثلا.فاقتصرت عضوية ذلك المجلس على الطبقة الأرستقراطية التي سيطر عليها التجار حتى نهاية القرن السادس وبداية القرن الخامس ق.م تقريبا[2] ، حيث منحتهم ثرواتهم هذا الحق دون غيرهم من أبناء الشعب القرطاجي ، فكان منهم المشرعين والقضاة ومنهم القادة العسكريون والوزراء وبالتالي كانوا يسيطرون على مقاليد السلطة في الدولة ، ولكن مع بداية القرن الخامس ق.م حدثت تطورات مهمة على الساحة الدولية نتيجة ظهور الإغريق في غرب البحر المتوسط بشكل عام وفي جزيرة صقلية بشكل خاص ، فقد نتج عن الضغط الإغريقي على المستوطنات الفينيقية في جزيرة صقلية وتعرض قرطاجة لبعض الهزائم العسكرية ، نزوح عدد كبير من الفينيقيين من تلك الجزيرة إلى شمال أفريقيا[3] التي كانت تمثل أقرب نقطة إليهم والمكان الآمن لاموالهم التي فرّوا بها معهم. هؤلاء النازحين مضافاً إليهم عدد من الذين جاءوا من المستوطنات الأخرى وبعض القادمين من الشرق لم تستطع مدينة قرطاجة استيعابهم وكانت فرص استثمار أموالهم محدودة فقد أقتصر النشاط الاقتصادي على التجارة التي كان يسيطر عليها بعض المتنفذين هناك ، ومن الجدير بالذكر أن هذه الحركة قد ساعدت على عملية التوسع القرطاجي في الفضاء

---

(1) Lancel ,S , op . cit . P.165.

(2) الهادي ، أحمد عبدالله ، المرجع السابق ص69.

(3) أبورونية ، الشاذلي ، المرجع السابق ص196.

الإفريقي مما اتاح لهؤلاء القادمين الجدد فرصة استثمار أموالهم في أنشطة أخرى غير التجارة "كالزراعة مثلاً" مع تحول الدولة نحو اليابسة ، وفرض سيطرتها على الأراضي الزراعية الخصبة في الأقاليم الواقعة إلى الجنوب من مدينة قرطاجة بالوطن القبلي وسهلي مجردة ومليان[1] فاتجهوا إلى امتلاك الأرض وبدأت الزراعة تحتل مكانة مرموقة في اقتصاد الدولة على حساب التجارة التي أخذت تتراجع أهميتها نتيجة المنافسة الإغريقية في البحر فتحول عدد من كبار التجار في المدينة إلى النشاط الجديد[2].

استطاعت قرطاجة الإستيلاء على أخصب الأراضي الزراعية في منطقة رأس بون بالوطن القبلي وكذلك الأراضي المحيطة ببعض المدن البونية الأخرى وسلمتها لمجموعة من مواطنيها الذين أصبحوا الملاك الجدد لتلك الأراضي[3] فعملوا على استغلالها بشكل جيد وقاموا بزراعتها مستخدمين في ذلك العبيد وصغار الفلاحين فحصلوا على أجود المحاصيل الزراعية التي لعبت دوراً مهماً في سد حاجة السكان الغذائية مما حقق الاكتفاء الذاتي ، وتم تصدير الفائض من تلك الغلال إلى الخارج[4] حتى أصبحت تلك الأراضي مصدر ثراء لاصحابها منحتهم حق احتلال مراكز مرموقة في الهرم السياسي للدولة نتيجة الدور الذي لعبوه في تحرير الاقتصاد القرطاجي من التهديد الإغريقي[5] ، وقد نتج عن ذلك بروز قوة جديدة على الساحة السياسية في الدولة عُرفت بطبقة ملاك الأراضي وأصبح الطريق مفتوحا أمام أعضائها لعضوية مجلس الشيوخ والوصول إلى سدة الحكم وبالتالي وجود قوة منافسة لقوة التجار داخل ذلك المجلس [6] ،

---

(1) المرجع نفسه ص198.

(2) غانم ، محمد الصغير ، المملكة النوميدية والحضارة البونية ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر 1998م ص44.

(3) Warmington, B . H , op . cit . P.59 _ 62 .

(4) Picard, G.and Colette Charles , Daily life in Carthage , op . cit. P. 84 .

(5) صفر ، أحمد ، المرجع السابق ص106.

(6) البقلوطي ، حبيب ، المرجع السابق ص285.

وبازدياد اهتمام الدولة بالزراعة ازداد أعضاء هذه الطبقة وتنامى دورهم في الحياة السياسية وأصبحوا يشكلون الغالبية في مجلس الشيوخ وبذا سيطروا على مقاليد السلطة وتقلص نفوذ التجار ، ولتنفذ أعضاء هذه الطبقة لم يستطع رجال السياسة في قرطاجة فرض الضرائب على ممتلكاتهم ، ولذلك نرى "حنبعل العظيم" قد انتقد نظام جباية الضريبة في الدولة القرطاجية الذي لا يمس الثراء الخاص لهذه الطبقة عندما أصبح شفطاً عام196 ق.م[1] وفي هذا دليل على مدى قوة وسيطرة أعضائها على المجلس التشريعي ، وقد جاء ذلك نتيجة امتلاكهم لقوة اقتصادية هائلة وتحكمهم في المخزون الغذائي للدولة وفي بعض السلع التجارية كالحبوب وزيت الزيتون التي أصبحت تنتجها أراضيهم بدلاً من استيرادها من الخارج ، وتعتبر محكمة المائة التي كانت تختص بمراقبة القادة العسكريين من مظاهر سيطرة تلك الطبقة ، حيث أن معظم القادة العسكريين كانوا من كبار التجار ذوي المصالح في بادئي الأمر أمثال الأسرة الماجونية .

ولقد أدى ظهور هذه الطبقة ودخولها المعترك السياسي إلى خلق نوع من التوازن داخل مجلس الشيوخ "مركز صنع القرار في الدولة" فانقسمت طبقة الارستقراطية إلى قسمين نافست كل منهما الأخرى داخله ، مما ساهم في إبراز أهمية مجلس الشعب الذي زادت صلاحياته عقب القرن الخامس ق.م بشكل ملحوظ بفضل تلك المنافسة حيث أصبح كل فريق يسعى لاستمالته نحوه وكسب وده ، [2] وقد ساهم التنافس بين التجار وملاك الأراضي في التحول التدريجي نحو الحكم الجمهوري والابتعاد عن سيطرة القلة على السلطة إلى حدٍ ما. ، وبظهور هذه الطبقة تم تقليص نفوذ القادة العسكريين ومراقبة تصرفاتهم. وفي المجمل العام فأن المنافسة الإغريقية قد ساهمت بشكل أو بآخر في تطور نظام الحكم في قرطاجة من خلال ما نتج عنها من تبدلات في الحياة السياسية.

---

(1) Lancel ,S , op . cit . P. 160 .

(2) Ibid . P. 168 .

التأثيرات العسكرية

جاء الفينيقيون إلى منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط على هيئة تجار بسطاء يتجولون بين شواطئه وخلجانه ، عارضين بضائع جاءوا بها من الشرق ، وبضائع حصلوا عليها من البلدان الأخرى التي مروا بها في طريقهم للبحث عن سلع جديدة من البلدان التي تصل إليها مراكبهم ، وكان من أهم هذه البضائع: المعادن التي شكلت الهاجس الأول للعالم الشرقي ، والتي تكفل التجار الفينيقيون بجلبها إليه من مصادرها في الغرب ، وبذلك أسس الفينيقيون المراكز التجارية التي كانت اللبنة الأولى لاستيطانهم في المنطقة ، وقد استطاع هؤلاء التجار أن يخلقوا الانسجام التام مع السكان المحلين بفضل الأمانة والصدق الذي تمتعوا به[1] ، مما أتاح لهم فرصة الاستقرار والاستيطان الآمن في المناطق التي وصلوا إليها.

وقد أشار إلى ذلك المؤرخ الإغريقي هيريدوتس في معرض حديثه عن التجارة الفينيقية ، والتي وصفها بالتجارة الصامتة حيث يقول: "عندما كان يأتي التجار الفينيقيون إلى السواحل الليبية يفرغون بضائعهم على الساحل ، ويعودون إلى مراكبهم ويشعلون الدخان فيأتي السكان المحليون إلى الشاطئ ، ويضعون الذهب إلى جانب البضاعة ، ويأتي القرطاجيون فإذا وجدوا أن الذهب يساوي قيمة البضاعة أخذوه وانصرفوا ، وإذا وجدوه غير مساوٍ له عادوا وزاد المحليون الذهب حتى يرضى الطرفان ، ولا يظلم أحد منهما الآخر" [2] ، هذا الأسلوب منح الثقة للسكان المحليين في القادمين الجدد ، مما ساعد على التعايش السلمي بين الطرفين ، وأعطى الفينيقيين فرصة الاستيطان الجديد دونما حاجة لاستخدام القوة لتثبيت كيانهم في معظم أماكن استقرارهم الجديدة.

---

(1) بوتسيروب ، آليكس ، المرجع السابق ص 43

(2) هيرودوت ، الكتاب الرابع من تاريخ هيريدوتس"الكتاب السكيتي والكتاب الليبي" ، نقله عن الإغريقية: محمد المبروك الذويب ، جامعة قاريونس ، بنغازي ، 2002ف ص 133132 ـ

كانت قرطاجة إحدى المراكز التي أسسها الفينيقيون على السواحل الجنوبية للبحر المتوسط بشكل سلمي ، وحتى بعد أن قُدر لها أن تكون زعيمة للمراكز الفينيقية في المنطقة ، وأن تكون حاضرة لإمبراطورية فينيقية شملت معظم أجزاء الحوض الغربي للبحر المتوسط ، لم تكن في الواقع في حاجة إلى قوات عسكرية حتى نهاية القرن السابع ق.م وبداية القرن السادس لسببين رئيسين هما:

الأوّل : عدم وجود قوة منافسة لها في المنطقة.

الثّاني : تبعية قرطاجة للمدينة الأم "صور" في الشرق حتى انهيار الأخيرة أمام الغزو البابلي.

ولذلك لم تكن قرطاجة تحتاج لقوة عسكرية بالصورة التي ظهرت عليها فيما بعد ، ومع ذلك فقد كانت هناك مجموعات مدنية صغيرة ترسل برفقة السفن التجارية لحمايتها من أعمال القرصنة[1] التي لم تكن تخلو منها المنطقة في غالب الأحيان ، وقد كانت هذه المجموعات أو الميلشيات تتكون من أصحاب البضائع ، أو من يكلفونهم بالقيام بهذه المهمة ، وبذلك فإن مهمتها كانت عبارة عن الحراسة لا أكثر ، ولا يحملون الصبغة العسكرية.

شكلت هذه الميلشيات النواة الأولى لما عُرف بعد ذلك بالجيش القرطاجي الكبير ، فقد تحولت هذه الجماعات إلى كتيبة تضم أبناء أعرق العائلات القرطاجية ، وعلى الرغم من أنها لم تمتهن الجندية ، إلا أنها كانت تلتئم عند ظهور الخطر ، وعند ظهور الحاجة إليها ، - خاصة مع تزايد الأخطار على السفن التجارية بازدياد السفن الغريبة في المنطقة ، وكان جلها من الإغريق - فقد أصبح هؤلاء يشكلون أعضاء ما عُرف بالكتيبة المقدسة فيما بعد ، والتي وصل عدد أعضائها إلى حوالي 2500 فردٍ[2] ، وأصبحوا جاهزين لرد الأخطار عن التجارة القرطاجية في كافة أنحاء المنطقة ، وقد

(1) Wise , Terence , op . cit . P.7

(2) Idem .

تجاوز دورهم حماية السفن التجارية في البحر فيما بعد. ومن المرجح أن هؤلاء هم الذين قادهم مالخوس في صقلية وجزيرة سردينيا في بداية القرن السادس ق.م.

لم يكن للقرطاجيين قوة عسكرية قبل نهاية القرن السابع ق.م ، أو على الأقل لم يتحدث عنها المؤرخون ، وفي ذلك دلالة على عدم أهميتها في حياة الفينيقيين ، ولم يكن لهم جيش منظم يدافع عن مصالحهم ، ويرد الأخطار عن الدولة القرطاجية ، أو حتى عن الوجود الفينيقي في المنطقة بشكل عام ، حيث لم تكن تلك الأخطار موجودة في الأصل ، فقد اقتصر وجودهم على بعض المراكز الساحلية التي لا تتعدى أسوار تلك المدن ، هذا فضلاً عن التفاهم الذي كان سائداً في علاقاتهم مع السكان المحليين الذين جاءوا للعمل في الموانئ القرطاجية ، وتبادلوا معهم السلع المحلية[1] مقابل الذهب والفضة.

أما الحديث عن دفع القرطاجيين لمبلغ من المال في كل سنة كإيجار لموقع المدينة ، والذي قد يكون هاجس التخلص منه دافعاً لإنشاء جيش قرطاجي ، فإن هذا لا يعدو كونه أسطورة من أساطير الإغريق ، حيث لا يوجد دليل يؤكد ذلك ، كما أن ما يفنده هو عدم ذكر مثل هذه الأجرة في المستوطنات الفينيقية الأخرى ، كعتيقة مثلاً ، والتي سبق تأسيسها تأسيس قرطاجة ، كما أنها لا تبعد عنها كثيراً ، فهل اقتصر الأمر على قرطاجة فقط ؟ ولماذا ؟

هذا فضلا عن أن السكان المحليين لم يكونوا منظمين سياسياً إلا بعد قدوم الفينيقيين إليهم ، وبالتالي لم تكن هناك قوة محلية منظمة لها جيشها تشكل خطراً على الفينيقيين[2].

بدأ القرطاجيون في الاهتمام بالقوة العسكرية وإنشاء جيش منظم مع بداية

---

(1) بوتسيروب ، اليكس ، المرجع السابق ص43.

(2) Griffthe , G .T , The Mercenaries of The Hellenistic World , Ares Publishers , INC . Chicago Mcmlxxv 1935 , P.207.

القرن السادس ق.م ، وكانت قرطاجة تعتمد على أبنائها في حماية مصالحها ولم تفكر في إنشاء جيش محترف إلا على يد أحد النبلاء المدعو "ماجون" الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للجيش القرطاجي ، حيث أصبحت قرطاجة على عهده تعتمد على جيوش من الرعايا اللوبيين إلى جانب المرتزقة من أوربا في صراعها ضد الإغريق[1] ، وما هزيمة الأسطول القرطاجي في معركة هيميرا عام 480 ق.م إلا دليلاً على قلة خبرة القرطاجيين بفنون القتال؛ لأنهم لم يكونوا في يوم من الأيام رجال حرب ، ولم تكن لهم جيوش مدربة تدريباً عسكرياً راقياً ، وإنما كانوا بحارة وتجاراً يحبون السلام ويكرهون الحرب[2].

أحس القرطاجيون بالخطر يلتف حولهم مع بداية الاستيطان الإغريقي في صقلية ، خاصة مع محاولة الإغريق إخراجهم منها ، وأدركوا أنه لابد لهم من مواجهة هذا الخطر ، وهذا لا يتأتي إلا بإيجاد قوة عسكرية ضاربة[3] ، وزاد من ترسيخ ذلك لديهم هزيمتهم في هيميرا ، ومن هنا بدأت قرطاجة تُولي الجانب العسكري أهمية خاصة حتى تحولت إلى دولة حربية من الطراز الأول ، امتلكت أقوى الجيوش والأساطيل العسكرية في المنطقة ، فأصبح لها جيش نظامي تساعده فرق من المرتزقة وفرق من الحلفاء يتم جلبها أثناء الأزمات.

وعلى الرغم من أن كثيراً من المؤرخين يعتبرون أن قرطاجة كانت تعتمد على المرتزقة في جيشها ، ويعللون ذلك بقلة أعداد القرطاجيين ، وانصرافهم إلى تجارتهم وزراعتهم ، إلا أن هذا لا يمكن القبول به ، حيث إن قرطاجة كانت تجند اللوبيين الواقعين تحت نفوذها والصقليين والسردينيين كذلك ، وحتى بعض الأسبان الخاضعين لسيطرتها المباشرة ، فالذين يخضعون لتلك السيطرة لا يمكن اعتبارهم من المرتزقة ، بل هم رعايا

---

(1) Idem .

(2) Picard , G , Le Monde de Carthage , op . cit .P.32 .

(3) Griffthe , G . T , op . cit . P. 208 .

للدولة ، فهم يجندون لاداء الواجب ، ولا يلتحقون بالجيش مقابل مبلغ من المال ، وكانت تفرض عليهم الضرائب ، وتتكفل قرطاجة بحمايتهم[1] ، وكثير منهم كانوا ممن جاءوا إلى قرطاجة واستقروا فيها ، من اللوبيين وغيرهم باحثين عن فرص عمل ، سواء في الموانئ القرطاجية ، أو كوسطاء تجاريين ، أو من أصحاب الحرف الأخرى ، ويوضح ذلك ما ذكره "تيمايوس الطاورميني" من أن "حنبعل وحنون" أثناء حملتهما عام 406 ق.م على صقلية قد قاما بنفسيهما يجوبان لوبيا لتجنيد من يجب تجنيده ممن هم قادرون على حمل السلاح من لوبيين وفينيقيين وقرطاجيين[2] ، وهذا ما يعني إدخال العنصر اللوبي ضمن الرعايا القرطاجيين و نفى صفة المرتزقة عنهم ، وإلى جانب هؤلاء كان هناك المرتزقة من بلاد الغال ومن جنوب إيطاليا ، وحتى من بلاد الإغريق نفسها.

أما الفرسان النوميديون والقبائل الأخرى الخارجة عن النفوذ القرطاجي ، فهؤلاء كانوا يأتون الحروب وفق اتفاقات مع مشائخهم[3] ، تحت قيادة ضباط من بينهم تحت إمرة قرطاجية ، وهؤلاء يعتبرون من الحلفاء للدولة القرطاجية ، وإذا كانوا غير ذلك فعلينا أن نعتبر "ماسنيسا" القائد النوميدي هو أحد المرتزقة عندما حارب قرطاجة إلى جانب الرومان[4].

وجدت قرطاجة نفسها أمام الخطر الإغريقي الزاحف مضطرة للدفاع عن نفسها وعن مصالحها في غرب البحر المتوسط ، وتعزز لها ذلك بعد محاولة الإغريق طردها من مناطق نفوذها في صقلية حيث هُزمت في مطلع القرن الخامس ق.م ، وبذلك شعرت بأنه لابد لها من قوة عسكرية تكون درعاً واقيا لها ولمصالحها ، ولذلك بدأت تعمل على إنشاء تلك القوة ،

---

(1) وارمنحتون ، ب. ه ، العصر القرطاجي ، المرجع السابق ص457

(2) البلقوطي ، حبيب ، المرجع السابق ص289

(3) إيمار ، أندريه ، المرجع السابق ص44

(4) المرجع نفسه.

فجندت رعاياها وكونت الأحلاف وجلبت المرتزقة حتى أصبح لهـا جيـشا يحسب له حسابه في المنطقة بل أقواها.

إذاً وبعد هزيمة هيميرا ، وتجدد الصراع الإغريقي ، تحولت قرطاجة إلى دولة عسكرية باتم معنى الكلمة ، فصنعت السفن الحربية وأنـشأت لهـا الموانئ ، وأصبح لها جيش محترف ، ويدل على ذلك تلك الإسطبلات التـي وجدت في أسوار قرطاجة ، وكذلك أماكن الفيلة والجنود ، مما يـدل علـى وجود أناس تحت السلاح بشكل دائم تقتضيهم الضرورة ، وبالتالي لابد مـن توفير المأوى لهم[1] ، كما اضطرت قرطاجة إلى البحث عن حلفـاء لهـا ، كالأتروسك والنوميديين الذين شكلوا سلاحاً مهما في الجـيش القرطـاجي ، وهو سلاح الفرسان الذي يعتمد على الخيول خفيفة الحركة.

وبدأ الاهتمام بصناعة الأسلحة العسكرية ، وتم تحسين بعض الدروع ، وأخذوا صناعة الخوذات الواقية للرأس عن الإغريق ، وركزوا على استخدام العجلات الحربية حتى القرن الثالث ق.م ، كما أنهم عرفوا سلاح الفيلة عـن الإغريق ، وكان أول من استخدمه الملك الإغريقي "بيرهوس" في صـقلية[2] ضد القرطاجيين خلال القرن الثالث ق.م بعد وفاة أجاتوكليس ، وقد لعب الفيل دوراً مهماً في حياتهم العسكرية فيما بعد ، واعتنوا به عناية فائقة ، حتـى إن قرطاجة كانت قد أنشأت مزارع خاصة بالفيلة[3] ، كما أنهم طوروا صـناعة السفن ، وجعلوها تختلف عن السفن التجارية ، حيث تكون مرتفعة من الخلف ، وذات رأس مدبب من الأمام يستطيع تحطيم سفينة العدو ، وابتكروا ما عُرف بالكبش الواقع في مقدمة السفينة لتحطيم السفن المعادية [4].

---

(1) إيمار ، أندرية ، المرجع السابق ص45

(2) Picard ,G , and Colette Charles , op . cit . P.200.

(3) خلايلة ، إبراهيم خليل ، مصادر البحث عن الحضارة الفينيقية البونية فـي تـونس ، رسـالة شـهادة الدراسات المعمقة لم تنشر ، جامعة تونس الأولى 1995 م ص118

(4) بورتر ، هارفي ، المرجع السابق ص106 .

لقد استطاعت قرطاجة أن تكون جيشاً على أعلى مستوى من التدريب نتيجة للضغوط الإغريقية المستمرة ، فما تكاد الأمور تهدأ حتى يظهر طاغية جديد يجدد الحرب ضد الوجود الفينيقي في صقلية ، بل وضد قرطاجة نفسها ، ونتيجة لذلك كونت قرطاجة جيشاً يمكن أن نسميه جيشاً أممياً جاهزاً ومدرباً ، فقد شكل اللوبيون فرق المشاة فيه ، وشكل النوميديون الفرسان ، بينما جاء أمهر الرماة من جزر البليار ، وجاء الجنود الشجعان من كل من أسبانيا وبعض المدن الإيطالية ، وضباط محترفون من اليونان نفسها ، وكل هؤلاء كانوا تحت قيادة أمهر القادة العسكريين القرطاجيين[1] ، مما شكل خليطاً عسكرياً تثير تركيبته ومهارته الشكوك في الانتصارات اليونانية التي يوردها الكتاب الإغريق ، حتى نجد أنهم يلجأون إلى إرجاع هزيمة الجيش القرطاجي إلى مرض الطاعون في كل مرة ، الذي يبدو أنه لا يفارق الحملات القرطاجية دون غيرها حسب شهادات أولئك الكتاب!.

ومن هنا ومن خلال تتبعنا للوجود الفينيقي في المنطقة نجد أنهم كانوا تجاراً مسالمين ، ولم يكونوا قراصنة أو جنوداً محاربين ، ولم يعرفوا الجيوش العسكرية ولا الأساطيل الحربية إلا مجبرين في ظل المنافسة الإغريقية التي فرضت عليهم هذا الأسلوب من الحياة للدفاع عن أنفسهم ، فكانوا خير من امتلك الأساطيل ، ونظم الجيوش ، وخاض الحروب.

---

(1) Rollin , M , op . cit . P.104 .

المبحث الثاني

التأثيرات الاقتصادية

* التوسع القرطاجي في منطقة المغرب القديم
* الزراعة
* الصناعة
* التجارة البرية
* الضرائب

التوسع القرطاجي في منطقة المغرب القديم

يعتبر أغلب المؤرخين أن معركة هيميرا عام 480 ق.م التي هزم فيها الجيش القرطاجي أمام الإغريق في صقلية تمثل منعطفا حقيقيا في سياسة قرطاجة في الحوض الغربي للبحر المتوسط بشكل عام ، فتحولت من إمبراطورية بحرية إلى إمبراطورية برية ، وتحول سكانها من فينيقيين خالصين إلى خليط من الأفارقة والفينيقيين ، فظهر ما يسمى بالحضارة البونية بعد أن جابت سفنهم البحر المتوسط ، وسيطرت على طرق الملاحة فيه ، وفرضت هيمنتها التجارية عليه ، فتحالفت مع الأتروسك وهزمت إغريق مساليا في جزيرة كورسيكا ، وعقدت المعاهدات مع الرومان ، وكانت لها اليد الطولى في التجارة البحرية دون منازع أو منافس ، ولم تلتفت إلى الفضاء الأفريقي ، ولم تفكر في بسط سيطرتها على الأراضي المغاربية إلاّ بقدر ما يحتاجه سكان مدينتها من المواد الغذائية وبعض السلع المحلية ، بالإضافة إلى ما كانت تستورده من صقلية وسردينيا من هذه المواد ، وبذلك فقد اقتصر وجودها البري على ما عرَفته المصادر بالظهير الزراعي لمدينة قرطاجة ، واستمرت على هذه الحالة طيلة ثلاثة قرون ونصف تقريبا[1] ، أي منذ تأسيسها وحتى منتصف القرن الخامس ق.م ، فقد كانت منشغلة بتجارتها البحرية عاملة على تقوية نفوذها في جنوب شبه الجزيرة الإيبيرية وجزيرة سردينيا وجزر البليار ، وإنشاء المراكز الساحلية على الساحل الأفريقي دون أن يخطر ببالها التوغل في الداخل ، وعلى الرغم من حاجتها إلى البضائع الإفريقية والأحجار الكريمة والعاج وغيرها من البضائع ، وتصريف بضائعها بين السكان ، إلا أنها تركت هذه التجارة بين أيدي الوسطاء والموزعين الأفارقة ، ولم يمارسها إلا القليل من القرطاجيين ، واكتفوا

(1) برايس ، ف.ن ، القرطاجيون وإمبراطوريتهم البحرية ، تاريخ العالم ، مج2 ، ت: عبد الفتاح صدقي ، إدارة الترجمة بإدارة المعارف العمومية ، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة مصر ، د. ت ص262

بالإشراف عليها فقط[1] ، هكذا كانت قرطاجة حتى بداية القرن الخامس ق م ، حتى سميت – عن جدارة – بالإمبراطورية البحرية.

أخذ القرطاجيون يهتمون بالفضاء المغاربي قبل القرن الخـــامس ق.م على ما يبدو ، وقد أدركوا ذلك مع تزايد النشاط الإغريقي في غرب البحـــر المتوسط ، وتزايد تأسيس المستوطنات الإغريقية حيث سيطروا علي الجنوب الإيطالي ومعظم أجزاء صقلية ووصلوا جنوب فرنسا ، وأسسوا "مــساليا" ، وبدأوا ينافسون القرطاجيين في غرب البحر المتوسط ويؤكد ذلك ما يــذكره بعض المؤرخين من أن مالخوس ترك قتال بعض القبائل الليبية عندما عبــر إلى صقلية لقتال الإغريق هناك[2] ، وإن صح ذلك فإن قرطاجة كانت تسعى لتوسيع ممتلكاتها بضمها لمزيد من الأراضي لظهيرها الزراعي على حساب السكان المحليين.

وبدأ القرطاجيون في التحول فعليا نحو الفضاء المغاربي بعد هزيمتهم في البحر وتقلص نفوذهم في جزيرة صقلية ، وشعور بعض أصحاب رؤوس الأموال الفينيقيين بعدم الأمان على أموالهم في الجزيرة[3]. ومن هنا أصــبح القرطاجيون يفكرون جديا في الانصراف التام نحو الأراضـــي المغاربيـــة ، ومحاولة تثبيت أقدامهم على اليابسة ، والضغط على الحلقة الأضـــعف فـــي المنطقة ، وهي القبائل الليبية ، وأدركوا أنه يجب علـــيهم تنويـــع مـــصادر اقتصادهم ، وعدم الاعتماد على البحر وتجارته التـــي أصـــبحت محفوفـــة بالمخاطر ، وشعروا بأن البحر لم يعد ملكهم وحدهم ، وأن هناك من ينافسهم فيه ، بل ويستطيع هزيمتهم ، ويهدد مصدر ثرائهم وقوتهم ، لـــذلك وجـــب عليهم البحث عن البديل للركون إليه وقت الحاجة ، ولاستخدامه في تقويـــة

---

(1) Picard, G .and Colette Charles , op . cit . P.217 .

(2) J , Alfred ,Church .M .A , op . cit . P.14 .

(3) Picard , G . and Colette Charles , op . cit . P.84 .

أساطيلهم واستعادة هيمنتهم البحرية من جديد ، فكان أن بدأوا التوجه نحـــو الأراضي الأفريقية فيما يعرف الآن بمنطقة المغرب العربي[1].

وعمل القرطاجيون على التوسع في القارة الأفريقية بتدعيم مراكــزهم التجارية على الساحل الشمالي فيها وإنشاء مراكز جديدة ، حتى أصبحت تلك المراكز متراصة لا يبعد بعضها عن البعض الآخر أكثر من أربعـــين كيلـــو متراً تقريبا[2] ، فبسطت قرطاجة نفوذها على المراكز الفينيقية الأخرى التي كانت تتمتع بالاستقلال في السابق ، وأحكمت سيطرتها عليهـــا ، فاتخـــذت حيالها مجموعة من الإجراءات ، كمنعها من الاتجار مع الخـــارج إلا عـــن طريق قرطاجة نفسها ، ومنع الدول الأخرى من الاتصال بها ، وأبرمت في ذلك المعاهدات " معاهدة روما الثانية 348 ق.م" ، ومنعتها من إنشاء جيوش خاصة بها ، وتكفلت هي بحماية تلك المراكز والمدن ، بل وجندت من أبنائها في الجيش القرطاجي وفرضت عليها الضرائب[3] ، وبذلك أصـــبحت تلـــك المدن ضمن الفلك القرطاجي بما في ذلك الأقاليم التابعة لها ، كما أنها مدت نفوذها المباشر في عمق الأراضي المحيطة بقرطاجة باتجاه الجنوب والغرب حتى وصلت إلى شمال مدينة "مكثر" كما تبين نقيشة الملك النوميدي "مكبسا" التي عثر عليها شمال المدينة ، والتي تبين الحدود التي وصلت إليها السيطرة القرطاجية [4] ، ثم استولت على منطقة رأس بون ذات الأراضي الزراعيـــة الخصبة ، كما شملت سيطرتهم مدينة سيكا"cicca" مدينة الكاف الحالية التي سميت مدينة "حنبعل" فيما بعد[5] ، والتي اشتهرت بقيام ثورة الجند المرتزقة عام241 ق.م ، وبذا فإنهم حاولوا بسط سيطرتهم على كل الأراضـــي التـــي

(1) غانم ، محمد الصغير ، المملكة النوميدية والحضارة البونية ، المرجع السابق ص43

(2) ديكريه ، فرانسوا ، قرطاجة أو إمبراطورية البحر ، المرجع السابق ص118

(3) البقلوطي ، حبيب ، المرجع السابق ص284.

(4) أبو رونية ، الشاذلي ، المرجع السابق ص204

(5) عقون ، محمد العربي ، المرجع السابق ص200.

استطاعوا الوصول إليها ، خاصة في شمال تونس الحالية ، وشمال شرق الجزائر (الشكل 11) ، ومنحت تلك الأراضي لنبلائها وأرستقراطيتها التي حرمت من امتيازاتها في صقلية نتيجة تجدد الصراع بشكل مستمر مع الإغريق هناك ، ويؤكد استيلاء القرطاجيين على أجزاء من الأراضي النوميدية " شرق الجزائر الحالية " تلك المطالبات التي نادى بها "مسنسن" ، وتذرع بها عندما وقف إلى جانب الرومان في الحرب البونية الثانية ، مدعيا أنه يحارب من أجل حق شرعي يتمثل في استعادة أملاك أجداده التي استولت عليها قرطاجة في فترات سابقة [1].

وبذلك امتدت السيطرة القرطاجية المباشرة من إقليم المدن الثلاث شرقا "إقليم الأمبوري" حتى مدينة هيبوريجوس " عنابة الحالية" غربا ، حيث يذكر أن أحد قادة أجاتوكليس ويدعي أومال استطاع أثناء غزو الأول لقرطاجة الاستيلاء على مدينتي هيبو أكرا " بنزرت " وهيبو ريجوس "عنابة" [2] ، وهذا يعني أن تلك المدينة كانت تقع ضمن ممتلكات الدولة القرطاجية المباشرة.

ومع نهاية القرن الخامس ق.م بلغ التغلغل القرطاجي في الفضاء المغاربي مداه ، وأصبحت لقرطاجة السيادة في المنطقة ، وامتد نفوذها من خليج سرت الكبرى شرقا إلى مدينة ليكسوس على الساحل الغربي لأفريقيا غربا ، حتى قيل: إن تلك المراكز قد بلغت ثلاثمائة مركز [3] ، أما جنوبا فإن مقدار السيطرة القرطاجية لم يعرف على وجه الدقة ، ولكن المراجع التاريخية تحدثنا عن عبور التجار القرطاجيين للصحراء الكبرى [4] ، مما يعني تمتعهم بامتيازات خاصة في المنطقة ، وإن لم تكن تحت سيطرتهم

---

(1) فنطر ، محمد ، يو غرطة " من ملوك شمال أفريقيا وأبطالها ، الدار التونسية للنشر 1970 م ص78

(2) غانم ، محمد الصغير ، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر ، المرجع السابق ص217

(3) الميلي ، مبارك بن محمد ، المرجع السابق ص131

(4) بوفيل ، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ، نقلة الي العربية : الهادي أبو لقمة ، محمد عزيز ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، 1988 ص57 .

المباشرة ، ولكنها كانت تحت سيطرة حلفاء لهم من القبائل اللوبية ، واستمر ذلك التغلغل طيلة القرنين الرابع والثالث ق.م ، حتى كانت نهاية قرطاجة على يد الرومان في نهاية القرن الثاني ق.م بنهاية الحرب البونية الثانية ، والتي اعتبرت نهاية الإمبراطورية القرطاجية بالفعل.

وقد اتخذ التوسع القرطاجي في أفريقيا ثلاثة محاور رئيسة شكلت منطقة نفوذ الدولة في الأراضي الأفريقية ، وكونت المجال الحيوي للمصالح القرطاجية ، خاصة الاقتصادية والعسكرية ، فقد كانت تشمل ما يلي : -

1 - منطقة السيطرة المباشرة : وتشمل المنطقة الواقعة بين مدينة الكاف غربا إلى إقليم الأمبوري شرقا ، ممتدة جنوبا إلى مدينة " دوقا " ، مشتملة على أخصب الأراضي الزراعية الواقعة على ضفاف وادي مجردة ورأس بون ، و تم الاستيلاء على هذه المنطقة التي تغطي أكبر جزء من تونس الحالية[1] ، وقد شغلت هذه المنطقة بالمواطنين القرطاجيين ، وأصبحت أراضيها أرضاً قرطاجية بأيدي ملاك قرطاجيين ، بعد أن تم حرمان أصحابها الأصليين منها وتسخيرهم فيها كخدم وعبيد ، وأصبحت غنيمة للأرستقراطية ، حيث أفرزت طبقة ملاك الأراضي التي لعبت دورا رئيسا في الحياة السياسية في قرطاجة ، وقد تمتعت هذه الطبقة بامتيازات خاصة خرجت عن سيطرة الدولة في بعض الأحيان ، أي شكلت دولة داخل الدولة[2] ، ولذلك فسكان هذه المنطقة هم قرطاجيون أصليون على الأغلب.

2 - منطقة السيطرة الغير مباشرة: وهي المنطقة التي تقع ما وراء الأولي مباشرة ، وفيها تركت الأراضي بأيدي السكان المحليين ، لكنها تحت إشراف قرطاجة ، وكانت تقع تحت حماية الدولة ، ويتم تجنيد

---

(1) Picard ,Gilbert , Le mond de Carthage , op. cit. P. 44.

(2) Picard , G. And Colette Charles , op. cit . p.89.

أبنائها في الجيش القرطاجي ، وكانت تمثل حزام الأمـــان لأراضـــي الطبقة الأرستقراطية.

وكذلك تشمل المستعمرات التي أنشأتها قرطاجة على طول الـساحل ، وتظم المدن والمراكز الفينيقية الأخرى ، مثل : لبدة ، وصبراتة ، وأويــا ، وأكوزيم ، وهودرميتوم ، وعتيقة...الخ[1] ، وهي التي تشكل عماد الاقتصاد القرطاجي ، فعليها تفرض الضرائب ، ومنها يتم تمويل الجيوش القرطاجية ، ويصدرانتاجها من الموانئ القرطاجية ، أي إن هذا المحور يـشكل العمـود الفقري في النشاط الاقتصادي والعسكري القرطاجي.

3 – منطقة النفوذ القرطاجي: وهي التي تـشمل التنظيمـات الـسياسية المحلية القائمة ، وأغلبها يقع إلى الغرب من قرطاجة ، مثل: الممالــك النوميدية ومملكة موريطانيا ، أما في الجنوب فيوجـد الجرمنتيــون ، وسكان هذه المناطق ارتبطوا مع قرطاجة بتعاون اقتصادي ، فتبــادلوا معها البضائع ، ونشطت التجارة القرطاجية في ممتلكاتهم ، وأمــدوها بالجنود المدربين ، حيث اعتمدت قرطاجة على الفرسان النوميديين ، وشكلت منهم كتائب الفرسان ، وقد ساهموا في كثير من انتــصاراتها العسكرية[2] ، وتوغل التجار القرطاجيون في تلك المناطق ، وأســسوا المحطات التجارية حتى أصبحت هذه الممالك مناطق نفوذ اقتــصادي لقرطاجة ، وارتبطت معهم بروابط تجارية متينة ساعدتهم على التوغل في أفريقيا والحصول على معادنها وبضائعها التي اشتهر منها العقيق الأحمر ، أو ما يعرف بالحجر القرطاجي[3].

ويعزى هذا التوسع إلى أحد قادة الأسرة الماغونية ، وهو "حنون بــن

(1) Wise ,Terence, op . cit . p.5.

(2) Warmington , B .H , op . cit . p. 62 _ 63.

(3) بوفيل ، المرجع السابق ص57.

حاميلكار" القائد القرطاجي الذي كان قد قتل في هيميرا ، فقد قاد الحملات العسكرية ضد القبائل الليبية خلال النصف الثاني من القرن الخامس ق.م ، واستطاع أن يرسخ أقدام القرطاجيين في أفريقيا ، وأن يقيم علاقات حسنة مع الأنظمة السياسية المحلية ، حتى ذهب بعض المؤرخين إلى القول: إنه حول الفينيقيين في قرطاجة من صوريين إلى أفارقة[1].

لذا جاء التوسع القرطاجي في أفريقيا بمختلف صوره استجابة لمجموعة من التحديات على رأسها: الضغط الإغريقي في البحر المتوسط ، فقد اتجه القرطاجيون نتيجة لذلك إلى كشف مجاهل أفريقيا ، سواء كان ذلك من الداخل أو الخارج ، وكان من أشهر هذه الأعمال تلك الرحلة الشهيرة التي عرفت في التاريخ برحلة حنون البحرية ، والتي تمكن فيها ذلك القائد الشهير من الوصول إلى غرب أفريقيا ، واستطاع أن يصل إلى "سيراليون الحالية" في قافلة بلغت حوالي ستين سفينة ، تحمل على متنها ثلاثين ألفاً من المواطنين القرطاجيين الذين كانوا على الأرجح من القادمين الجدد الذين جاءوا من الشرق[2] ولم يجدوا مكانا لهم في قرطاجة ، ولم تتوفر لهم فرص العمل التي تكفل لهم العيش ، وكذلك كانوا من عنصر الليبوفينيقي ومن محبي المغامرة ، فعملت قرطاجة على إيجاد مواطنَ جديدة لكل هؤلاء تكون مستقرا لهم ، ومواقع متقدمة لها في التوسع نحو أفريقيا ، والوصول إلى المزيد من المعادن والبضائع المحلية ، وقد حدثت هذه الرحلة إلى جانب رحلة أخرى إلى الشمال "إلى الجزر البريطانية" جزر ألكاستيريد بقيادة قائد آخر يدعى "حميلكون" في النصف الثاني من القرن الخامس ق.م تقريبا[3]. ولم يكد ينتهي ذلك القرن حتى أصبحت الكثير من الأراضي الأفريقية تحت السيطرة القرطاجية ، والكثير من اللوبيين رعايا قرطاجيين ، واتضحت معالم

(1) أبو رونية ، الشاذلي ، المرجع السابق ص196

(2) المرجع نفسه ص197

(3) Harden , D , op . cit . p.170 .

الإمبراطورية القرطاجية البرية ، وأخذت قرطاجة تدعم حضورها الحضاري في القارة خلال القرون التالية ، حتى امتزج القرطاجيون باللوبيين امتزاجا في العادات والتقاليد يكاد يكون كاملاً ، حتى إذا جاءت الحروب البونية ضد الرومان وازداد الضغط على قرطاجة ودمرت بعد ذلك ، لم يجد أغلب القرطاجيين صعوبة في الانصهار داخل المجتمع المحلي ، بل وأثروا فيه تأثيرا قوياً وملحوظاً في شتى مجالات الحياة بعد سقوط قرطاجة ، وفرض السيطرة الرومانية على شمال أفريقيا الحالية.

الزراعة

ظل الاقتصاد القرطاجي يعتمد على التجارة خاصة البحرية منها لفترة طويلة من الزمن ، فمنذ نهاية القرن التاسع ق.م تاريخ التأسيس المفترض لقرطاجة وحتى منتصف القرن الخامس ق.م كان النشاط التجاري عصب الحياة الاقتصادية لقرطاجة ، حيث كانت تمتلك أسطولاً تجارياً ليس له مثيل في العالم القديم ، وقد برع الفينيقيون في التجارة بشكل لافت ، واستطاعوا أن يكونوا الوسطاء التجاريين المعتمدين بين شعوب البحر الأبيض المتوسط ، فارتادوا شواطئه وعبروه شرقاً وغرباً ، وتبادلوا السلع والبضائع مع السكان المحليين ، وجلبوا المعادن والأحجار الكريمة من أقصى المغرب ، وزودوا كافة الشعوب التي وصلوا إليها بما يحتاجونه من سلع ومصنوعات لم تكن معروفة لديهم ، واتصفوا بالأمانة وتحلوا بالأخلاق الفاضلة ، فكانوا تجارا حقاً ، وكان نشاطهم تجارياً بأتم معنى الكلمة ، وعلى الرغم من موقع قرطاجة بالقرب من مصب وادي مجردة ، ووجود الأراضي الخصبة حولها ، إلا أن نشاطها الزراعي قد اقتصر في بادئ الأمر على ما يعرف بالظهير الزراعي للمدينة الذي لا يتعدى المنطقة المحيطة بها ، ولا يتجاوز بعض الأميال خارجها ، وكان إنتاجه لا يكفي حاجة سكان المدينة في أغلب الأحيان ، فكان القرطاجيون يحصلون على حاجتهم من المواد الغذائية من المستعمرات الأخرى ، خاصة سردينيا وصقلية اللتين تنتجان الحبوب بوفرة(1).

واستمر ذلك الحال حتى منتصف القرن الخامس ق.م عندما تبدلت أحوال القرطاجيين نتيجة دخول الإغريق الميدان الاستعماري في غرب البحر المتوسط ، ومنافستهم القرطاجيين في صقلية والبحر التيرهيني ، ومشاركتهم في النشاط التجاري في المنطقة ، هذا الصراع جعل القرطاجيون يدركون أنهم لم يعودوا وحدهم في ميدان التجارة البحرية خاصة مع مطلع القرن الخامس

---

(1) Moscati , S, The World of Phoenicians , op . cit . p. 176

ق.م إثر هزيمتهم في صقلية فأخذ ولاة قرطاجة في اتباع سياسة جديدة غيرت مسيرة حياة القرطاجيين بشكل عام[1] ، فيرى كثير من الباحثين أن لتلك الواقعة أثراً كبيراً في توجيه السياسات الاقتصادية لقرطاجة بعد القرن الخامس ق.م ، فقد أُجبر القرطاجيون بعد تلك المعركة على التوجه نحو اليابسة ، وبدأت أنظارهم تتجه نحو الفضاء الأفريقي ، وبدأ البحث عن تنويع مصادر الدخل في قرطاجة ، وإيجاد بدائل جديدة عن النشاط التجاري لاقتصادهم[2] ، فكان الأقرب إليهم والأكثر ملاءمة هو النشاط الزراعي ، حيث أن لديهم خبرة سابقة في هذا المجال ، فاتجهوا إلى هذا النشاط ، ورأوا فيه البديل الذي يمكن أن يحل محل التجارة ، هذا فضلاً عن كونه داعماً لها من خلال ما يقدمه المزارعون من سلع تكون مصدراً تجارياً لهم في بعض الأحيان ، ومن هنا ولتحقيق ذلك كان لابد لهم من بسط سيطرتهم على أراض واسعة وخصبة من أفريقيا يعملون على استغلالها ، تعوضهم عما فقدوه من نفوذ في صقلية ، فوضعوا أسس الزراعة المنظمة وغراسة الأشجار المثمرة ، وكونوا البساتين والحدائق[3] ، وأصبح لديهم فائضاً زراعياً أسهم في رغد عيشهم ورفاهية حياتهم ، وبذلك أصبحت قرطاجة تنعم بالرخاء كمدينة أولاً ، وكإمبراطورية ثانياً ، وأصبحت تلك المزارع مصدراً لتوفير الحبوب والمواد الغذائية وتصديرها للعالم الخارجي[4]. فبدأت قرطاجة تتجه نحو النشاط الزراعي ، وعملت على سد احتياجاتها الغذائية من الأراضي التي استولت عليها ، بعد أن كانت تعتمد على بعض مستعمراتها في الخارج في توفير المواد الغذائية لسكانها ، ولم يجد القرطاجيون صعوبة في ممارسة هذا النشاط والتحول إلى الفلاحة ، فقد كانت مزاولة حرفة الزراعة مألوفة لديهم في وطنهم الأصلي في

---

(1) Marcel , Bordet D`histoire Romain , ed armand , calin , Paris , p.78 .

(2) Warmington , B . H, op . cit. p. 58.

(3) ديكريه ، فرانسوا ، المرجع السابق ص93

(4) بوتسيروب ، اليكس ، المرجع السابق ص45

الشرق رغم قلة المساحة المزروعة هناك ، وبذلك ما إن تحولوا إلى الفضاء الإفريقي ووجدوا الأراضي والمناخ الملائمين للزراعة حتى أصبحوا مزارعين من الدرجة الأولى ، محققين نهضة زراعية شاملة ضمنت لهم اقتصادا قويا أصبح في مأمن من الأخطار الخارجية ، وخير داعم لمجهودهم الحربي ، وفي هذا الإطار قسمت قرطاجة مجالها الزراعي إلى قسمين:

القسم الأول : يشمل الأراضي التي تمتد من قرطاجة نحو الجنوب حتى مدينة " دوقا" بمسافة تقدر بمائة وعشرون ك.م تقريباً ، ويضم هذا القسم أخصب الأراضي التي تقع بين وادي مجردة ووادي مليانه والوطن القبلي ومنطقة رأس بون ، وكذلك منطقة شمال تونس حتى مدينة الكاف في الغرب.

ويذكر " Lancel " أن المنطقة التي امتلكها القرطاجيون وأقاموا عليها زراعتهم كانت من أخصب الأراضي الزراعية في بلاد اللوبيين[1] ، وقد تحولت ملكية هذه الأراضي مباشرة إلى بعض أفراد الطبقة الأرستقراطية القرطاجية التي كان أفرادها من أصحاب رؤوس الأموال الذين جاء معظمهم من خارج قرطاجة ، خاصة من صقلية .

وقد أولت قرطاجة هذا الجزء عناية فائقة حيث قسمت الأراضي إلى مزارع منظمة ، وأُنشئت فيها البيوت الريفية من قبل ملاكها بتشجيع من الحكومة[2] ، واستخدمت أساليب الزراعة الحديثة ، وأدخلت إليها زراعات لم تكن معروفة في الشمال الأفريقي من قبل[3] ، وعملت على تحسين الإنتاج باستخدام الأسس العلمية في الزراعة وتقليم الأشجار ، كما غرسوا الأشجار المثمرة ، واحتكرت زراعة الأشجار ذات المردود الاقتصادي الجيد[4] ،

---

(1) Lancel, S , op. cit . P. 381.

(2) Ibid. P.283.

(3) أبورونية ، الشاذلي ، محمد الطاهر ، المرجع السابق ص253.

(4) ديكريه ، فرانسوا ، قرطاجة أو إمبراطورية البحر ، المرجع السابق ص94.

واعتنت بزراعة الزيتون الذي كان شجراً برياً قبل مجيء الفينيقيين ، واهتمت بعصر الزيوت وتصديرها إلى الخارج حيث كان الزيت سلعة غالية الثمن في ذلك الوقت ، ومن شدة اهتمامهم بهذا الصنف أنهم كانوا يبنون الأحواض لتنقية الزيت في البيوت فضلا عن المعاصر المخصصة لهذا الغرض[1] ، واهتمت بزراعة الكروم ، كالعنب حيث صدرت النبيذ – كما يذكر بعض المؤرخين – إلى قوريني في الشرق عن طريق بعض القبائل الليبية ، مقابل نبات السلفيوم[2] ، وزرع القرطاجيون الرمان وقاموا بحفظه ، ويذكر أن الرمان لم يكن معروفاً في شمال أفريقيا قبل ذلك ، وتمت غراسة شجر التين وتجفيف ثماره ، وقد استخدم القرطاجيون طرق الري بشق الترع وتجميع مياه الأمطار[3].

أما عن استغلال هذه الأراضي وكيفية إدارتها ، فقد كانوا يقومون بالأشراف المباشر عليها بأنفسهم أحياناً ، وفي أحيان أخرى يقوم بإدارتها وكلاء ينوبون عنهم ، أما الأيدي العاملة فكان جلها من أصحاب الأراضي الأصليين ، أو من العبيد اللوبيين والنوميديين ، أو حتى من القرطاجيين من عامة الشعب الذين لم يجدوا عملاً لهم في المدينة ، أما الملاك فكانوا في غالب الأحيان يقيمون في المدينة ، ويبنون لهم بيوتاً فسيحة ومريحة في تلك الحقول يأتون إليها للاستجمام والراحة من عناء المدينة وازدحامها ، كما أنهم يأتون لتسلم المحاصيل من الوكلاء[4] ، هؤلاء الذين لم تمدنا المصادر عن هويتهم ، هل كانوا من صغار الفلاحين القرطاجيين ، أم من عنصر الليبوفينيقي؟ أم كانوا من السكان المحليين؟ وقد سيطر أصحاب الأراضي سيطرة مباشرة على أراضيهم دون تدخل من الدولة ، وشكلوا طبقة ثرية ،

(1) البركي ، عادل عمران ، النشاط الإقتصادي وأثره في بناء وسقوط قرطاجة من القرن الخامس حتى منتصف القرن الثاني ق.م ، رسالة ماجستير لم تنشر ، جامعة الفاتح ، 2003ف ص135

(2) الأثرم ، رجب عبدالحميد ، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ط3 ، 1998م ص156.

(3) أبورونية ، الشاذلي ، محمد الطاهر ، المرجع السابق ص253.

(4) البركي ، عادل عمران ، المرجع السابق ص135.

وتصرفوا في محاصيلهم بمعزل عن الحكومة القرطاجية في غالب الأحيان ، وشكلت هذه المزارع مصدراً أساسياً لتصدير بعض السلع كالزيتون والنبيذ.

القسم الثاني : يقع إلى الجنوب من المنطقة الأولى ، وهو خاضع للسيطرة القرطاجية غير المباشرة ، وكانت ملكية الأراضي فيه تركت بأيدي السكان المحليين مقابل ضريبة يدفعونها من المحاصيل التي يجنونها من تلك الأراضي ، والتي تحدد حسب الظروف التي تمر بها الدولة ، ويشمل هذا القسم الأراضي الواقعة بين مدينة دوجا ومكثر ، وتشمل السهول والهضاب الصالحة لزراعة الحبوب[1] ، حيث استطاع القرطاجيون تحويل سكان هذه المناطق من بدو رحل يعتمدون على تربية الماشية إلى مزارعين مستقرين يعتمدون على الزراعة في حياتهم اليومية[2] ، وقد استغل القرطاجيون هذه المنطقة في زراعة الحبوب بكثافة, ويبدو أن إنتاجها كان وفيراً من خلال الآثار التي وجدت للمخازن التي أعدت لحفظها ، حيث كانت تستخدم في تمويل الحملات العسكرية ، كمؤن للجنود ، وكعلف للحيوانات فضلا عن تصدير الفائض منها إلى الخارج ، وتبين لنا صورة سنبلة القمح التي ظهرت على بعض العملات القرطاجية تلك الأهمية الخاصة التي يوليها المجتمع القرطاجي للحبوب[3] (الشكل12) ، كما أنهم استخدموها في تمويل الحملات الاستكشافية في حالات السلم ، مثل: رحلتي "حنون وحيملكون".

أما ما كان يقع خارج هاتين المنطقتين ، فإما أن يكون بأيدي الممالك الحليفة لقرطاجة ، أو بأيدي القبائل التي اتسمت علاقاتها بقرطاجة بين مد وجزر ، أو أنه يقع تحت سيطرة مستعمراتها الممتدة على طول سواحل أفريقيا الشمالية من لبدة الكبرى شرقا وحتى موجادور على الساحل الأطلسي

---

(1) المرجع نفسه ص 131.

(2) بوفيل ، المرجع السابق ص 70.

(3) صقر ، أحمد ، المرجع السابق ص158 – 159.

غرباً ، وبذلك فإنه يدخل ضمن دائرة المجال الاقتصادي لقرطاجة.

لم تكن الزراعة الشئ الجديد على القرطاجيين ، وبذلك فقد بــرع فيهــا فلاحوهم ، واهتم بها علماؤهم ، فوضعوا لها القــوانين ، وابتكــروا الأســاليب الزراعية التي تساعدهم على فلاحة الأرض كالمحاريث والمعازق والزراعات[1] لضمان الحصول على أفضل المحاصيل ، وخير دليل على ذلك الاهتمــام مــا تركته لنا من آثار تمثلت فيما حدثنا عنه المؤرخون عن عالم الزراعة القرطاجي ماجون الذي ألف موسوعة تتكون من 28 جزءاً ترجمت إلى اللاتينية ، ثم إلــى الإغريقية لأهميتها[2] ، وعلى الرغم من أن هذه الموسوعة لم يــصلنا منهــا إلا القليل ، إلا أنها اعتبرت أساساً لعلم الزراعة في ذلك الوقــت ، فقــد تــضمنت شروطاً وافية لكيفية غراسة الأشجار ، والمسافات بينهــا ، وريهــا ، وأمــاكن زراعة كل منها ، حيث حددت المرتفعات لزراعة الزيتون[3] ، كــذلك تحديــد فصول غراستها ، وتسميد الأرض ، ونوعية الحفر التي يجب أن تغرس فيها ، مراعياً في ذلك نوعية التربة ، وكمية هطول الأمطار على مدار فصول السنة ، وفي المجمل العام فقد كانت نصائح ماجون التي خلفها لنــا هــي أقــرب إلــى الزراعة العلمية الحديثة ، وقد أوردنا بعضاً منها للتدليل علــى مــدى الإهتمــام القرطاجي بالزراعة فقط ، وقد استطاعت قرطاجة بفضل ذلك إنــشاء نهــضة زراعية عظيمة في المنطقة ، وقد اتضح ذلك في نهاية القرن الرابع ق.م عندما حاول أجاتوكليس غزو قرطاجة عام 310 ق.م حيث وجد جنوده – وهــم فــي طريقهم إليها – حدائق وبساتين وقطعان من الأغنام والأبقار ، وكــذلك منــازل ريفية قاموا بنهبها ، ما أدهش عقولهم لهذا التطور الزراعــي العظــيم ورغــد العيش[4] وإنتاج وفير ، وكذلك ما عثر عليه الجنود الرومان أثناء الحرب البونية

(1) البركي ، عادل عمران ، المرجع السابق ص140.
(2) أبورونية ، الشاذلي ، محمد الطاهر ، المرجع السابق ص247.
(3) المرجع نفسه ص251 – 253.
(4) صقر ، أحمد ، المرجع السابق ص54.

الأولى عند نزولهم البر الأفريقي ، هذا فضلاً عما حمله الخطيب الروماني كاتو من قرطاجة من فواكه لحث مجلس الشيوخ الروماني علـــى تـــدمير قرطاجـــة وفرض سيطرة روما على هذه المنطقة الزراعية الخصبة ، حتى تكون قاعـــدة قوية لاقتصاد الإمبراطورية الرومانية[1].

لقد استطاع القرطاجيون من خلال تحولهم إلى دولة برية واهتمـــامهم بالنشاط الزراعي تحرير اقتصادهم من سيطرة التجار على المستوى الداخلي ، واستطاعوا تنويع مصادر دخلهم ، مما أتاح لهم تحقيق مكاسب اقتصادية جمة ، وإرساء دعائم اقتصاد متنوع قوي لا تـــؤثر فيـــه الـــضغوط الخارجيـــة ، واستطاعوا أن يجدوا مصادر تمويل لحملاتهم العسكرية في صـــراعهم مـــع اليونان ومن بعدهم الرومان ، كما أنهم بفضل نهضتهم الزراعية اســـتطاعوا الاستغناء عن استيراد المواد الغذائية للشعب القرطاجي نفسه الذي كان بعضه يأتي عن طريق البحر ، وبالتالي كان عُرضةً لمهاجمة الأعداء ، ومـــن ثـــم أصبح أي حصار بحري لقرطاجة غير ذي جدوى بفضل اكتفائها الـــذاتي ، هذا فضلاً عن توفير فائض تجاري مهم من الحبوب والزيتـــون والخمـــور وغيرها من الغلال وصل إلى حد التصدير[2] ، مما جلب أرباحاً وفيرة على التجار ، وبذلك أصبحت الزراعة المحلية الدعامة الرئيسة للنشاط التجـــاري في الإمبراطورية ، هذا فضلاً عن أنها كانت أساساً لقيام كثير من الصناعات التي نشأت عليها.

ومن هنا نجد أن الزراعة قد نمت وازدهرت فـــي قرطاجـــة محتلـــة الركيزة الأولى في اقتصادها بعد أن تراجعت التجارة البحرية بفعل المنافسة الإغريقية ، ومن بعدها المنافسة الرومانية ونشأة الصراعات فـــي الحـــوض الغربي للبحر المتوسط.

---

(1) أبورونية ، الشاذلي ، محمد الطاهر ، المرجع السابقص252.

(2) بوفيل ، المرجع السابقص54.

الصناعة

لم تحتل الصناعة لدى القرطاجيين المكانة الأولى في نشاطهم الاقتصادي مع بداية مجيئهم إلى غرب البحر المتوسط ، ولم تكن هاجسهم الأول الذي يشغل بالهم وتفكيرهم في جمع الأموال والثروات ، فقد كانوا تجارا ماهرين ، ورحالة بارعين في بحثهم عن مصادر المواد الأولية – خاصة المعادن منها – مع بحثهم عن أسواق تصريفها ، وبذلك فقد أمّنوا مصدر ثرائهم ، وأصبح النشاط التجاري شغلهم الشاغل في المجمل العام.

ومع ذلك فإن الصناعة لم تكن بمعزل عن النشاط الاقتصادي بشكل كامل ، فقد عرفوا بعض الصناعات التي جاءوا بها من الشرق كصناعة النسيج وصناعة السفن وصناعة الأصباغ التي أشتهر الفينيقيون بها وعزا بعض المؤرخين أن تسميتهم بهذا الاسم قد جاءت نسبة إليها(1) ولكن ظلت الصناعة القرطاجية تقتصر على بعض المصنوعات الضرورية وبعض أدوات الزينة كالحلى والأقراط حتى القرن الخامس ق.م وأنحصر ذلك النشاط في بعض العائلات والأفراد.

ومع بداية القرن الخامس ق.م بدأ النشاط التجاري القرطاجي ينكمش في الحوض الغربي للبحر المتوسط بفعل المنافسة الخارجية وبدأت قرطاجة تتجه نحو بدائل جديدة للتجارة البحرية ، وكانت الصناعة من أهم هذه البدائل حيث توفر لها الكثير من الأدوات اليومية التي كانت تستوردها من الخارج بل وتوفر لها الكثير من البضائع للتصدير ، ومن هنا أخذت قرطاجة تعمل على إرساء قواعد نهضة صناعية شاملة.

تنوع النشاط الصناعي القرطاجي وفقاً لتنوع موارد الدولة واحتياجاتها فقد دلت موجودات القبور القرطاجية على نشاطهم الحرفي ، فكانت صناعة

(1) Warmington , B . H , op . cit . P.18

الغزل والنسيج وصناعة الأصباغ التي تستخرج من الأصداف البحرية والتي يبدو أنها كانت مصدر رزق لكثير من العائلات ، ويدل علـــى ذلــك كثــرة الأصداف التي وجدت في بعض المراكز الفينيقية مثل" جربة وكركـــوان[1] ، إلى جانب هذا أهتم القرطاجيون بصناعة الفخار الذي صنع منه القرطاجيون الكثير من أدواتهم المنزلية فبنوا له الأفران والمعامــل المتخصــصة لــسد احتياجاتهم اليومية من صحون وأطباق وأقداح وأثاث جنائزي عثر عليه في القبور القرطاجية بل وزاد إنتاجها من هذه المواد حتى أصبحت تصدرها إلى إقليم المدن الثلاث التي أصبحت تستورد حاجياتها من قرطاجة إلـــى جانــب الفخار الإغريقي[2] ، وانتشرت تلك المعامل والأفران في جميع مناطق العالم البوني ، وتدل صناعة الجرار الكبيرة (شكل 13) التـــي اســتخدمت لحفــظ الزيوت ونقل النبيذ بين مختلف شواطئ البحر المتوسط على مـــدى اهتمـــام القرطاجيين بهذه الصناعة ، وكان بين أشهر أنواعه الفخار المـــشوي الـــذي صنع منه القرطاجيون الأقنعة ، وتفننوا في تشكيلها ، فكان منها الذي تعلـــوه ابتسامة ، ومنها الذي تعلوه تكشيرة تجلب الرعب[3] ، وقـــد انتـــشرت هـــذه الصناعة حتى خارج قرطاجة نفسها[4] (شكل14).

أما عن الصناعات المعدنية كصناعة الحلي مثلا ، فقد دلت موجودات القبور القرطاجية على صناعة تدل على وجود صناع مهرة في هذا المجال ، حيث وجدت الكثير من الجواهر و الحلي التي تعود إلـــى القـــرنين الـــسابع والسادس ق.م في المقابر القرطاجية ، وقد شملت هذه الصناعة ، صـــناعة الحلي والأقراط والأساور والقلائد والعقود والخواتم (شكل15) ، وكانـــت

(1) صفر ، أحمد ، المرجع السابق – ص153 – 154.
(2) الميار ، عبد الحفيظ ، المرجع السابق ص192
(3) البركي ، عادل عمران ، المرجع السابق ص156.
(4) Ciasca, Antonia, " Masks and Protoms" ,in Sabatino Moscati , The Phoenicians , op . cit . P.410.

هذه المسوغات تصنع في الغالب من المعادن الثمينة ، كالذهب والفضة والأحجار الكريمة ، حيث يمتزج الذوق مع يد الصانع الماهر فيتم طرق الصفائح المعدنية الملساء بذوق فني رفيع ، وتمتاز بانتظام الحبيبات التي تصنع بالمنقاش مع بعضها البعض[1] ، وقد عبرت تلك الحلي عن أغراض عديدة ، كالأغراض الدينية مثل: الطلاسم والتعاويذ والجعلان ، ويذكر المؤرخ "بول كوكلر" أنه اكتشف في مقبرة برج الجديدة قبرا فيه كثير من الأدوات الجنائزية ، ويحوي هذا القبر جثة امرأة في يدها اليسرى مرآة برونزية ، وفي اليمنى صنوج من البرنز ، ويغطي معصمها أساور من اللؤلؤ ، وفي ذراعها الأيمن حلقات فضية وعاجية ، وفي أصابعها خواتم فضية ، ويتدلى من الأذن اليسرى قرط ذهبي ، وفي رقبتها عقد من الذهب المصمت[2].

وكانت صناعة العاج من أشهر الصناعات القرطاجية ، فصنعت منه التماثيل والدمى الصغيرة على هيئه بشرية ، وأدوات التجميل والتمائم والأمشاط[3].

وفي الواقع فإن نمو هذه الصناعات إنما جاء نتيجة توفر المعادن الثمينة والمواد اللازمة لها من خلال الحركة التجارية النشطة للقرطاجيين ، وقد كانت تلك الحاجيات تستورد بكثرة من دول البحر المتوسط ، مثل: بلاد اليونان ومصر ، ولكنها ومنذ القرن السادس ق.م بدأ يقل استيرادها ، وحلت محلها صناعة محلية نشطة حسبما عثر عليه المنقبون في القبور القرطاجية ، وعلى الرغم من أن تلك الصناعات كانت تقليدا لنماذج مستوردة ، إلا أنها صنعت في قرطاجة نفسها.

ومما يدل على نشاط الحركة الصناعية في تلك الفترة وما بعدها أنها

---

(1) ميادان ، مادلين هورس ، تاريخ قرطاج ، ت: ابراهيم بالش ، منشورات عويدات ، بيروت 1981مص115

(2) ديكريه ، فرانسوا ، قرطاجة أو إمبراطورية البحر ، المرجع السابق ص 106 .

(3) فنطر ، محمد ، الحرف والصورة في عالم قرطاجة ص208 ـ 211

كانت تصدر بأسعار زهيدة ، وهذا يعني قلة تكاليفها وكثرة إنتاجها ، حيث تم تصديرها إلى كثير من بلدان الحوض الغربي للبحر المتوسط[1] ، وقد ساعد انتشار النفوذ القرطاجي في المنطقة على تسويق هذه المصنوعات ، ومن ثم زيادة إنتاجها في قرطاجة ، حيث أصبحت تدر أرباحا على الدولة ساهمت في نمو الاقتصاد مساهمة لابأس بها.

وكان الاهتمام بالصناعات الاستراتيجية كصناعة السفن كبيرا ، فقد بدأ الاتجاه نحو صناعة السفن الحربية بشكل غير مسبوق ، حيث تم تغيير شكل السفينة فأصبحت مدببة من الأمام ليسهل عليها سرعة الحركة وسهولة المناورة ، وزودت من الأمام بآلة عرفت باسم الكبش لتحطيم سفن الأعداء[2] ، وأصبحت أكبر حجما عن ذي قبل حتى تستطيع حمل أكثر عدد من الجنود ، وظهرت السفن ذات الثلاثة مجاديف والخمسة مجاديف[3] (شكل16) ، ولهذا الغرض أنشئت العديد من دور صناعة السفن وورش الإصلاح ، وجيء بالصناع المهرة من مختلف أنحاء العالم البونى ، بالإضافة إلى الصناع الذين جاءوا من الشرق الفينيقي نفسه ، كما أن محاولة قرطاجة فرض هيمنتها التجارية على المدن الفينيقية الأخرى ومنع اتصالها بالعالم الخارجي قد رتب عليها التزامات أخرى ، كان من بينها إمدادها بالسفن التجارية التي تنقل الجزية والبضائع من موانئ تلك المدن إلى قرطاجة ، مما ألزمها زيادة في نشاطها الصناعي في هذا المجال[4] ، وقد وفرت الأخشاب التي كانت متوفرة في جنوب البلاد التونسية وجبال أطلس – كأشجار السرور والأرز – حاجة هذه الصناعة.

وأصبح للصناعة مكان بارز في الحياة الاقتصادية لإمبراطورية قرطاجة الإفريقية بعد أن برزت عدة أنشطة صناعية في الدولة أملتها

---

(1) إيمار ، أندريه ، المرجع السابق ص54

(2) الميار ، عبد الحفيظ ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ص182

(3) بوتسيروب ، اليكس ، المرجع السابق ص46.

(4) الميار ، عبد الحفيظ ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع نفسه ص182 ـ 183

ظروفها الداخلية والخارجية على حد سواء ، ونشطت حرف صناعية ، وتراجعت أخرى حسبما تقتضيه الحاجة ، فعلي سبيل المثال بدأت تطغى صناعة الأسلحة على صناعة الحلي وأدوات الزينة منذ القرن الخامس ق.م نظراً للحاجة إليها ، حيث نلاحظ تراجع ذلك النوع من الصناعات في القبور القرطاجية العائدة لذلك القرن وما بعده ، وكذلك طغت صناعة الأدوات الزراعية والفؤوس والمطارق والمقصات والمعازق على الصناعات الترفيهية الأخرى[1] ، مما عدَه بعض المؤرخين كسادا اقتصاديا ، وأن قرطاجة قد مرت بمرحلة تقشف في هذا القرن إن لم يكن انهياراً اقتصادياً ، إلا أن من المرجح أن ذلك يعود إلى سياسة اقتصادية اتبعها القرطاجيون[2] ، حيث قللوا من هذه الصناعة التي تدل على الرفاهية ، والتي كانت تستخدم فيها المعادن الثمينة ، كالذهب والفضة والأحجار الكريمة ، واتجهوا نحو الصناعة الحربية ، حيث أصبحت هذه المعادن تنفق في المجهود الحربي القرطاجي ، وتسديد الالتزامات التي ترتبت على قرطاجة نتيجة حروبها مع الإغريق ، وأصبحت تخزن لأوقات الشدائد[3] بدلا من صناعة الكماليات ، كالأساور والأقراط والعقود التي كانت تستخدم من قبل ، وقد انصرف الكثير من الصناع القرطاجيين إلى تلبية حاجيات الدولة الأكثر إلحاحا ، وهذا ما نلاحظه من تحول الحدادين إلى مصانع الدولة في حالة الحرب ، وعودتهم إلى مصانعهم الخاصة في حالة السلم لصناعة الأدوات الزراعية ومستلزمات الحياة اليومية[4] ، وقد أدى تناقص المعادن الثمينة في الأسواق وارتفاع أثمانها إلى تناقص صناعها المهرة وتناقص الورش القائمة عليه.

---

(1) صفر ، أحمد ، المرجع السابق ص150.

(2) Warmington , B . H , op . cit . P.58.

(3) Picard ,G , Le Monde de Carthage , op . cit . P. 44 .

(4) صفر ، أحمد ، المرجع السابق ص 150 ، ديكريه ، فرانسوا ، قرطاجة أو إمبراطورية البحر ، المرجع السابق ص100

ظهرت الصناعات الحربية في النشاط الصناعي القرطاجي كعنصر جديد نتيجة الحروب المستمرة التي أصبحت تخوضها قرطاجة ضد الطغاة الإغريق في صقلية ، ومن ورائهم العالم الإغريقي في بحر إيجه ، حيث أصبحت الحاجة ماسة لتوفير السلاح اللازم لتلك الحروب[1] ، ولم تذكر لنا المصادر التاريخية أن القرطاجيين قد استوردوا أسلحتهم من الخارج رغم الحروب الطويلة والمريرة التي خاضوها ، سواء ضد الإغريق أو الرومان ، فقد صنعوا العجلات الحربية التي استمرت كسلاح رئيس في الجيش القرطاجي حتى القرن الثالث ق.م عندما حلت محلها الفيلة ، وطوروا صناعة قاذفات الطين المشوي "المنجنيق"[2] ، وصنعوا التروس التي تغطي الجسم بكامله ، ثم طوروها لتصبح أكثر خفة وملائمة لحركة الجندي في ميدان المعركة(شكل17) ، وكذلك صنعوا الخوذات التي جاءت على النمط الإغريقي لميزات رآها القرطاجيون ، وكان أغلب هذه الصناعات من الحديد والبرنز والنحاس ، وقد كان إنتاجهم الحربي خلال الحرب البونية الثانية خير دليل على ذلك الإهتمام ، فقد أنشأوا المصاهر والمصانع لتطويع الحديد ومزج النحاس بالبرونز ، حيث أنتجت المصانع الحربية القرطاجية في شهر واحد من الصناعات الحربية والأسلحة العسكرية من التروس والحراب والرماح والسهام والنصال ما يقدر بحوالي تسعة آلاف سيف ، وثلاثة آلاف ترس ، وخمسة عشر ألف رمح ، وثلاثين ألف سهم[3] ، ورغم أن هذا الإنتاج كان زمن الحروب مع الرومان في نهاية القرن الثالث ق.م إلا أن صناعة هذه الأسلحة المتعددة لم تأت بين عشية وضحاها ، وإنما كانت مصانعها قد أنشئت قبل ذلك بزمن ليس بالقصير ، وتم استقدام العمال وتدريبهم حتى أصبحوا صناعا مهرة ، وهذا يتطلب زمنا يعود إلى فترة الصراع مع الإغريق.

إلى جانب الصناعات الحربية في قرطاجة ظهرت صناعات أخرى

---

(1) الناضوري ، رشيد ، المرجع السابق ص226

(2) Picard ,G . and Colette Charles , op .cit . P.198 .

(3) صفر ، أحمد ، المرجع السابق ص149

نتجت عن التحول القرطاجي نحو البر الأفريقي وقيام نهضة زراعية كانت لها أقوى الأثر في الاقتصادي القرطاجي ، هذه الصناعات قامت على الإنتاج الزراعي الوفير ، فقد استلزم التوسع في زراعة الزيتون وتحسين إنتاجه وجود معاصر لاستخراج الزيت[1] (الشكل18) ، وقامت صناعة النبيذ نتيجة التوسع في زراعة الكروم ، ذلك النبيذ الذي كان يصدر إلى الخارج ، وكذلك قامت صناعة العسل وتجفيف التين ، وكل هذه الصناعات كانت تصدر إلى الخارج بعد سد حاجات سكان قرطاجة منها ، وبذلك نشطت الصناعات المحلية القرطاجية بعد دخولها مجال التصدير ، فأصبحت مصدراً من مصادر دخل قرطاجة الاقتصادي[2] ، ألا يكفي هذا أن يكون رداً على الذين يتهمون القرطاجيين ببلادة الذهن أمام الإبداع الإغريقي والروماني ، ولكنها شهادات تأتى من كتاب معادين للقرطاجيين ، اعتمد عليها ودرج على خطاها كتاب غربيون معاصرون ، أمثال: بيكارد ، وجب علينا أن نأخذ كتاباتهم بحذر ، فالرد عليهم يأتي من خلال تناقض كتاباتهم.

من هنا ومن خلال ما تقدم نجد أن القرن الخامس ق.م يعتبر نقطة تحول بارزة في تاريخ الصناعة القرطاجية ودورها في الاقتصاد القرطاجي ، حيث تم تطوير صناعة السفن ، وتبوأت الصناعات الحربية الصدارة ، وتراجعت صناعة الحلي والجواهر ، وظهرت الصناعات البرونزية والحديدية ، وتناقصت صناعة المعادن الثمينة ، كما ظهرت صناعة العملة لأول مرة في نهاية القرن الخامس ق.م ، وظهرت صناعة المواد الغذائية وتم تصديرها إلى الخارج ، وبالتالي أصبحت مصدرا للأرباح ، كما أن الصناعة القرطاجية ساهمت بدور فاعل في الاقتصاد القرطاجي ، حيث كانت تسد حاجة السكان والجيش ، وتوفر للخزينة القرطاجية ثمن استيراد هذه المصنوعات التي لابد منها للتجارة البرية.

(1) Picard , G , Le Monde de Carthage , op . cit . P.43 .

(2) الناضوري ، رشيد ، المرجع السابق ص226

التجارة البرية

اقتصر النشاط التجاري للفينيقيين في شمال أفريقيا على التجارة البحرية طيلة ثلاثة قرون ونصف تقريباً ، فمنذ تأسيس قرطاجة وحتى نهاية القرن السادس ق.م كانت هي نشاطهم الرئيس فأسسوا المحطات التجارية أينما وصلت سفنهم ، ووجدت ضالتها المنشودة من البضائع اللازمة لتجارتهم وخاصة المعادن كالذهب والفضة وغيرها ، وكانت التجارة البرية تمثل عنصراً ثانوياً في نشاطهم التجاري حتى القرن الخامس ق.م .

تعتبر قرطاجة مدينة تجارية المنشأ ، وقد لعبت دورها الذي أنشئت من أجله بشكل متميز ، ، فكانت حلقة الوصل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب[1] ، وقبلة للسفن التجارية الفينيقية بشكل عام ، وبذلك كانت ميناءً تجاريا هاما لتصدير البضائع الإفريقية والمواد الأولية إلى باقي شعوب البحر المتوسط ، وإن كان هذا النشاط ضعيفا في بادئ الأمر إلا أنه تنامي بعد أن أصبحت قرطاجة دولة مستقلة لها كيانها وزعيمة للوجود الفينيقي في المنطقة ، وتحولت إلى إمبراطورية تفرض سيطرتها التجارية على باقي شواطئ الحوض الغربي للمتوسط ، ثم توسعت وازداد نفوذها في الفضاء الإفريقي باسطة سيطرتها على معظم السواحل الشمالية لمدنه ومراكزه التجارية وأراضيه الزراعية الخصبة وسكانه من اللوبيين.

لم يغفل القرطاجيون التجارة البرية بشكل كامل منذ نشأة قرطاجة[2] ، ولكن التجارة البحرية ، ونشاطهم القوي في مياه الحوض الغربي للبحر المتوسط ، ومعادن أسبانيا ، وأسواق صقلية ، ومعادن وحبوب سردينيا ،

---

(1) غانم ، محمد الصغير ، التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط ، المرجع السابق ص112.

(2) الأمين ، محمود حسين ، الكنعانيون الغربيون ، محاضرات الموسم الثقافي الأول 1980,79م ، إعداد : محمد عبد السلام الجفائري الطبعة الأولي 1989م ، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، طرابلس ص18.

وأسواق جنوب فرنسا ، وجزر البليار ، وحتى بلاد الأتروسك علي الساحل الغربي لإيطاليا الحالية ، كل ذلك كان يشغلهم عن موارد أفريقيا الضعيفة نسبيا إذا ما قيست بغنى ووفرة المعادن في تلك المناطق ، ولذلك فإن ارتياد شواطئ البحار والذي يتفق وطبيعة القرطاجيين ، والحصول على المعادن بغزارة من أسبانيا ، قد استحوذت على كل اهتمامهم ، وشغلوا بها أيما انشغال ، واكتفوا بما كان يصلهم من البضائع الأفريقية عن طريق التجارة المحلية ، وعن طريق القوافل التجارية الآتية من الجنوب والتي تسيطر عليها بعض القبائل المحلية ، واكتفوا بما كان يصل إليهم عن طريق المراكز الفينيقية ، سواء في غرب قرطاجة أو على خليج سرت ، وكان من أهمها: إقليم المدن الثلاث ، أو ما يعرف بالأمبورى ، ويشمل مدن: " لبدا – أويا – صبراته" الذي يمثل نهاية بعض طرق القوافل الآتية من أواسط أفريقيا وبلاد السودان.

أولى القرطاجيون التجارة البرية أهمية كبرى منذ القرن السادس ق.م ، وكانوا ينظرون إليها بعين مفتوحة ، فلا يسمحون لغيرهم من شعوب البحر الأخرى الاستئثار بها ، أو حتى مشاركتهم فيها ، ويلاحظ ذلك من خلال تعاونهم مع السكان المحليين على طرد أحد قادة الإغريق والذي يدعى "داريوس" – وهو أخو الملك الأسبرطي – عندما حاول أن ينشئ مستعمرة إغريقية إلى الشرق من مدينة "لبدا عام 520 ق.م في كينبس "وادي كعام الحالية[1] ، وذلك لما لهذا الموقع من مكانة استراتيجية تقع على الطريق التجارية الواصلة بين جرمة في الجنوب وساحل البحر في الشمال ، وكذلك لغنى أراضي هذه المنطقة ، كما يلاحظ ذلك أيضا من قيام قرطاجة بمنع مدن هذا الإقليم من إقامة علاقات تجارية مع الدول الأخرى إلا عن طريق قرطاجة نفسها ، ومنعها من تصدير البضائع والسلع من موانئها مباشرة إلى

---

(1) أبو حامد ، محمود الصديق ، مظاهر الحضارة الفينيقية في طرابلس ، كتاب ليبيا في التاريخ ، المؤتمر التاريخي مارس 1968 م ص122

الدول الأخرى ، وقد أشارت إلى ذلك في توقيعها لمعاهدة مع روما عام 509 ق.م ثم جددت عام 348 ق.م ، حيث منعت على التجار الرومان رسو سفنهم جنوب الرأس الجميل إلا للضرورة القصوى ، على أن تغادر تلك السفن الشواطئ الأفريقية خلال خمسة أيام[1] ، وما الصراعات التي حدثت بين قرطاجة والإغريق في" منطقة سرت الكبير"التي انتهت بتوقيع معاهدة تحديد مناطق النفوذ بينهما – قصة الأخوين فليني – إلا من أجل فرض السيطرة علي طرق التجارة الصحراوية ومنافذها البحرية بالدرجة الأولى ، هذا بالإضافة إلى خصوبة تربة بعض المناطق ووفرة محاصيلها الزراعية[2].

وبدأ القرطاجيون يتجهون نحو البر الأفريقي مع بداية القرن الخامس ق.م ، فمنذ ذلك الوقت بدأت قرطاجة تتخلى عن طبيعتها البحرية وتتحول إلى إمبراطورية برية ، وتغير من سياساتها في غرب البحر المتوسط ، وأخذت تعمل على تنويع مصادر دخلها الاقتصادي بعد أن أدركت أنه لا يمكنها الاعتماد على التجارة البحرية بشكل كامل نتيجة ظهور منافسين جدد لها في البحر وعلى رأسهم الإغريق ، فكان أن بدأت تلتفت نحو التجارة البرية إلى جانب الزراعة وتنشيط الصناعة كما أسلفنا ، حيث كانت تلك التجارة خالصة لها لا ينافسها فيها أحد من شعوب البحر محتكرة تصديرها خارج أفريقيا ، ولم يكن لها شريك فيها سوى بعض القبائل المحلية التي لا يمكن لها الاستغناء عنها في ممارسة هذا النشاط لما لأبنائها من دراية بدروب ومسالك الصحراء ومواطن السلع والمعادن التي تحتاجها قرطاجة ، كما أنهم يسيطرون على أهم طرقها ، وبذلك فهي أحوج ما تكون للتعاون معهم والاعتماد عليهم في بعض الأحيان.

---

(1) المرجع نفسه ص120

(2) لاروند ، أندريه ، برقة في العصر الهليني من العهد الجمهوري حتى ولاية أغسطس ، نقلة عن الفرنسية ، محمد عبد الكريم الوافي ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي 2002 ف ص212 ، للمزيد أنظر كتاب : أندريه لاروند ، برقة في العصر الهلليني ص200 وما بعدها

وقد أحكم القرطاجيون سيطرتهم على تجارة أفريقيا من خلال فرض سلطانهم على منافذها البحرية ، وتوطيد نفوذهم على الساحل بإحكام سيطرتهم على المدن الفينيقية فيه ، وإنشاء العديد من المراكز التجارية الجديدة ، فأصبحت تغطي الساحل الشمالي لأفريقيا من خليج سرت شرقا حتى أعمدة هرقل غربا[1] ، فأتى إليها اللوبيون وتجمعوا حولها لتسويق بضائعهم المحلية ، كريش النعام والجلود والمعادن غير المصنعه[2] ، وقد جاءت رحلة حنون العظيم من أجل تقوية النفوذ التجاري القرطاجي على الساحل الغربي لأفريقيا ، ولإنشاء محطات تجارية جديدة تكون منطلقا لهم نحو أواسط أفريقيا ، وللحصول على المزيد من المعادن والبضائع التي يتاجرون فيها ، حيث استطاع الوصول إلى نهر السنغال الغني بالذهب[3] ، فكان هذا دافعا للقرطاجيين لمحاولة الوصول إليها عبر صحراء أفريقيا دون اتباع الطريق البحري الذي كان بعيدا إلى حد ما.

وبعد أن سيطر القرطاجيون تجاريا على الساحل الشمالي لأفريقيا بدأوا في التوسع نحو الداخل ، الأمر الذي حتم عليهم إنشاء بعض المراكز وبعض المدن في العمق البري ، أصبحت أسواقا للبضائع القادمة من داخل أفريقيا ، كما أنها أصبحت سوقا رابحة لتصريف المصنوعات المحلية القرطاجية وبعض السلع التي يأتي بها القرطاجيون من البلدان الأخرى ، وكان من بين هذه المراكز مدن : دقا ، ومكثر ، وباجة "هيكاتمبيلوس" التي اشتهرت بازدهار اقتصادها وغنى أصحابها ، فقد ذكر أن "حنون" القائد القرطاجي أخذ منها ثلاثة آلاف رهينة ثم افتدتهم أسرهم بعد ذلك بالمال[4] ، وهذا التوسع أدى إلى احتكاك القرطاجيين باللوبيين بشكل أكثر من ذي قبل ، فاتصلوا

---

(1) Warmington , B . H , op . cit . P.61 .

(2) غانم ، محمد الصغير ، المملكة النوميدية والحضارة البونية ، المرجع السابق ص36

(3) مهران ، محمد بيومي ، المغرب الكبير ، المرجع السابق ص234 .

(4) غانم ، محمد الصغير ، المملكة النوميدية والحضارة البونية ، المرجع السابق ص150 .

بتجار جدد لم تكن لهم بهم علاقة من قبل ، وزاد عدد الوسطاء الأفارقة حيث كان القرطاجيون يعتمدون على الوسطاء المحليين في تجارتهم حتى ذلك الوقت ، فازداد حجم النشاط التجاري القرطاجي الأفريقي ، وأصبح يحتل مكانة مهمة لدى الحكومة القرطاجية ، ونتيجة لذلك أولى القرطاجيون التجارة عبر الصحراء عناية فائقة ، فأخذوا يمدون جسور التعاون مع السكان المحليين ورؤساء القوافل التجارية التي تعبر الصحراء باتجاه الجنوب حتى يتسنى لهم الحصول على المزيد من السلع والمعادن[1] ، فلم يكن من السهل عبور الصحراء بالمجازفة ودون مرشدين ، حيث الرمال المتحركة ، وسلاسل الكثبان الرملية ، وندرة المياه طوال الطريق ، لذلك فلا بد لهم من معرفة طرق العبور للوصول إلى مصادر الثروة ، خاصة الذهب الذي كان يتوفر في غينيا وأواسط أفريقيا والنيجر ، وكذلك الأحجار الكريمة[2]. ولتحقيق ذلك الغرض سلك القرطاجيون بعض الطرق التجارية التي كانت تستخدمها القوافل اللوبية حيث كانت تعبر أفريقيا من الشمال إلى الجنوب أربعة طرق رئيسة ، **الأولى:** كانت تنطلق من المغرب الحالي وصولا إلى السنغال عبر موريتانيا ، وهذه كانت بعيدة إلى حد ما عن النفوذ القرطاجي ، حيث تفصلها بعض الممالك التي تقع إلى الغرب من قرطاجة "الممالك النوميدية".

الثانية : تنطلق من أقصى الشرق من مصر إلى فزان عبر واحات الجغبوب وزويلة ، وهذه أيضا لم تكن تخدم القرطاجيين لبعدها عن نفوذهم وسيطرتهم[3].

أما الطريقان الآخران فهما ينطلقان من الأراضي الخاضعة لقرطاجة ، وكان هذان الطريقان أنشط الطرق التجارية في القارة ، **فأحد الطرق:** كان

(1) J , Alfred , Church . M . A , op . cit . P.118 .

(2) Ibid . P. 121 .

(3) Picard , G , and colette Charles , op . cit . P. 220 .

ينطلق من لبده مرورا بأبي نجيم ، حيث يربط خليج سرت بفزان ، ثم يستمر حتى بحيرة تشاد ، ويتفرع غربا إلى النيجر ، وشرقا إلـــى بــلاد الــسودان الحالية ، ويسيطر على هذا الطريـــق مـــن وســطه وجنوبـــه النـــسامونيز والجرمنتيون ، أما **الطريق الآخر:** فإنه ينطلق من صبراتة إلـــى غــدامس ، ومنها إلى أراط ثم سكوتو والنيجر الأوسط[1] ، ويبدو أن التجارة عبر هذين الطريقين كانت مزدهرة جدا ، وقد انعكس ذلك على الوضع الاقتصادي لإقليم المدن الثلاث المنفذ البحري لهما حتى سمي بــإقليم الأمبــوري ، أو إقلـــيم الأسواق التجارية[2] ، وكان ذلك محل اهتمـــام القرطـــاجيين قبـــل فـــرض سيطرتهم المباشرة على الإقليم ، حيث كان تجارهم يأتون من قرطاجة إلـــى مدن الإقليم ، وخاصة صبراتة ، وينتظرون القوافل التجاريـــة الآتيـــة مـــن أواسط أفريقيا محملة بالعاج والأحجار الكريمة وريش النعـــام ...الـــخ[3] ، ونتيجة لذلك فقد حاول القرطاجيون ممارســـة التجـــارة بأنفـــسهم ، وإبعـــاد الوسطاء التجاريين بعد أن أصبحت التجارة البرية محل إهتمامهم ، فـــأرادوا الوصول إلى مصادر تلك البضائع والسلع ، فقد كان الجرمنتيون يفرضـــون جزية ضخمة على تلك القوافل ، فأقاموا لذلك علاقات حسنة معهم ، وعملوا على تسيير قوافل خاصة بهم تعبر الصحراء وتصل إلى مبتغاهم[4] ، وبالفعل فقد ذُكر أن هناك قافلة تجارية قرطاجية تعمل لحساب أحـــد القرطـــاجيين – وكان هو على رأسها – قد عبرت الصحراء ثلاث مرات إلـــى الجنـــوب ، ويذكر أنها وصلت إلى بلاد النيجر ، وكانت وسائل النقل في ذلـــك الوقـــت تعتمد على الحمير والخيول والثيران ، حيث إن الجمل لم يعرف في أفريقيـــا بعد[5] ، ومع ذلك فإن القرطاجيين لم يستغنوا نهائيا عـــن خـــدمات الـــسكان

---

(1) ميرز ، ج.ل ، الأترووريون والقرطاجيون ، المرجع السابق ص498.

(2) أبو حامد ، محمود الصديق ، المرجع السابق ص130 – 131 .

(3) Picard ,G .and Colette Charles , op . cit . P. 223 .

(4) بولم ، دنيس ، الحضارة الأفريقية ، ت: علي شاهين ، دار مكتبة الحياة ، بيروت1973م ص34 ـ 35

(5) Picard, G. and Colette Charles , op.cit. P.219 .

المحليين من الجرمنت النسامونيز في قيادة قوافلهم التجارية.

أما أهم السلع المستوردة التي كانوا يحصلون عليها من الأفارقة ، فقد تمثلت في الذهب المستخرج من نهر السنغال وغينيا ، والعاج الذي كان يحصل عليه الأفارقة من الفيلة ، وقد بلغ هذا النوع من الأهمية أن تخصص فيه بعض التجار ، فتذكر لنا المراجع أن أحدهم كان يدعى "زبيق" ورد اسمه على نصب في قرطاجة ، حيث ذكر إلى جانب وظيفته كلمة: "مكرفل" ، وهي كلمة فينيقية تعني في نظر البعض تاج عاج ، ويراها آخرون أنها تعني فيلة[1] ، وكذلك الأحجار الكريمة التي كانت لها شهرة عظيمة في أوربا ، وهو ما يعرف بالحجر القرطاجي ، وكانت تشمل العقيق الأحمر والأخضر[2] ، وكذلك جلود وفراء الحيوانات المفترسة ، كالأسود والنمور التي كانت تزين بيوت الأرستقراطية من القرطاجيين ، وكذلك راجت تجارة القرود التي وصلت إلى خليج مسينا وبلاد الإغريق ، وبعض الطيور ، كالببغاوات وريش النعام ، يضاف إلى ذلك سلعة الملح التي كانت رائجة لدى القرطاجيين وتستخدم في صناعة الأسماك[3] ، كما أن الفيلة قد احتلت مكانا بارزا في تجارة القرطاجيين الأفريقية ، حيث كانت أنيابها مصدرا للعاج ، ويذكر بعض الباحثين أن العاج المستخرج من أنياب الفيلة كان ذا استخدامات مختلفة ، منها: أدوات الحياة اليومية والتماثيل الإلهية ، وقد بلغت أهمية هذه التجارة مبلغا جعلت من الفيل رمزا لتجارة المدن الثلاث[4] ، ولا يستبعد أن يكون لتجارة الرقيق نصيب في هذا النشاط الشامل ، حيث يذكر هيرودوت في كتابه الرابع عن الجرمنتيين أنهم كانوا يستخدمون العربات التي تجرها أربعة خيول في مطاردة أبناء شعب آخر

---

(1) فنطر ، محمد ، الحرف والصورة في عالم قرطاجة ، المرجع السابق ص214 .

(2) الميار ، عبد الحفيظ ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ص189 .

(3) بوتسيروب ، اليكس ، المرجع السابق ص45 .

(4) الميار ، عبد الحفيظ ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ص190 .

تفوق سرعتهم سرعة أي رجل آخر ، وهم سكان الكهوف[1] ، ويرجح أنهم الأثيوبيون أو الزنوج الآن ، وعلى الرغم من أنه لم يذكر صراحة أنهم كانوا يتاجرون بهم ، إلا أن وجود العنصر الزنجي في مقابر شمال أفريقيا وكذلك استخدام القرطاجيين لهم في مزارعهم الخاصة في جزر البليار ، واحتواء الجيش القرطاجي الذي غزا صقلية في القرن الخامس ق.م على العنصر الزنجي دلالة على شراء القرطاجيين للرقيق من الجرمنتيين[2].

وكان نظام التبادل التجاري يتم عن طريق المقايضة ، حيث كان القرطاجيون يبادلون هذه السلع ببعض البضائع التي يجلبونها من بلدان البحر المتوسط ، وببعض صناعاتهم المحلية ، كالحلي والعطور والنسيج والأطباق والأواني والجرار الفخارية[3] ، إلى غير ذلك مما يحتاجه الأفارقة في حياتهم اليومية ، وكان لهذا النظام أثر بارز في تأخر سك العملة في قرطاجة ، حيث استمر العمل بالمقايضة نظرا لعدم وجود منافسين آخرين في هذا الميدان[4] ، وقد ساعد هذا على نمو الصناعة وزيادة أرباح القرطاجيين من وراء هذه التجارة ، حيث عملوا كوسطاء بين قارة أفريقيا وشعوب البحر المتوسط ، فظلا عن توفير حاجاتهم الخاصة بهم.

حقا لقد كانت التجارة البرية مصدر ثراء للقرطاجيين ، تدر أرباحا وفيرة وأموالا غزيرة عوضتهم عن فقدانهم لجزء من تجارتهم البحرية بعد منافسة الإغريق لهم ، ووفرت لهم فائضا في ميزانية دولتهم ساعدهم على الازدهار فأصبحت ركيزة أساسية من ركائز الاقتصاد القرطاجي حتى سقوط قرطاجة عام 146ق.م.

---

(1) هيرودوت ، الكتاب الرابع ، ت: محمد المبروك الذويب ، المصدر السابق ، فقرة 183 .

(2) بوفيل ، المرجع السابق ص58 ـ 59

(3) مهران ، محمد بيومي ، المغرب القديم ، المرجع السابق ص235

(4) غانم ، محمد الصغير ، التواجد الفينيقي في الجزائر ، المرجع السابق ص162

الضرائب

عرفت الدولة القرطاجية النظام الضريبي منذ نشأتها كمدينة تجارية على شواطئ أفريقيا الشمالية ، حيث كان هذا النظام المالي معروفاً لدى الفينيقيين في الشرق ، ومعمولاً به في الوطن الأم "صور" ، وفضلاً عن أنه كان من رموز الطاعة الدينية حيث كان للآلهة والمعابد نصيب من ثروات السكان ، فقد كان يمثل في الشرق رمزاً من رموز السيادة للملك وخضوع الرعية له أيضا ، فقد كانت بعض الضرائب تجبى من الرعية لحساب الملك في المدينة ، ولا تجبى من المدن الخاضعة خضوعاً غير مباشر لذلك الملك أو الشعوب المحتلة[1] ، وكانت قرطاجة نفسها تقدم هذه الأموال التي نطلق عليها اسم "الضريبة" للمدينة الأم "صور" حتى سقوط الأخيرة في أيدي البابليين خلال القرن السابع ق.م ، فقد ثبت أن القرطاجيين كانوا يقدمون لصور ضريبة العشر من ثرواتهم ، فضلاً عما يكسبون أثناء حروبهم وغزواتهم ، ولكنها منذ القرن الخامس ق.م تقلصت تلك الضريبة ، واقتصرت على الضريبة الدينية التي كانت تقدم للإله ملقرت عند المشاركة السنوية في الاحتفالات الدينية[2].

وبعد أن استقلت قرطاجة عن الشرق الفينيقي وأصبحت دولة مستقلة لها كيانها السياسي وجهازها الإداري الخاص ومؤسساتها السياسية ، كان عليها أن تعمل على إيجاد موارد اقتصادية تكون أساساً داعماً لاستمرار هذا الكيان ، فبالإضافة إلى التجارة التي كانت تمثل عصب حياتها الاقتصادية الرئيس بدأت تتجه نحو الزراعة والصناعة ، خاصة بعد القرن الخامس ق.م ، حيث أبانت الأحداث أن الدولة في حاجة إلى خزينة عامة لا يملكها أفراد ، وتكون مختصة بالمصاريف العامة ، حيث كانت الأنشطة الاقتصادية مملوكة

(1) الفرجاوي ، أحمد ، المرجع السابق ص48

(2) المرجع نفسه ص 40 – 44.

للأفراد وبالتالي فهي ممتلكات خاصة ، وبذلك برزت الضرائب كمورد اقتصادي مهم للدولة ، وكمورد سيادي تمارسه وتحصله السلطة السياسية في الدولة على الرعايا التابعين لها في الحوض الغربي للبحر المتوسط بشكل عام ، وفي الفضاء الأفريقي بشكل خاص.

احتلت الضرائب مكانة بارزة ضمن الموارد الاقتصادية للدولة بعد أن وجهت قرطاجة اهتمامها نحو اليابسة في أفريقيا ، وظهرت الحاجة الماسة لهذه الضرائب عند ما أصبحت الدولة في حاجة إلى الأموال بشكل مستمر للصرف على الدفاع عن مصالحها التجارية في الحوض الغربي للبحر المتوسط من خلال تكوين الجيوش والصرف عليها ، تلك الأموال التي يجب أن لا تكون ملكاً لأحد حتى لا يمنعها متى شاء ، ونتيجة لذلك فقد أولى القرطاجيون هذا المورد عناية خاصة ، وعينوا له جهازاً إدارياً خاصاً في كوادر الدولة السياسية ، فكان لها مجلس خاص يتكون من ثلاثين عضواً[1] ، على رأسه وزير عُرف بوزير المالية ، هذا المجلس الذي كان يختص بكافة مصروفات وواردات الدولة ، بعد أن أصبح هناك مال عام كان عماده الضرائب التي تجبى من الرعايا ، والرسوم التي تفرض على التجارة الخارجية ، والجدير بالذكر أن من يتولون المهام الرسمية في الدولة لم تكن تصرف لهم مرتبات[2] ، حيث لم تكن هناك خزينة عامة في بادئي الأمر ، وهذا الجهاز كان يسهر على تنظيم وإدارة هذه الأموال ، حيث ظهرت بعض الوظائف التي تدل على ذلك في المدن التابعة إلى قرطاجة ، ففي مدينة لبده مثلا والتي تعتبر عاصمة الأمبوري كان هناك موظفون يسمون محازيم "mhzem" ، وكانوا جباة للضرائب والرسوم الجمركية ، كما أنهم كانوا

(1) الهادي ، عبد الله أحمد ، المرجع السابق ص70

(2) أرسطوطاليس ، السياسة ، المرجع السابق ص175.

يراقبون الأسعار وتوفير السلع للأسواق المحلية[1].

وانقسمت الضرائب في الدولة القرطاجية إلى ثلاثة أقسام تقريباً وفق احتياجات الدولة ، وعلى الرغم من ندرة الوثائق التي تتحدث عن هذا النظام الاقتصادي ، إلا أنه ومن خلال تتبع نظم الدولة السياسية يمكن لنا أن نجتهد في تقسيم تلك الضرائب على النحو التالي:

1 – الضرائب التي كانت تجبى من الرعية غير القرطاجيين ، وهؤلاء كان أغلبهم من الرعايا الأجانب الذين عاشوا في كنف الدولة القرطاجية ، وكانوا يمارسون أعمالاً مثل التجارة والصناعة والحرف الأخرى[2] ، ومن الرعايا اللوبيين خارج المدينة ، حيث كانت تفرض عليهم ضريبة العشر على محاصيلهم الزراعية ، وتتغير الضريبة وفق حاجة الدولة ، ففي الحالات الطارئة والحروب كانت ترفع إلى الربع ، وأحياناً إلى النصف[3] . وكانت هذه الضرائب عادة ما تستخدم لتمويل الحملات العسكرية ، وإنشاء الجيوش والصرف عليها ، ودفع مرتبات المرتزقة الذين يتم استقدامهم من البلاد الأخرى الغير خاضعة للنفوذ القرطاجي ، وكان لها جباتها ، وتذهب مباشرة إلى خزينة الدولة ، وكانت تلك الضرائب مجحفة في كثير من الأحيان في حق هؤلاء ، خاصة وأن الحروب قد تداركت بشكل مستمر ، وأصبح الصراع الإغريقي القرطاجي صراعاً مفتوحاً لا يرتبط بزمن أو بظروف معينة ، مما جعل السكان المحليين يئنون من تلك الضرائب ، وينتفضون في وجه القرطاجيين ، ولا أدل على ذلك من تحول ثورة الجند المأجور عام 241 ق.م إلى ثورة محلية قام بها ودعمها اللوبيون ، وكان

(1) الميار ، عبد الحفيظ ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ص128

(2) J , Alfred , Church . M . A , op . cit . P.116 .

(3) برايس ، ف . ن ، المرجع السابق ص262.

لرفض دفع الضرائب دور أساسي فيها ، إلى جانب التجنيد العسكري وتحرير الأراضي.

2 - الضرائب التي كانت تفرض على المدن والأقاليم التابعة لقرطاجة ، وهذه تشمل معظم الأقاليم في شمال أفريقيا وسردينيا وصقلية ، وكانت هذه الضرائب تفرض على الإقليم كوحدة واحدة ، ثم تترك طريقة جبايتها ومقدارها على الأفراد بأيدي المجالس الحاكمة في تلك الأقاليم ، وتقدر هذه الضرائب حسب حالة الإقليم الاقتصادية ، وبالرغم من عدم توفر معلومات كافية عن الأقاليم الأخرى ، إلا أن الضرائب المفروضة على إقليم الأسواق " لبده الكبرى - ويات - صبراتة " تعتبر مثالاً على ذلك ، فقد كانت قرطاجة تفرض على مدينة لبده ما قيمته ثالنت ، أي ما يساوي حوالي" 240 جنيهاً استرلينياً" في اليوم الواحد[1] ، ولا ندري بالتحديد إن كانت تلك الضريبة تفرض على لبده وحدها أم ذكرت هذه المدينة كمركز لإقليم المدن الثلاث ، ولكن المرجح أن المدن الأخرى مثل صبراتة وويات كانتا تدفعان مثل تلك الضريبة ، وكانت هذه المدن تدفع الرسوم على الصادرات من موانئها والواردات إليها[2] ، ومن المرجح أن تلك الضرائب كانت تصرف في النشاطات الرئيسة للدولة ، مثل: إنشاء الأساطيل الحربية ، وإنشاء الموانئ وتحسينها ، وإقامة المصانع الإستراتجية ، وكذلك إعداد الحملات الكشفية ، كحملة كشف أفريقيا وجزر الكاسيتيريد ، حيث كانت تلك الحملات تنظمها الدولة من أجل إنشاء مراكز متقدمه لها ، لتكون نقاط ارتكاز لأساطيلها التجارية ، ومحطات متقدمة تكون

---

(1) أبو حامد ، محمود الصديق ، المرجع السابق ص128.

(2) المرجع نفسه ص128.

مستوطنات مستقبلية[1] ، وبما أن تلك الرحلات كانت تحتاج مصاريف لتمويلها ، فإن الدولة ملزمة بتغطية تلك النفقات ، حيث إن الضرائب المفروضة على الرعايا لا يمكن من خلالها تمويل الحروب والصرف على تلك المشاريع الإستراتيجية.

3 - الضرائب المفروضة لمصلحة المعابد ، وهي ما يمكن أن نسميها بالضرائب الدينية ، وهذه الضرائب كان يؤديها كل القرطاجيين بمختلف فئاتهم الإجتماعية[2] ، وكانت تقليداً متبعاً في المدن الفينيقية في الشرق ، وتصل قيمة تلك الضرائب إلى عشر المحصول وقت الحصاد ، وكانت هذه الضرائب ترسل إلى الإله ملقرت في صور في القرون الأولي ، ولكنها تراجعت منذ الخامس ق.م وأصبحت تدفع لمعابد المدينة ، وكانت هذه الضرائب تنفق في موازنة الدولة التسييرية على الأرجح ، وما يفيض منها كان يصرف في الشؤون العامة ، ومن المرجح أن جلّها كان يدفعه النبلاء والأشراف القرطاجيون ، ويبدو أن هذا ما كان يعنيه المؤرخ بولوبيوس عندما ذكر أن نفقات الحملات العسكرية والحروب كانت تؤخذ من الرعايا الليبيين ، أما ما يصرفه القرطاجيون في شؤونهم الخاصة فقد كان يؤخذ من أقاليمهم[3] ، ومن الواضح أنه كان يتم التلاعب في تلك الضريبة ، فقد خصها القانون القرطاجي بعناية خاصة فنظمها في لوائح وقوانين ، وفرض العقوبات على كل كاهن يحاول مخالفة تلك القوانين ، ولولا وجود تلك المخالفات لما ظهرت الحاجة إلى وضع ضوابط لها ، كما أن ضريبة المعابد بهذه الصورة كانت لها مكانة خاصة في ميزانية الدولة ،

---

(1) وار منحيون ، ب.ه ، العصر القرطاجي ، المرجع السابق ص459 .

(2) الفرجاوي ، أحمد ، الرجع السابق ص 41.

(3) البقلوطي ، حبيب ، المرجع السابق ص284 .

وكانت تمثل قدسية محددة من الناحية الدينية ، فلا يجوز التلاعب في أقدس جانب في حياة المجتمع القرطاجي ، فوجدنا إحدى النقوش التي عُثر عليها في قرطاجة والتي عُرفت ب "تعريفة مرسيليا" ، وهي ذات صبغة دينية ، تحدد فيها العلاقة بين الكاهن والزائرين ، ومن خلال هذه النقيشة يمكن معرفة أهمية هذا المورد الاقتصادي ، فقد كان يخضع لهيكلية إدارية على أعلى المستويات ، حيث كان هناك مجلس خاص بها أطلق عليه مجلس الثلاثين ، فتذكر "النقيشة" في السطر الأول على سبيل المثال أن الضرائب المنصوص عليها في تلك اللوحة قد حددها مجلس الثلاثين المكلفين بالضرائب ، ثم تتحدث عن أنواع الضرائب وكيفية جبايتها ومقدار الضريبة حسب نوع التقدمة التي يقوم بها الزائر ، فعلى كل زائر يقدم أضحية أن يدفع مقداراً من الفضة بالإضافة إلى اللحم ، ثم يتطرق في آخر الأمر إلى فرض العقوبة على كل كاهن يأخذ ضريبة تخالف النص الذي ورد في هذه النقيشة[1].

إذاً لقد أصبحت الضرائب تمثل مورداً مهماً من موارد الدولة بعد تحول قرطاجة نحو البر الإفريقي وبسط سلطانها على الرعايا اللوبيين عقب القرن الخامس ق.م ، وأصبحت السلطة فيها تعتمد على الضرائب بشكل كبير في تمويل الحملات العسكرية ، وإعداد الجيوش ، والقيام بالكثير من المشاريع الإستراتيجية ، وأصبحت الممول الرئيس لخزينة الدولة ، خاصة وأن قرطاجة أصبحت في حاجة ماسة – وبشكل مستمر – لتوفير الأموال لمواجهة الحروب المتواصلة ضد الإغريق في صقلية وسردينا ، وفي أفريقيا أيضاً ، خاصة وأن الموارد الاقتصادية الأخرى كالتجارة والزراعة وبعض الصناعات مملوكة للأفراد وليس للدولة ، وبذلك كانت الضرائب المورد الأساسي الذي اعتمدت عليه قرطاجة في تلك الظروف .

(1) فنطر ، محمد ، الحرف والصورة في عالم قرطاجة ، المرجع السابق ص77 ـ 76.

هكذا جاء القرن الخامس ق.م مصحوبا بتغيرات جذرية في حياة المجتمع القرطاجي السياسية والإقتصادية ، أملتها عليه ظروف المنافسة والحرب مع الإغريق في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، فقد نتج عن ذلك الصراع تبدلات مهمة في الحياة السياسية استلزمت وضع هيكلية جديدة لتسيير شؤون الحكم تتلائم ومتطلبات ذلك الصراع ، فاستحدثت هيئات لم تكن معروفة من قبل ، وسنت القوانين التي تنظم هذه الهيئات ، وتحولت الدولة إلى دولة عسكرية أكثر منها مدنية ، مما أفسح المجال لظهور القادة العسكريين ، وهذا بدوره أدى إلى وجود تيارات سياسية تتنافس على السلطة ، وكان على الدولة معالجة مثل هذه الأمور بإيجاد أجهزة لها صلاحيات الحد من خطر هؤلاء الجنرالات ، كما ساهم هذا التحول في ظهور تيار سياسي جديد مثلته طبقة ملاك الأراضي داخل مجلس الشيوخ ، فكان لها من القوة ما جعلها تسيطر عليه فيما بعد ، كما أن هذا التحول نحو البر الإفريقي قد ترتب عليه انتزاع الكثير من الأراضي من أيدي أصحابها الأصليين ، مما دفعهم للقيام بمقاومة القرطاجيين والقيام بالثورة عليهم.

أما على الصعيد الاقتصادي فقد ساهمت المنافسة الإغريقية في تحول القرطاجيين إلى البر الإفريقي ، حيث نتج عن ذلك تحول الدولة إلى دولة برية معتمدة على الزراعة والصناعة كدعامات رئيسة للاقتصاد القرطاجي ، وتراجع الاعتماد على التجارة البحرية التي كانت تحتل المرتبة الأولى ، وهذا ساعد على نشوء نهضة زراعية شاملة في المنطقة – موضوع الدراسة – وضعت فيها أسس علم الزراعة الحديث ، كما أن ذلك التحول ساعد على تطور الصناعة وازدهارها ، كصناعة الأدوات المنزلية ، والأدوات الزراعية والحربية ، نتيجة حاجة الدولة لها ، هذا فضلا عن أن تلك المنافسة قد لفتت أنظار القرطاجيين إلى أهمية التجارة البرية وأهمية موارد أفريقيا وبالتالي دفعتهم إلى ولوج وعبور مجاهل الصحراء ، ومحاولة الدوران حول ساحلها الغربي " رحلة حنون" ،

وإنشاء مراكز متقدمة لهم فيها ، كذلك أصبحت الضرائب موردا اقتصاديا مهمـــا للدولة لتمويل الحملات العسكرية في مواجهة الأخطار الخارجية ، وما ترتـــب على ذلك من احتكاك مع سكان البلاد الأصليين تبودلت فيه التأثيرات الاجتماعية والدينية كما سنرى في فصل لاحق.

الفصل الرابع

التأثيرات الاجتماعية والدينية

المبحث الأول

التأثيرات الاجتماعية

* الليبوفينيقي .
* التركيبة الاجتماعية .
* الجاليات الأجنبية .
* اللغة والكتابة .

التأثيرات الاجتماعية

الليبوفينيقي :

جاء الفينيقيون إلى الشمال الإفريقي كتجار في بادئ الأمر ، وانحصر وجودهم في مجموعة من المرافئ على سواحل إفريقيا الشمالية ، ولكن وفرة المعادن ووقوع هذه المرافئ على طرق التجارة إلى المغرب ، وعدم وجـــود منافسة لهم في المنطقة ، ساعدهم على إنشاء عدد من المراكــز التجاريـــة والتي سرعان ما تحولت إلي مستوطنات دائمة استقر بها الفينيقيون فيما بعد ، فساعدتهم على التماس مع السكان المحليين ، فأصبحوا على إتصال مباشر معهم ، واحتكوا بهم من خلال تبادل السلع بينهم ، واستخدموهم في المرافئ التي أنشأوها على تلك السواحل.

هذه الظروف ترتب عليها الاندماج التـــدريجي بـــين القـــادمين الجـــدد وأصحاب البلاد الأصليين ، وليس من المستبعد أن يكون قد أدى ذلـــك إلـــى زواج بعض هؤلاء التجار من نساء ليبيات ، فبقاؤهم لفترة طويلة بعيدين عن بلادهم في الشرق يحتم عليهم تكوين أسر جديدة في وطنهم الجديد, كما أن مثل هذا الزواج كان من شأنه أن يكون وسيلة تقربهم أكثر من المجتمع الجديـــد ، ويمكنهم من ممارسة تجارتهم بصورة أفضل ، ويوفر لهم الأمان ، كمـــا أنـــه يعود على الأهالي بالنفع أكثر من ذي قبل ، عندما يكونون أصهاراً لأصحاب تلك البضائع التي يحتاجونها ويدفعون فيها الذهب ، وبذلك فـــإن مثـــل تلـــك المصاهرة من شأنها أن تعود بالمنفعة المشتركة على الطرفين ، خاصة إذا ما عرفنا أن الفينيقيين كانوا شعباً منفتحاً على كل الشعوب الأخرى ، يزوجـــونهم ويتزوجون منهم ، فكثير من القرطاجيات تم زواجهن من غير القرطـــاجيين ، خاصة من اللوبيين ، وكثير من القرطاجيين تزوجوا من أجنبيات ، وأنجبـــوا

منهن شخصيات كان لها أهميتها في التاريخ القرطاجي [1].

اختلفت الآراء حول تحديد مفهوم عنصر الليبوفينيقي الذي ظهر في شمال أفريقيا ، وكان من العناصر المؤثرة في منطقة المغرب القديم خاصة في العصر القرطاجي[2] ، فيرى معظم الكتاب القدامى[3] أن هذه التسمية قد أطلقت على الأبناء الذين أُنجبوا من أباء فينيقيين وأمهات ليبيات أو العكس ، وبذلك ظهر عنصر جديد ذو دم مختلط أطلق عليه عنصر الليبو فينيقي[4] ، وعلى الرغم من أنه كان له نفس المزايا ونفس حقوق القرطاجيين ، كحق الزواج من القرطاجيات ، وحق تولي المناصب في الدولة القرطاجية ، بل وله حق الإعفاء من الضرائب والخدمة العسكرية[5] ، إلا أن لهذا العنصر الجديد لغته وكتابته الخاصة به, والتي كانت مزيجاً بين اللغة المحلية واللغة الفينيقية ، أي ما يشبه "جنس السواحلية في شرق إفريقيا في التاريخ الحديث الذي ينحدر من آباء عرب وأمهات أفريقيات" ، فقد عثر في جنوب شبه جزيرة البيرنيه على نقود مكتوب عليها بالخط الليبي الفينيقي ، فمن الجائز أنه كان لمزيج من السكان الأفارقة والفينيقيين الذين نقلتهم قرطاجة من إفريقيا إلى أسبانيا لتدعم وجودها هناك ، وتحكم سيطرتها على السكان المحليين[6] .

وقد شكل هذا العنصر حلقة الوصل بين الفينيقيين والسكان المحليين ، وسهل عملية الاندماج التي حدثت فيما بعد بين القادمين الجدد وبين اللوبيين ،

---

(1) أبو رونيه ، الشاذلي ، المرجع السابق ص264

(2) الحراري ، جمعة البشير ، الحياة الاجتماعية والمعتقدات الدينية في ولاية إفريقيا البروقنصلية 31 ق.م – 284 رسالة ماجستير لم تنشر ، جامعة السابع من أبريل 2004 ف ص61

(3) تيت ليف ، ديودورس ، إيفيان .

(4) Fantar , Mohamed , L`Afrique du Nord dans 1`antiquite , histoire et civilisation , payot , Paris, 1980 P 60. Decret,

(5) دوكريه, فرانسوا ، قرطاجة"الحضارة والتاريخ" ، ت:يوسف شلب الشام ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر دمشق ، 1994م ، ص70.

(6) تسيركين,يوكي بركوفيتش ، المرجع السابق – ص62.

خاصة بعد القرن الخامس ق.م ، مما ساعد على استقرار الثقافة واللغة البونية بين الأهالي ، ولم تندثر بسرعة حتى سقوط قرطاجة عام 146 ق.م ، فيقول سالوست في معرض حديثه عن لبده اكبرى: إن سكانها قد حافظوا على أخلاقهم وقوانينهم لكن لغتهم قد تغيرت جراء التزاوج مع النوميديين [1] ، وفي ذلك إشارة إلى تأثر لغتهم باللغة المحلية .

وفي الواقع فإن لهذا الرأي ما يدعمه – وبشكل قوي – إذا ما تتبعنا الظروف التي مر بها الفينيقيون في شمال أفريقيا ، خاصة بعد التحول القرطاجي نحو الفضاء الإفريقي عقب هزيمة هيميرا ، فخرج القرطاجيون من مدينتهم وامتلكوا العديد من الضياع ، واستوطنوا المناطق الريفية ، وكونوا تجمعات سكانية فينيقية بين السكان المحليين ، مما أتاح لهم فرصة الاحتكاك أكثر بالسكان ، واستخدام بعضهم في فلاحة الأراضي التابعة للقرطاجيين[2] ، كما أن الازدحام السكاني في قرطاجة وتحول أعداد لا بأس بها من اللوبيين من الأرياف إلي المدينة سواء كانوا باحثين عن عمل ، أو منخرطين في الجندية ، و بقاؤهم في المدينة بعد تسريحهم من الجيش ، نجد أن هذا أدى إلى التمازج أكثر بين العنصرين.

هذا إلى جانب نزوح عائلات قرطاجية بأكملها نحو المراكز الداخلية التي سكنها القرطاجيون واللوبيون جنبا إلى جنب مثل: دقة ومكثر وكركوان[3] ، قد أدى إلى زيادة الاختلاط مع السكان المحليين ، كما أن حاجة القرطاجيين إلى حلفاء جدد لهم من الأفارقة – يمثل لهم عمقاً إستراتيجياً من حيث توفير المؤن والجند في صراعهم ضد الإغريق – كان وراء ذلك التقارب مع السكان المحليين ، والاتصال بزعماء القبائل ، وببعض

---

(1) سالوست حرب يوغرطة ، صفحات من تاريخ شمال أفريقيا ، ت : محمد التازي سعود ، جامعة محمد بن عبدالله ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، فاس ، 1979م ص161.

(2) بورتر ، هارفر ، المرجع السابق ص105

(3) غانم ,محمد الصغير ، المملكة النوميدية والحضارة البونية ، المرجع السابق ص 148 – 156.

الممالك المحلية كالنوميديين مثلاً ، فجاء هذا التقارب في صور شتى ، كالامتزاج داخل المدن الداخلية ، وزيادة التعامل التجاري ، والمصاهرة التي جاءت على أعلى المستويات ، كزواج الأمير النوميدي "أوزالسيس" من امرأة قرطاجية من أرقى العائلات ، والتي يرجح أنها ابنة أخ الأمير القرطاجي "حنبعل" ، كما أن القائد القرطاجي أميلكار برقة قد زوج ابنته من أمير نوميدي يدعى "نارها فاس" (1) ، ويذكرأن هذا الأمير قد وقف إلى جانب القرطاجيين في حربهم ضد ثورة الجند التي وقعت عقب الحرب البونية الأولى ، كما أن الملك النوميدي "مسنسن" قد زوج هو الآخر إحدى بناته من أحد الأمراء من ذوى المكانة في قرطاجة ، ويعتقد أن ذلك الزواج كان محاولة من الأمير النوميدي لكسب أنصار له في قرطاجة ، بعد وقوفه إلى جانب الرومان في معركة زاما 202 ق.م ، حيث يرجح أن له أنصاراً في قرطاجة يعملون للتعاون معه ، وربما يدعون إلى الاتحاد معه بشكل كامل(2).

وعلى الرغم من أن تلك المصاهرات كانت تتم في أغلبها لمصالح سياسية أكثر منها اجتماعية ، إلا أن ذلك يبين لنا مدى الاندماج الذي حدث بين الشعبين عقب القرن الخامس ق.م ، والذي أملته الظروف التي مرت بها قرطاجة ، والضغط الذي أحدثه الصراع ضد الإغريق وجعلها تتجه نحو الأفارقة ، وتتقرب إليهم بشتى الوسائل ، حتى أصبح التمازج بينهما واضحاً ، فعاشوا في ظروف واحدة.

أطلقت هذه التسمية – الليبوفينيقي – على العنصر الذي نتج عن عملية التزاوج بين الفينيقيين والسكان المحليين ، واتفق معظم الكتاب القدامى على هذا اللفظ ومدلوله؛ إلا أن آراء أخرى ظهرت بين الكتاب المحدثين ترى أن هذه التسمية أشمل من الاقتصار على ذلك العنصر ، وترى أن هذه التسمية

---

(1) Fantar, Mohamed ,L`Afrique du Nord dans l`antiquite ,op .cit .P.59 . Decret,

(2) Idem.

إنما تنسحب على كل الذين شملتهم السيطرة القرطاجية المباشرة من غير المواطنين القرطاجيين الخالصين ، وبذلك فهي تشمل ذوى الدم المختلط ، واللوبيين القاطنين في مدينة قرطاجة ، والفلاحين العاملين في مزارع القرطاجيين ، والقاطنين في مدن الأرياف الخاضعة للحكم القرطاجي المباشر ، و تشمل كذلك الفينيقيين المقيمين في المراكز الأخرى التي تتمتع بشيء من الاستقلال ، ويأتي على رأس هؤلاء الكتاب ستيفان جزيل الذي يرى أن هذا اللفظ كان قد أخذ معنى إدارياً وقانونياً ليشمل مواطني المدن الفينيقية أو البونية الخاضعة لقرطاجة ، والذين يتمتعون بنفس حقوق سكان قرطاجة المدينة نفسها ، ولهم نفس المؤسسات ونفس النظم الإدارية فيها[1] ، ومع ذلك فإنه يرى أن هذا العنصر رغم الحقوق التي يتمتع بها ، فإن منتسبيه يعدون مواطنين من الدرجة الثانية في الدولة ، مثلما كان اللاتين في الإمبراطورية الرومانيه[2] ، ذلك أنهم لم يكن لهم حق المشاركة في الحياة السياسية ، وخاصة تولي المناصب العليا المنبثقة عن مجلس الشيوخ ، كتولي منصب الشفطم.

ويبدو أن لهذا الرأي ما يدعمه في كتابات الكتاب القدماء فيقول "سترابون" عند حديثه عن منطقة سكن الليبوفينيقي: "إن أرضهم تمتد من قرطاجة إلى كيفالي – حتى أرض الجيتولي الجبلية ، تلك هي أرض الليبوفينيكس" [3] ، وقد ورد في الديباجة التي جاءت في مطلع قصة رحلة حنون الكبير الاستكشافية ما يدعم هذا الرأي ، حيث جاء فيها أنه طُلب منه التوجه نحو ساحل ليبيا الغربي وإنشاء مجموعة من المستوطنات هناك ، لتكون مراكز متقدمة للنفوذ القرطاجي ، وأنه سار باتجاه الغرب على متن ستين سفينة يحمل على متنها ثلاثين ألفاً من

---

(1) Gsell , S . Tom . 1 ,op .cit .P .77 ـ 480 .

(2) Ibed .Tom . 11 ,P.289 .

(3) Strabo ,Book,XV!! .3 ـ 19 .

"الليبوفينيقي" لتوطينهم في تلك المراكز[1] .

وإذا ما اعتمدنا الرأي الأول فمعنى هذا أن عنصر الليبو فينيقي يشكل نسبة كبيرة من سكان قرطاجة الدولة ، إذ أن من أراد ترك بلاده والـذهاب للمغامرة هو من لا يجد ما يعيش عليه في وطنه الأصلي ، وأغلب هؤلاء من الذين يبحثون عن عمل ، وإذا كانت نسبة العاطلين عن العمل بلغت هذا الحـد ، فما هو العدد الفعلي لذلك العنصر؟ هذا فضلاً عن الحديث عن أن قرطاجة قد أرسلت إلى سردينيا عدداً غير معروف من الليبوفينيقي لفلاحة الأرض هنـاك ، وزراعة الحبوب[2] .

ومن هنا يبدو أن لوجهة النظر الثانية ما يدعمها ويقويهـا ، فنتيجـة الاختلاط والتمازج الذي وصل إلي حد بعيد ، حتى أصبح يطلق علـى كـل الطبقات العامة من الجانبين تسمية: الليبو فينيقي ، خاصة بعد القرن الخامس ق.م ، حيث لم نجد أثراً لهذه التسمية قبل تلـك الفتـرة ، وهـذا التـزاوج والتمازج وإن كان من المرجح أنه قد حدث مع بداية قدوم الفينيقيين ، ولكن الاندماج الكامل قد جاء – كما ذكرنا – نتيجة التحول القرطاجي إلى الفضاء الأفريقي ، والاعتماد على بدائل اقتصادية أخرى غيـر التجـارة البحريـة كالتوسع في مجال الزراعة ، بعد إن أصبح الخطر الإغريقي يهـددهم فـي البحر ، حيث نتج عن هذا الاندماج أن أصبحت هذه التسمية تطلق حتى على الفينيقيين أنفسهم القاطنين في المراكز الأخرى خارج قرطاجة.

---

(1) دوكريه, فرانسوا ، قرطاجة الحضارة والتاريخ ص104 – 110.

(2) Acquaro, Enrico , " Sardinia" , op . cit . P.264.

التركيبة الاجتماعية

إن معرفة النظام الاجتماعي الذي كان سائداً في الإمبراطورية القرطاجية والوقوف على تركيبته وأهم طبقاته ، ليس بالأمر الهين في غياب الأدلة الأثرية ، وصمت المصادر الكلاسيكية عن تناول هذا الجانب المهم من الحضارة البونية بالدراسة والتحليل ، وعلى الدارس الذي يريد الوصول إلى معرفة بعضٍ من ملامح ذلك المجتمع أن يبذل الجهد ، ويتحمل العناء في دراسة كل ما تصل إليه يده من وثائق ، وما يحصل عليه من معلومات تخص كل ما يتعلق بتلك الحضارة لاستنباط القليل في هذا الجانب ، فعليه دراسة التاريخ السياسي والاقتصادي والديني بشكل مستفيض ، والبحث بين بقايا المقتنيات والتماثيل والنقوش التي في المعابد وبعض القبور ، علّه يستنتج شيئاً فيما يتعلق بالعادات والتقاليد التي تبين حياة المجتمع ونظامه ، ومع ذلك لا يستطيع أن يصل إلى الحقائق كاملة ، وكل ما يستطيع أن يقدمه يظل اجتهاداً محدوداً في إطار استنتاجاته التي يتوصل إليها ، والتي قد تخطئ وقد تصيب ، وتبقى مجرد آراء وفرضيات ، خاصة في ظل إحجام الكتاب الإغريق واللاتين عن الجوانب المدنية لهذا المجتمع ، وإحراق قرطاجة عام 146م ، وغياب الوثائق القرطاجية التي تتناول تلك الجوانب[1].

جاءت تركيبة المجتمع القرطاجي نتيجة تداخل مجموعة من العوامل كان لها الدور الأكبر في تكوينه ، وكان على رأسها العامل الاقتصادي الذي تكونت من خلاله الطبقات الاجتماعية في قرطاجة ، فعلى الرغم من أن المولد والمواطنة كان له أهمية في انتماء وتحديد شريحة الفرد الاجتماعية ، إلا أن العامل الاقتصادي ومقدار الثروة التي يمتلكها كان الأبرز في تحديد تلك الشريحة[2] ، فمن خلال ذلك يتم تحديد وضعه الاجتماعي والسياسي في

(1) Fantar, Mohamed , L`Afrique du Nord dans l`antiquite , op . cit . P.57 . Decret,
(2) Harden, D , op . cit . P. 80.

المجتمع ، ويبدو ذلك جلياً عند دراسة التاريخ السياسي للدولة ، وتسليط الضوء على هيئاته السياسية وشروط تولي المناصب فيها ، فقد كان لكل طبقة اجتماعية معينة دورها السياسي في إطار الدولة العام ، والمناصب التي من حق أفراد تلك الطبقة توليها ، وكان مقدار ما يملكه الشخص هو المؤهل الأول لتولي المناصب التشريعية والقيادية في الدولة. هذا عن القرطاجيين ، ولكن مجتمع تلك الدولة لم يكن حكراً عليهم ، فقد كانت هناك جنسيات أخرى قد ساهمت في تشكيل ذلك المجتمع أيضاً. وقد كان لموقع قرطاجة السياسي والاقتصادي بين المدن الفينيقية في غرب البحر المتوسط دور مهم في نمو هذه المدينة اجتماعياً كنموها الاقتصادي ، فقد كانت مقصداً لكثير من الأفراد والجماعات الذين جاءوا إليها من مختلف المستوطنات الفينيقية في الحوض الغربي للبحر المتوسط ، ومن المدن الأم على الساحل الشرقي منه تحت ظروف مختلفة ، فقد كان ازدهارها الاقتصادي عامل جذب لكل من هو خارجها ، سواء كان من الفينيقيين أو من الشعوب الأخرى ، فكل شيء فيها بدا مغرياً لهم ، فسبل العيش ميسرة ، وفرص العمل فيها متاحة للجميع ، كل حسب قدراته وتخصصه ونشاطه ، فالصانع يجد المصانع التي يمارس فيها مهنته ، والمدرس والطبيب لهما مكان في تلك المدينة ، والنحات والزجاج والحائك والفلاح والعامل لهم فرص العمل متوفرة ، أما التاجر فإن خير مكان يقصده كانت قرطاجة, التي كانت خير مكان لممارسة ذلك العمل ، فهي السوق العالمي ، وملتقى البضائع والباعة والمشترين ، ومن هنا أصبحت قبلة لمختلف الفئات الاجتماعية من أمصار متعددة ، فأصبحوا يشكلون مجتمعاً مختلطاً[1] ، تختلف طبقاته حسب ثرائها ، وإن كان القرطاجيون فيه يتميزون على باقي الجنسيات الأخرى بتوليهم إدارة الحكم ، وتصريف الشئون السياسية ، كما أن للصراع الذي نشب في الحوض الغربي

(1) كمال ، آمال مصطفى ، المرجع السابق ص31

للبحر المتوسط بين الإغريق والقرطاجيين دوراً لا يمكن إغفاله في تحول كثير من تلك الجماعات إلى مدينة قرطاجة ، حيث أصبحت ملاذاً آمناً لبعضها ، كسكان المستوطنات الفينيقية في صقلية وسردينيا[1] ، وحتى لبعض الفارين من الجنسيات الأخرى ، كاليونان أنفسهم الذين فروا من ظلم دولهم وبعض اللاتين ، وأصبحت مقصداً لذوى المهارات الحرفية التي أصبحت قرطاجة تحتاجها نتيجة تلك الحروب ونمو الصناعة فيها[2] ، كما ازدادت حاجة القرطاجيين إلى الأيدي العاملة والخدم ، لحاجتهم إلى زيادة الإنتاج وتوسيع نشاطهم الاقتصادي لمواجهة تلك الحروب ، يضاف إلى هؤلاء كلهم أبناء البلاد الأصليين من اللوبيين الذين بهرتهم حياة المدينة فانجرفوا نحوها ، وفضلوا العيش فيها على حياتهم السابقة ، فتركوا أراضيهم وقبائلهم ، وانتقلوا للعيش بين ظهراني المجتمع القرطاجي في المدينة ، وأصبحت الموانئ والمصانع والأعمال التجارية الصغرى وحتى منازل الأثرياء المصدر الجديد لكسب عيشهم ، وبذلك أصبحوا يشكلون جزءاً من المجتمع القرطاجي ، الذي أصبح مجتمعاً أممياً ، يضم بين جوانبه جنسيات وأعراق مختلفة ، كانت السيادة فيه للقرطاجيين.

نشأ المجتمع القرطاجي مجتمعاً رأسمالياً كما ذكرنا ، يخضع للمعايير المادية بالدرجة الأولى دون إغفال المولد والكفاءة في الانتماء إلى أي من طبقاته ، لكن ذلك من الناحية السياسية كان محصوراً على من كانوا ينتمون إلى الأصل القرطاجي فقط ، ولا ينسحب على غيرهم ، إذ لا يجوز أن يتولى أحد من الغرباء الوظائف السياسية المهمة في الدولة من غير القرطاجيين ، حيث لم تحدثنا المصادر أن أحد القضاة كان من جنس آخر ، أو أن أحد أعضاء مجلس الشيوخ كان من غير القرطاجيين.

(1) Picard, G. And Colette Charles , op . cit . P. 118 _ 119.

(2) Idem.

ومما كان يميز ذلك المجتمع أن الصراع الطبقي فيه لم يكن واضحاً مثلما كان في المجتمع اليوناني ، أو المجتمع الروماني ، وحتى الحديث عن بعض الصراعات التي كانت تحدث بين أبناء الطبقة الواحدة ، إنما هي صراعات سياسية ، فلم يكن هناك اضطهاد واضح من قبل أبناء الطبقة الثرية لأبناء الطبقة الأدنى ، ومن هنا ومن خلال هذه الملامح يصبح من الصعب تحديد الإطار الذي يمكننا من خلاله دراسة ذلك المجتمع ، حيث تتداخل العوامل المكونة له ، فهل يدرس وفق معايير اجتماعية؟ لا يمكننا ذلك ، فالثروة هي العامل الأقوى في تحديد انتماء الفرد. أم هل يمكننا دراسته على أساس الغنى والفقر؟ يصعب ذلك أيضا ، فالمولد كذلك مهم ، ومع أن هناك من يرى تقسيم المجتمع إلى ثلاث فئات رئيسة هي: المواطنون ، والأجانب ، والعبيد[1] ، حيث يتمتع المواطنون بالحرية ، وبحقوقهم كاملة ويساهمون في بناء المجتمع القرطاجي[2] ، ولكن هذا التقسيم يغفل عنصر السكان المحليين الذين اعتمدت عليهم قرطاجة في تمويل حملاتها العسكرية ، ومنهم من اختلط بالقرطاجيين أنفسهم ، وتزاوج معهم ، وساهم بشكل أو بآخر في إدارة الدولة ، خاصة في تولي المناصب الإدارية ، وقيادة الجيوش ، ولم يصنفوا كمرتزقة أو عبيد ، ومن هذا المنطلق سنحاول التوفيق بين العاملين ، وإن كان ذلك سيظل محل نقاش ، وسنحاول تقسيم المجتمع القرطاجي إلى ثلاثة أقسام رئيسة ، مدمجين العنصر المحلي في هذه التركيبة ، وينضوي تحت بعضها فروع أصغر ، وأهم هذه الأقسام ما يلي:

طبقة المواطنين الأحرار:

تشمل هذه الطبقة كل المواطنين الفينيقيين الذين جاءوا من المدن الفينيقية في الشرق أو المستوطنات الأخرى ، واستقروا في قرطاجة ، كالذين

---

(1) البركي ، عادل عمران ، المرجع السابق ص67.

(2) فنطر ، محمد حسين ، الحرف والصورة في عالم قرطاجة ، المرجع السابق ص23

جاءوا من صقلية بعد نشوب الصراع الإغريقي فيها ، أو الذين ولدوا في قرطاجة من آباء فينيقيين ، ويسمون بعد ذلك بالقرطاجيين ، وهؤلاء يتمتعون بكامل الحرية والمزايا الاقتصادية ، ولهم حقوق المواطن ويعفون من الخدمة العسكرية الإلزامية ، كما أنهم لا يدفعون الضرائب بشكل منتظم ، وهم أعضاء في مجلسي الشيوخ والعامة ومنهم القضاة والقادة العسكريون والمشرعون ، ومنهم الحكام السياسيون ، وهم المنوطون بإدارة الدولة ، وهؤلاء ينقسمون إلى قسمين وفق ما نستخلص من خلال دراستنا للحياة السياسية في البلاد هما:

الطبقة الثرية:

تتكون هذه الطبقة من أصحاب رؤوس الأموال ، ويسمون النبلاء ، أي أصحاب المنزلة الرفيعة في المجتمع القرطاجي ، وكانت هذه الطبقة في بادئ الأمر تتكون من كبار التجار الذين أمسكوا بزمام الأمور ، وكان مجلس الشيوخ في المدينة حكراً عليهم[1] ، ليس من حق طبقة العامة عضويته ، وكان منهم القاضيان وقضاة محكمة المئة وأربعة ، وكانوا مقسمين إلى لجان داخل ذلك المجلس لتسيير شئون البلاد ، وتضم هذه الطبقة أيضاً كبار الكهنة ، حيث كان لرجال الدين مكانه سامية بين أفراد المجتمع ، وبذلك كان مجلس الشيوخ هو عنوان طبقة النبلاء في المجتمع القرطاجي ، حيث كان معيار عضويته الثروة أولاً ، ثم المولد ثانياً[2] ، ومن المرجح أن الانتماء إلى تلك الطبقة كانت متوارثة ، وبذلك تحتمت عضوية مجلس الشيوخ بالتوراث أيضاً ، وإن كان تولي المهام الكبرى يتم بطريقة الانتخاب ، حيث عثر على بعض النقوش البونية التي توحي بتوارث الأبناء عن آبائهم ، أو تكرارهم في نفس

---

(1) فنطر ، محمد حسين ، حول النقاش البونية ، مجلة الدراسات البونية والآثار اللوبيه ، عدد 11 ، المعهد الوطني للتراث 1999 م ص25 .

(2) ديكريه. فرانسوا ، قرطاجة أو إمبراطورية البحر ، المرجع السابق ص86.

الوظائف ، وإن لم يتم توليهم لتلك الوظائف بموجب القانون[1] ، ففي إحدى النقوش الجنائزية التي تحمل الرقم "5988" وجد في قرطاجة نقيشة في قبر لإحدى النساء التي تولت منصب الكهانة في قرطاجة نقش قول:

- قبر بتبعل رب كهنم حملكت. ه .رب
- بن عبد بن بدعشتر أشت حملكت ه شفط بن
- بد عشترت ه مشفط بن أدبنعل ه شفط بن عزملك
- ه شفط
- وترجمة هذه النقيشة هو:
- قبر بتبعل رئيسة كهنة بنت خميلك الرب
- بن ماجون بن بدعشترت وحرم حميلك السبط
- بدعشترت السبط أبن أدنبعل السبط بن عزملك
- السبط[2]

فمن خلال هذه النقيشة يمكننا الوقوف على بعض من ملامح المجتمع القرطاجي ، حيث إن للمرأة مكانة بارزة في ذلك المجتمع ، فقد كانت تتولى الوظائف الدينية الكبرى ، وترتقي إلى رئاسة هذه الهيئة الدينية ، ومع أننا لم نسمع عن ممارسة المرأة للوظائف السياسية ، إلا أن ممارستها للوظائف الدينية يعطيها مكانه خاصة. كذلك نلاحظ الانتماء الأسري القوي والروابط التي تربط الفرد بأسرته التي أنجبته ، وبذلك نجد أن هذه المرأة نسبت إلى أبيها قبل زوجها ، رغم المكانة السامية التي كانت تحتلها أسرة زوجها في قمة الهرم السياسي والاجتماعي في قرطاجة ، وتوارثته أباً عن جد.

---

(1) فنطر, محمد حسين ، لمحة عن الحضارة البونيقية ، المرجع السابق ص29 – 30.
(2) فنطر, محمد حسين ، حول النقائش البونية ، الرجع السابق ص25.

وإلى جانب طبقة التجار ظهرت طبقة أخرى من النبلاء منذ القرن الخامس ق.م ، تلك كانت طبقة ملاك الأراضي التي أصبح أفرادها المنافسين الأقوى للتجار ، وأصبحوا يفرضون سلطانهم بفضل نمو ثروتهم ، حتى أصبحت لهم الكلمة العليا في الدولة ، وانتزعوا إلى حد كبير سلطة القرار من أيدي التجار والعسكريين[1] ، فاستحدثوا أنظمة سياسية جديدة ، أصبحت أداة في أيديهم لمراقبة القادة العسكريين على وجه الخصوص ، وأصبحت تشكل دولة داخل الدولة ، فأعضاؤها كانت لهم الأغلبية في المجلس التشريعي ، ويهيمنون على كل شئ في الإمبراطورية ، ومن الجدير ذكره: أن أبناء هذه الطبقة كانوا معفين من الضرائب الإلزامية التي كانت تفرض على أبناء الطبقة العامة واللوبيين ، وليس من الواضح إن كانوا لا يدفعون الضرائب نهائياً أم بشكل جزئ ، ذلك أن القرطاجيين كانوا دائماً ينفقون ما يستخلصونه من إقليمهم في قضاء شئونهم الخاصة[2] ، وبالنظر لهذه العبارة يمكن لنا أن نفسرها ونستشف منها ، أن القرطاجيين كانوا يساهمون بنصيب في تمويل خزينتهم للصرف على أجهزة الدولة ، أي ما يعرف بالميزانية التسييرية ، ويرجح أن ذلك كان طواعية دون إكراه ، ولكننا إذا ما نظرنا إلى حالة الإقليم القرطاجي أثناء حرب المرتزقة الذي كان مملوءاً بالمواد الغذائية والفواكه ، في حين أن الدولة قد عجزت عن تسديد أجور الجند ، تبين لنا أن أفراد تلك الطبقة كانوا لا يدفعون الضرائب ، ومن الجائز أن عبارة بولوبيوس كان المقصود بها طبقة العامة من القرطاجيين ، وليس طبقة النبلاء.

---

(1) كمال ، آمال مصطفى ، تاريخ المغرب القديم ، الموسوعة الإفريقية ، المرجع السابق ص30.

(2) فنطر ، محمد حسين ، لمحة تاريخية عن الحضارة البونية ، الرجع السابق ص30.

طبقة العامة :

ينتمي إلى هذه الطبقة أبناء العائلات الفقيرة من القرطاجيين ومتوسطى الحال ، كصغار التجار والحرفيين والصناع والنساجين والزجاجين[1] وملاك الأراضي ووكلاء كبار الملاك في أراضيهم الذين يشرفون على زراعة وحراثة الأقاليم القرطاجية ، وكذلك تشمل الفينيقيين من غير القرطاجيين المقيمين في نطاق مدينة قرطاجة ، وهؤلاء كانوا يتمتعون بحقوقهم السياسية والمدنية ولكن بدرجة أقل ، وليس لهم التأثير القوي في المجتمع القرطاجي ، ويمثل هؤلاء ما يعرف بمجلس الشعب في الحكومة القرطاجية ، حيث نجد أن صلاحيات ذلك المجلس محدودة إلى حد كبير ، ومع أن تلك الصلاحيات قد ازدادت عقب القرن الثالث ، إلا أنها تظل في مستوى أضعف من صلاحيات مجلس النبلاء "مجلس الشيوخ" ، فصلاحياته تقتصر على التصويت والفصل في القضايا التي يقع حولها الخلاف بين الشوفيتم ومجلس الشيوخ ، أو تقع داخل المجلس نفسه ، ثم أصبحت من مهامه اختيار القادة العسكريين[2] .

ولا ندري – بالضبط – إن كانت مورست ضغوط على هذه الطبقة ، ولكنه بشكل عام لا نلمس في المجتمع القرطاجي مثل ذلك الصراع ، وكان أبناؤهم يلتحقون بالجيش القرطاجي أداءً للواجب ، ولم تحدثنا المصادر عن إلزامهم بهذا الأمر ، وهم أقرب إلى عنصر الليبوفينيقي ، حتى اعتبر بعض الكتاب أن عنصر الليبوفينيقي إنما يشمل بعض هؤلاء القاطنين خارج مدينة قرطاجة ، وقد تزايد عدد هؤلاء بفضل الضغوط الخارجية ، خاصة على المدن الفينيقية في الشرق ، حيث انتقل كثير من أبناء الطبقة العامة والصناع ، وشكل أبناؤها العمود الفقري للحياة الاقتصادية للمجتمع القرطاجي ، ولعبوا دوراً مميزاً في المجهود الحربي للدولة ، وربما يفسر هذا تزايد أهمية مجلس

---

(1) J, Alfred , church. M.A , op . cit , P. 109.

(2) ديكرية ، فرانسوا ، قرطاجة أو إمبراطورية البحر ، المرجع السابق ص88 .

الشعب عقب القرن الثالث ق.م. وإلى جانب هؤلاء يوجد اللوبيون الأحرار الذين يقعون في مركز متوسط بين الطبقة العامة من القرطاجيين ، وبين طبقة الخدم والعبيد في المجتمع ، فهم أحرار من العبودية ، ويشتغلون لصالح أنفسهم ، ولا يتقاضون أجوراً من الطبقة الإرستقراطية ، ولكن عليهم واجبات للدولة ، فهم يدفعون الضرائب ، ويجندون إلزامياً في الجيش كواجب وطني[1] ، وعلى الرغم من هذه الواجبات ، إلا أنهم ليس لهم الحق في عضوية المجالس السياسية التي تدير شئون الدولة ، فلاهم بالسادة ذوي الحقوق ، ولاهم بالعبيد المأجوريين.\ وفي آخر تركيبة المجتمع القرطاجي تأتي طبقة الخدم والعبيد.

طبقة العبيد:

لم يكن المجتمع القرطاجي في نشأته يحوي بين طياته هذه الطبقة الاجتماعية على ما يبدو ، فلم يرد ذكرها في القرون الأولى من تأسيس قرطاجة عندما كان المجتمع فينيقياً خالصاً يغلب على حياته الاقتصادية النظام التجاري ، وإن كان – بالضرورة – لا يخلو من الخدم والعبيد الذين يقومون بالأعمال المنزلية لدى أسيادهم من الفينيقيين الأثرياء ، ولكن الطبقة الدنيا كانت ممثلة في العمال الذين جاءوا للعمل في السفن والموانئ التجارية ، وقاموا ببعض الأعمال الأخرى مقابل أجر يتقاضونه ، وكانوا في غالبهم من السكان المحليين الذين استقبلوا أولئك التجار الوافدين من عرض البحر ، وتعامل معهم الفينيقيون

كوسطاء تجاريين مع بني جلدتهم في كثير من الأحيان ، ولكن الاستقرار الدائم للقادمين الجدد ونمو ثروتهم وتزايد نشاطهم وأعمالهم وبلوغهم درجة عالية من الترف ، حتم عليهم البحث عمن يقومون لهم ببعض

(1) الميلي ، محمد مبارك ، المرجع السابق ص141 .

الأعمال الخاصة بشكل مستديم ، ووجدوا مطالبهم في بادئ الأمر من الأفارقة الذين تركوا حياة الأرياف والتحقوا بالمدينة باحثين عن عمل لهم ، ثم أصبحت أعداد هؤلاء في تزايد مستمر بازدياد الحاجة إليهم ، وبالتوسع القرطاجي في الفضاء الأفريقي وحرمان الكثير منهم من أراضيهم ، فتحولوا إلى خدم وعبيد.

فمع التحول القرطاجي نحو الفضاء الإفريقي في القرن الخامس ق.م ، وازدياد حدة الصراع مع الأغريق ، بدأت هذه الطبقة تظهر بشكل بارز في تركيبة المجتمع القرطاجي الاجتماعية ، فقد أدى استحواذ القرطاجيين على الكثير من الأراضي الزراعية في إفريقيا إلى حرمان أصحابها الأصليين منها ، وأدى ذلك إلى تغير نشاطهم الاقتصادي ، فمنهم من تحول إلى الجيش ، ومنهم من فر إلى خارج النفوذ القرطاجي ، وتحولت غالبيتهم العظمى إلى العمل في هذه المزارع وفي بيوت أسيادهم[1] ، وتحول بعضهم إلى المدينة نفسها للبحث عن أعمال تسد رمقهم ، وتعيل أسرهم التي حرمت من أراضيها ، كما أن ازدياد الحروب أدي إلى وقوع العديد من الأسرى بين أيدي القرطاجيين ، فتحولوا إلى خدم وعبيد لدى أسيادهم ، يساعدونهم في المصانع ، ويستغلونهم في المناجم[2] الجديدة ، فاستقروا بين ظهراني المجتمع القرطاجي ، خاصة وأن أولئك الأسرى لم يكن هناك من يفتديهم لأنهم كانوا من المرتزقة. هذا بالإضافة إلى تجارة الرقيق التي كان يمارسها القرطاجيون في الأراضي الأفريقية كما يذكر هيرودوت [3] ، خاصة وأنه ثبت استخدام العنصر الزنجي لدى الدولة القرطاجية ، سواء في الأعمال المدنية أو حتى العسكرية منها[4]. فمن هذه العناصر الثلاث تشكلت طبقة العبيد في قرطاجة ، هذه الفئة

(1) Picard , G, and Colette charles , op . cit . P.86.

(2) فنطر ، محمد حسين ، الحرف والصورة في عالم قرطاجة ، المرجع السابق ص30 .

(3) هيرودوت ، الكتاب الرابع ، ت: محمد المبروك الذويب ، المرجع السابق ص125.

(4) بوفيل ، المرجع السابق ص58 .

الاجتماعية التي لم تكن لها حقوق اجتماعية أو سياسية داخل المجتمع[1] ، أي إنها ليس لها حق المواطنة الذي يسمح لها بالمشاركة في الحياة السياسية في الدولة ، وذلك لإنهم لم يكونوا قرطاجيين[2].

ومع ذلك فإن المجتمع القرطاجي قد تميز بشكل لافت عن المجتمعات الأخرى في معاملة طبقة العبيد ، حيث أباح لهم شراء أنفسهم ، والتحرر من العبودية مقابل دفع مبلغ من المال ، وفي هذا إشارة إلى أن الأجر الذي كان يتقاضاه هؤلاء كان مجزيا إلى حد إنه يمكن ادخار جزء منه ، ومن ثَم شراء العبد لنفسه وتحريرها ، وله حق الزواج والقيام بواجباته الدينية ، فقد وجدت بعض النقوش التي تبين أن أصحابها كانوا من طبقة العبيد ولهم حرية ممارسة الشعائر الدينية.

لعبت طبقة العبيد دوراً مهماً في حياة المجتمع القرطاجي ، حيث أصبحت في القرون التالية ، أي "القرنين" الرابع والثالث ق .م تشكل ثقلاً اجتماعياً ملحوظاً بعد أن ازدادت أعدادهم بشكل كبير ، نتيجة شظف العيش الذي صاحب الحروب القرطاجية الإغريقية ، وزيادة الأسرى ، حتى أمل بعض القادة القرطاجيين في أن يشكل منهم جيشاً يعتمد عليه في تحقيق مآربه الخاصة ، فعلى سبيل المثال: إن حنون أحد الزعماء القرطاجيين قد حاول الوصول إلى السلطة معتمداً في ذلك على بعض العبيد[3] ، ومع أنه لم ينجح في دعوته هذه إلا أن مجرد تفكيره في ذلك يدل على الأعداد الغفيرة من العبيد التابعين له ، كما أن ثورة "أميلكار" التي قام بها أثناء حصار أجاتوكليس لقرطاجة عام 408 ق.م ، كان قد اعتمد فيها على ثلة من العبيد التابعين له[4] ، بعد إن منّاهم بتحريرهم ، واتخاذهم حاشية له عند توليه

(1) الميار ، عبد الحفيظ ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ص161 .

(2) الهادي ، عبدالله أحمد ، المرجع السابق ص54 .

(3) Picard,G, Le Monde de Carthage , op . cit . P.48 .

(4) J, Alfred , Church .M .A, op . cit . P.85.

السلطة ، كما يذكر أن الدولة القرطاجية سنت قانوناً لتحرير العبيـــد أثنـــاء إحدى الحروب البونية للدفاع عن المدينة ضد الرومان ، وهذا ما يعنـــي أن أفراد هذه الطبقة كانوا يشكلون عدداً غفيراً في المجتمع ، وأن من بينهم من يتقن استخدم السلاح ، إن لم يكن أغلبهم.

الجاليات الأجنبية:

لم تكن مدينة قرطاجة حاضرة الإمبراطورية البونية مدينة منغلقة على نفسها تخص الفينيقيين وحدهم ، أو حتى اللوبيين الذين أنشئت على أراضيهم ، بل كانت مدينة أممية ضمت العديد من الجاليات الأجنبية من غير الفينيقيين واللوبيين ، أولئك الأجانب الذين

ساهموا في بنائها ، وأدوا دورهم في ازدهارها ، وتركوا بصماتهم على فنونها وصناعاتها ، حتى اتهمها الكثير من الكتاب المحدثين بالعقم الفكري[1] ، ولكن السيطرة فيها كانت لأبنائها الأصليين من القرطاجيين ومن والاهم من أبناء بلاد اللوبيين ، فكانت مقاليد الحكم بأيديهم ، والشئون الاقتصادية تحت سيطرتهم ، واقتصرت السلطات السياسية على القرطاجيين رغم عدم تزمتهم ، وانفتاحهم على الجنسيات الأخرى والاختلاط بهم والتزاوج معهم.

كانت قرطاجة بفضل موقعها الجغرافي والاقتصادي مقصداً للكثير من أبناء الشعوب المجاورة ، فجاء إليها كل من أجبرته ظروف المعيشة على ذلك ، أو أراد أن يجرب حظه في الحياة بعد فشله في وطنه الأصلي.

استقر بها أولئك القاصدون يساعدهم في ذلك طبيعة القرطاجيين وانفتاحهم على العالم الخارجي ، وحاجتهم إلى التعامل مع الشعوب الأخرى[2] ، ففتحوا أبواب مدينتهم لكل من أراد الدخول إليها ، فقصدها التجار والصناع والحرفيون والفنانون والمعلمون والأطباء والمهندسون واللاجئون السياسيون والفارون من الظلم الاجتماعي في بلدانهم ، ثم لم تلبث

---

(1) فنطر ، محمد ، الحياة الثقافية والفنية بقرطاجة ، مجلة الفكر ، تونس ، السنة 9 ، العدد 3 ، ديسمبر 1963 م ص 25

(2) الشريف ، زهرة ، تأسيس قرطاجة وموجات الاستيطان الفينيقي بتونس ، مجلة الحياة الثقافية ، العدد38 ، 1985م ص141

أن أصبحت مقصداً لكثير من الأجانب الذين جاءوا كمرتزقة للعمل في الجيش القرطاجي بعد نشوب الصراع ضد الإغريق[1] ، ولم يكن لدى القرطاجيين حرج في استقبال أولئك الأجانب في مدينتهم ، والاختلاط بهم إلى حد الانصهار ، ويدلل على ذلك حالات التزاوج التي كانت تتم بينهم وبين أولئك الأجانب وعلى أعلى المستويات ، فقد كان القائد القرطاجي "حاميلكار" قائد معركة هيميرا 480 ق.م من أب قرطاجي وأم إغريقية من سيراكوزا[2] ، كما أن القائدين القرطاجيين الشهيرين في القرن الثالث ق.م "حنعبل وهاسدروبعل" كانا قد تزوجا من نساء أسبانيات[3] ، فضمت قرطاجة العديد من الأجانب ، فمنهم الأتروسك واليونان والمصريون والأسبان والسردينيون والصقليون والغاليون واللاتين والليجوريون[4] وغيرهم كثير ، ولكن تفاوتت أعداد هذه الجنسيات المختلفة ، فهناك من كانت أعدادهم قليلة ، وانصهروا في المجتمع القرطاجي ، ومنهم من كان ذا تأثير قوي ترك بصماته على ذلك المجتمع ، فمن خلال النقوش وبعض الأنصاب وبقايا المعابد التي عثر عليها في قرطاجة أمكن التوصل إلى معرفة بعض الجاليات الأجنبية التي استقرت في قرطاجة ، والتي كان لها أثر بارز فيها ، حيث كانت أعداد بعض تلك الجاليات كبيرة حتى أصبحت تشكل ثقلاً لا بأس به داخل قرطاجة نفسها ، واستطاعت أن تكون شريحة خاصة بها ، لها عاداتها وتقاليدها الخاصة بها[5] ، وتمارس حقوقها الدينية الخاصة ، حتى إنها تركت آثاراً لها تدل على وجودها ، وكان على رأس هذه الجاليات: الجالية الأتروسكية.

تعتبر الجالية الأتروسكية من أقوى وأقدم الجاليات الأجنبية حضوراً

(1)- المرجع نفسه .

(2) أبو رونيه ، الشادلي ، المرجع السابق ص264 .

(3) Picard, G , And Colette Charles , op. cit . P . 83 .

(4) ديكريه ، فرانسوا ، قرطاجة الحضارة والتاريخ ، المرجع السابق ص84 .

(5) المرجع نفسه ص85 .

في قرطاجة كما تحدثنا المصادر الكلاسيكية وأبان عنه علماء الآثار ، فقد كانت العلاقات الفينيقية الأتروسكية تعود إلى بداية الوجود الفينيقي في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، وقد أتسمت هذه العلاقة منذ البدء بالود وتبادل المصالح ، مما أضفى عليها خصوصية مميزة سمحت بالحضور القوي لكل منها لدى الطرف الأخر[1] .

ففي المدن الأترورية وجدت الكثير من الآثار الفينيقية ، كان أشهرها: تلك الصفائح التي وجدت في مدينة "بيرجي" على الساحل الكمباني ، وكان عددها ثلاثة كتب ، اثنان منها باللغة الأتروسكية ، والثالثة باللغة البونية[2] ، كما وجدت آثار تدل على انتشار عبادة الإلهة الفينيقية الشهيرة عشتارت بين أبناء الشعب الأتروسكي[3] .

هذا على الصعيد الشعبي ، أما على الصعيد الرسمي فقد شهدت العلاقات بين الطرفين تطوراً ملحوظاً وصل إلى التحالف العسكري إبان القرن السادس ق.م ، وتوج بالالتحام في معركة الأليا عام 535 ق.م ، وقد نتج عن هذا التقارب بين الشعبين استقرار عدد لا بأس به من الأتروسك في قرطاجة منذ القرن السادس ق.م ، حيث عُثر على صفيحة عاجية

تحمل على ظهرها نقيشة أتروسكية تعود إلى ذلك القرن[4] ، وازدادت هذه العلاقة عقب القرن الخامس ق.م الذي شهد ثورة الرومان على الملوك الأتروسك ، وتدمير حضارتهم ، وفرار أعداد منهم خارج ايطاليا, وكانت وجهتهم هي قرطاجة التي مثلت الملاذ الآمن لهم حيث تكونت منهم جالية في هذه المدينة, دلّت على ذلك النقوش الكثيرة التي وجدت في قرطاجة مكتوبة

---

(1) Lancel , S . op . cit . P . 120 .

(2) Grant , Michael , op . cit . P. 152 .

(3) Ibid . P . 153 .

(4) خلايلة,إبراهيم خليل ، المرجع السابق ص120.

باللغة الأتروسكية ، بلغت حداً اعتبرها فيه بعض المؤرخين من أكبر الجاليات في المدينة[1] .

ويشير إلى ذلك أيضاً اشتراك أبناء تلك الجالية في الدفاع بقوة عن مدينة قرطاجة ضد المهاجمين الإغريق أثناء حملة أجاثوكليس عام 311 – 310ق .م[2] ، على الرغم من أن البعض يتحدث عنهم كمرتزقة ، إلا أن المرجح أنهم كانوا قد أصبحوا رعايا قرطاجيين بعد أن فرّوا من السيطرة الرومانية, حيث لم يعد هناك كيان للدولة الأتروسكية في نهاية القرن الرابع ق .م.

أما عن الوجود اليوناني في مدينة قرطاجة فقد مثلته جالية كبيرة أيضاً ، لعبت دوراً مهما في حياة المجتمع القرطاجي ، وكان لها تأثير في شتى مناحي الحياة ، خاصة الجانب الاقتصادي منها ، فقد تقاطر الحرفيون والصناع والمعلمون والسياسيون بشكل كبير على قرطاجة إلى الحد الذي بلغت فيه مساهماتهم في بناء المجتمع القرطاجي إلى ظهور التأثير الإغريقي بشكل واضح في الفنون وبعض الصناعات القرطاجية ، فقد كان الكثير من هؤلاء العمال المهرة والذين أصبحوا ذوي خبرات عالية بفضل النشاط الاقتصادي المزدهر لقرطاجة يتوافدون على العاصمة البونية من مختلف أنحاء البلاد اليونانية ، وعلى وجه الخصوص من المستعمرات الإغريقية في صقلية[3] ، بسبب الصراعات المستمرة التي كانت تدور بين تلك المستعمرات ، وتولي بعض الطغاة الحكم فيها ، فمنهم من جاء باحثاً عن لقمة العيش بعد أن عجز عن الحصول عليها في بلاده ، ومنهم من جاء فاراً من العبودية التي كان يفرضها القانون الاجتماعي اليوناني نتيجة الديون المتراكمة عليه ، ومنهم من جاء لاجئاً سياسياً ، فاراً من ظلم الطغاة في تلك

(1) Picard, G , and ColetteCharles , op .cit . P.118.

(2) Acquaro , Enrico , "Phoenicians and Etroscans " ,op .cit . P. 612 .

(3) Lioyd,W . Watkiss, op . cit . P.115 _ 125.

المستوطنات[1] ، فأصبح مطارداً يبحث عن وطن جديد يستقر فيه ، ويجد فيه حريته وأمانه ، ومنهم من جاء معلماً لأبناء تلك الجالية و...الخ.

وحيث إن قرطاجة كانت العدو الأقوى للطغاة الإغريق ، فإن اللجوء إليها كان يعنى الأمان الكامل بالنسبة لهؤلاء ، كما أن قرطاجة هي الأقرب جغرافياً إليهم ، وبذلك أصبحت تلك الجالية تمثل شريحة لا بأس بها داخل المجتمع القرطاجي ، وكانت تضم شرائح مهنية مختلفة ، على رأسها: الحرفيون والصناع الذين استطاعوا أن يتركوا بصمات إغريقية على الصناعات القرطاجية منذ القرن الخامس ، حيث ظهرت التأثيرات الإغريقية بوضوح في بعض التماثيل المعبرة عن الجانب الديني[2] ، إلى الحد الذي أعتبر فيه بعض الكتاب والمؤرخين أن أغلب الموجودات القرطاجية كانت إغريقية الصنع ، واتهموا القرطاجيين ببلادة الذهن ، وأنهم اعتمدوا على استيراد حاجاتهم من بلاد اليونان؛ لأنهم لا يستطيعون مجارة تلك الصناعة ، وأنها تفوق صناعاتهم جودة[3] .

ومع أنه لا يمكننا نفي استيراد القرطاجيين للمصنوعات اليونانية ، إلا أنه لا يمكن الأخذ بهذا الرأي والتسليم به ، ومن المرجح أن الطابع الإغريقي للفن والصناعات القرطاجية ، إنما جاء نتيجة تواجد الكثير من العمال والصناع الإغريق في المصانع البونية ، فأضفوا على تلك الفنون والصناعات مسحة من الطابع اليوناني لا أكثر ، بينما مثل القرطاجيون طبقة السادة وأصحاب تلك المصانع ، وبالتالي أُفسح المجال أمام الفكر الإغريقي للظهور في ذلك الإنتاج ، ويؤيد ذلك كثرة عدد الجالية اليونانية في قرطاجة ، حيث سمح القرطاجيون لتلك الجالية بممارسة شعائرها الدينية بحرية كاملة ،

---

(1) Burn, Andrew Robert, op . cit . P.305.

(2) خلايلة ، إبراهيم خليل ، المرجع السابق ص97.

(3) Picard , G , Le Monde de Carthage , op . cit . P.37.

وبشكل مستقل ، وسمح لهم بإقامة المعابد لآلهتهم ، فقد ظهرت عبادة الإلهتين الإغريقيتين في صقلية ، وهما:" ديميتر – وكوري" ، وتم تكليف كهنة إغريق بالإشراف على الطقوس الدينية بتلك المعابد ، وهذا يوحى لنا بأهمية تلك الجالية وفعاليتها في المجتمع القرطاجي.

أما الرأي القائل بأن عبادة ذينك الإلهتين إنما نقلت إلى قرطاجة خوفاً من غضبها بعد أن دمّر القرطاجيون معبديهما في صقلية ، مما ألحق الهزيمة بالجيش القرطاجي[1] ، فإننا لا يمكننا اعتباره سوى وجهة نظر كاتب إغريقي أراد أن يضفي على تلك الآلهة شيئاً من العظمة ، وكان وجود بعض المدارس اليونانية في مدينة قرطاجة ، وعلى رأسها: المدرسة الفيثاغورية التي كانت إدارتها بأيدي أساتذة إغريق ، كان من أشهرهم: "مليتداس Miltiacle – أنثان Anthen – هوديوس – Hodios – ليكرتوس Lcocrite" [2] ، حيث كانت هذه المدارس تقوم بتدريس اللغة الإغريقية ، أهمية تلك الجالية وكثرة أعددها ، ويبدو أن تلك اللغة لم تكن مقتصرة على أبناء تلك الجالية فقط ، بل كانت تدرس لأبناء القرطاجيين أنفسهم ، وكانت واسعة الانتشار حتى إنه صدر في أحد المرات قانون بتحريم تدريس تلك اللغة لأبناء قرطاجة دليل على أهمية تلك الجالية وكثرة عدد أفرادها.

إن وجود تلك المدارس يعني وجود جالية كبيرة لم يستطيع المجتمع القرطاجي حصرها داخله ، حتى إنه أفرد لها وسطه مكاناً خاصاً بها ، هذا فضلاً عن وجود أعداد لا بأس بها من الإغريق داخل الجيش القرطاجي ، فمنهم الجنود ، بل والقادة العسكريون الذين تولوا قيادة العمليات العسكرية[3] ، وهؤلاء من المرجح أن أغلبهم كان من أبناء تلك الجالية ، وأن بعضهم كانت

---

(1) جوليان ، شارل أندريه ، المرجع السابق ص124 ـ إيمار أندريه ، المرجعالسابق ص60 .

(2) أبو رونيه ، الشاذلي ، المرجع السابق ص264 .

(3) Griffth, G.T, op . cit . P.211 ـ 216.

علاقتهم عدائية مع الإغريق في صقلية ، فانخرطوا في الجيش القرطاجي ، إذ لا يعقل أن يكون القرطاجيون من الغباء أن يقبلوا قادة عسكريين من الإغريق يقودون بعض الفرق ، حتى وإن كانوا تحت إمرة قادة قرطاجيين[1] ، فربما كانوا جواسيسا عليهم لأن العدو من الإغريق أنفسهم ، فلو كانت الحرب ضد الرومان مثلاً لأمكن القبول بمثل هذا الرأي ، ولذلك فإنه من المرجح أن يكون أولئك الجنود - أو جلهم على الأقل - من أبناء الجالية اليونانية المقيمة في قرطاجة ، وذلك أقرب إلى التصديق.

بعد الجالية الأتروسكية والجالية اليونانية يأتي الوجود المصري ، وعلى الرغم من أننا لم نعثر لهؤلاء على آثار لجالية قائمة بذاتها ، إلا أن التأثير المصري يبدو واضحاً في بعض جوانب الحياة الاجتماعية في قرطاجة ، خاصة على الصعيد الفني والديني ، حيث نلاحظ الكثير من البصمات المصرية على بعض الأدوات البونية ذات الاستخدام اليومي ، وكذلك بعض الرموز الدينية ، فعلى سبيل المثال وجدت إحدى الشفرات في أحد القبور القرطاجية تحمل صورة لزهرة اللوتس يعلوها صقران يحمل كل منهما التاج المصري[2] ، كما وجدت شفرة أخرى في إيبيزا تحمل مميزات الصناعة القرطاجية ، وتعود صناعتها إلى القرن الثالث ق.م ، رسمت عليها صورة الإله المصري حورس ، وعلى الوجه الآخر رسمت إمرأة ترتدي زياً مصريا[3] ، كما عثر على لويحة من العاج في قبر قرطاجي تتحلى بمشهد يمثل حواراً بين رجل وامرأة ، يبدو أنهما يتعبدان تحت حماية القرص المجنح[4]. ، كما يظهر التأثير المصري في الأنصاب ، فقد تم العثور على نصب بمدينة سوسة نحت عليه عمودان من نوع مصري ، وعلى كل منهما

(1) Idem

(2) فنطر ، محمد حسين ، الحرف والصورة في عالم قرطاج ، المرجع السابق ص197 - 200.

(3) المرجع نفسه.

(4)ـ المرجع نفسه ص 208

صورة امرأة تمسك هلالاً فوق ثديها ، وتضع على رأسها قلنسوة على طريقة الإلهة المصرية هاثور[1] .

وفي المجمل العام فإن التأثير المصري يظهر بصورة أكبر في المنحوثات الدينية والأدوات المستعملة اليومية ، ولا ندري – بالضبط – إن كان ذلك التأثير قد جاء معظمه على أيدي فينيقيين جاءوا من الشرق نظراً لتأثرهم بالطابع المصري هناك ، أم إنه كان نتاج وجود جالية مصرية ذات تأثير مهم ، ولكن الشئ الذي لا جدال فيه هو وجود بعض المصريين في قرطاجة ، ووصل بعضهم إلى مكانة مرموقة في المجتمع ، حيث نجد بعضهم يقدم قرباناً للآلهة باسمه الذي يدل على انتمائه ، فقد عثر على بعض النقوش التي تحمل أسماء مصرية مثل: "عبد رع – عبد أوزيريس – ومصري أبن بعل" [2] ، إلى غير ذلك من الأسماء.

ومن هنا يتضح لنا أن للأجانب حضوراً واضحاً في قرطاجة ، ساهم بشكل أو بآخر في بنائها اقتصادياً واجتماعياً ، وإن اختلفت أسباب وجود هؤلاء الأجانب إلا أن للصراع القرطاجي الإغريقي دوراً كبيراً فيه ، من خلال ما أحدثه ذلك الصراع من توفر الملاذات الآمنة لأعداء الإغريق ، وإيجاد فرص عمل للكثير من الحرفيين والصناع.

---

(1) فنطر ، محمد حسين ، الحياة الثقافية والفنية بقرطاج ، المرجع السابق ص27

(2) أبو رونيه ، الشاذلي – قرطاجة البونية ، المرجع السابق ص263

اللغة والكتابة

جاء الفينيقيون إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط حاملين معهم العديد من الخصائص الحضارية الجديدة ، التي كان من أهمها: اللغـة والكتابـة ، والتي عُرفت فيما بعد باللغة القرطاجية ، نسبة إلى قرطاجة ، ثـم تطـورت وأصبحت تعرف باللغة البونية والبونية الحديثة نتيجـة تأثرهـا باللهجـات الأخرى ، كاللوبية واللاتينية[1] (شكل19).

ونحن هنا لسنا بصدد دراستها بشكل مفصل ، وإنما تقتصر الدراسـة على مدى وسبل انتشارها في المنطقة ، ومدى تأثيرها وتأثرهـا باللهجـات المحلية في منطقة المغرب القديم.

اللغة الفينيقية أو اللغة القرطاجية هي لغة سامية الأصل ، وهي تنتمي إلى المجموعة الكنعانية كالعمونية والعبرية والمؤابية التي ظهرت في بـلاد الشام الحالية[2] ، وقد انتشرت في الكثير من بقاع العـالم بفـضل التجـار الفينيقيين ، وكانت تكتب من اليمين إلى اليسار[3] ، ولكن المنطقـة الأكثـر تأثراً بها كانت منطقة غرب البحر المتوسط ، خاصة منطقة المغرب القـديم التي أنشئت فيها أعظم حضارة فينيقية ، حيث نمت وازدهرت وحافظت على بقائها في صورتها الجديدة "البونية" ، حتى بعد سقوط قرطاجة عام 146 ق.م ، حيث يذكر القديس أوغسطين الذي عاش بعد تدمير العاصمة البونية بحوالي 500 سنة أن سكان الأرياف الواقعة إلى الجوار من عتيقة كانوا لا يزالـون يتحدثون البونية[4] ، وليس من السهل الوقوف على قواعد اللغة البونية بشكل

---

(1) الميار ، عبدالحفيظ ، دراسة تحليلية للنقائش البونية في إقليم المدن الثلاث – منشورات جامعة الفـاتح ، الجماهيرية ، 2005م ص46.

(2) المرجع نفسه ص45.

(3) Picard , G, and Colette Charles, op . cit . P.64.

(4) غانم ، محمد الصغير ، المملكة النوميدية والحضارة البونية ، المرجع السابق ص145.

دقيق لغياب الكتابات القرطاجية التي تتناول تلك القواعد ، نتيجة تعرض المكتبات القرطاجية للإتلاف ، وبالتالي لم يبق أمام المختصين إلا بعض النقوش التي أمكنهم من خلال معالجتها اللغوية الوصول إلى بعض تلك القواعد ، ومقارنتها مع بعضها في فترات مختلفة ، تبينوا من خلالها مدى التغيرات التي طرأت عليها(شكل20) ، والمؤثرات التي ساهمت في ذلك[1] ، حيث استحدث في البونية الحديثة عدد من أنماط الإشارة التي اكتسبتها من اللغات الأخرى التي عاشت معها مباشرة ، كأدوات الشرط والتشبيه والتعليل وحروف العطف وغيرها[2] .

انتشرت اللغة القرطاجية بين سكان الشمال الأفريقي ، واقتصرت في بادئ الأمر على المراكز الساحلية تبعاً للوجود القرطاجي ، مصاحبة لسيطرتهم السياسية ونشاطهم التجاري ، واستمرت هذه الحالة حتى القرن السادس أو القرن الخامس ق.م تقريباً ، عند ما بدأ النفوذ القرطاجي يمتد نحو البر الأفريقي ، وبدأت قرطاجة تبسط سلطانها في المناطق الداخلية ، حيث وجدت اللغة القرطاجية طريقها إلى الانتشار بين السكان المحليين ، وامتزجت باللهجات المحلية ، فأعطتها وأخذت منها ، وظهرت لغة جديدة ميزت الحضارة القرطاجية في عصورها التالية ، عُرفت باللغة البونية[3] ، ومع أن تأثر اللغة القرطاجية كان واضحاً بتلك اللهجات حيث ظهر ذلك جلياً من خلال سقوط بعض الأحرف منها ، واختزال بعضها الآخر ، إلا إنها كانت الأكثر تأثيراً ، حيث أصبحت اللغة الرسمية في المغرب القديم[4] ، ومع ذلك فقد دخلت إليها تعابير محلية ، أضفت عليها طابعاً جديداً ، خاصة

(1) فنطر ، محمد حسين ، الحياة الثقافية والفنية بقرطاج ، ص25 .

(2) الميار ، عبد الحفيظ – محاضرات في اللغة الفينيقية ، قسم الآثار ، جامعة المرقب 2006م.

(3) الميار ، عبد الحفيظ ، الحضارة الفينيقة في ليبيا ، المرجع السابق ص256 .

(4) غانم ، محمد الصغير ، التواجد الفينيقي البوني في الجزائر ، المرجع السابق ص125 .

في تراكيبها ومخارج الأصوات[1] ، وبهذه الصيغة الجديدة حافظت هذه اللغة على استمرارها ، وبقائها بين ظهراني السكان المحليين فترة طويلة من الزمن ، انتشرت بها في الممالك النوميدية والمازبسيل والموريبين الذين استعملوا اللغة النوميدية بشكل رسمي[2] . وقد عُرفت اللغة النوميدية من خلال ما تركه لنا أصحابها من كتابات ونقوش ، وبهذا كانت الكتابة هي الأخرى من أهم ما جاء به الفينيقيون إلى الشمال الأفريقي.

بدأت العصور التاريخية في منطقة المغرب القديم بمجيئ التجار الفينيقيين إليها ، وتأسيسهم المستوطنات فيها حاملين معهم حروفهم الأبجدية التي أصبحت فيما بعد وسيلة للتوثيق بين السكان المحليين ، ومن ثَم بدأت عصور جديدة في المنطقة ، اتسمت بمعرفة اللوبيين للقراءة والكتابة على أيدي القادمين الجدد ، ثم لم تلبث أن أصبحت أساساً لظهور كتابة جديدة في المنطقة ، هي الكتابة اللوبية ، حيث نتج عن التمازج بين اللوبيين والقرطاجيين اختراع كتابة تتناسب وأصوات السكان المحليين عُرفت باسمهم[3] ، وقد ساعدت بساطة هذه الأحرف على سرعة تعلمها وانتشارها بين السكان ، مقارنة بالكتابات الأخرى ، كالكتابة المصرية والحيثية اللتين تحتاجان إلى مهارة في الرسم والتصوير[4] ، وتعتبر الكتابة التي يستخدمها الطوارق اليوم في الشمال الأفريقي ، والتي تعرف بكتابة التيفناغ ، من أهم الاشتقاقات التي نتجت عن الكتابة البونية في المنطقة[5] ، وبهذه الحروف أصبحت اللغة القرطاجية تدرس في مؤسسات تعليمية ، يرجح أنها كانت ملحقة بالمعابد ، وبها انتشرت القراءة والكتابة في المدن الرئيسة مثل: "دقه

---

(1) المرجع نفسه .

(2) غانم ، محمد الصغير ، المملكة النوميدية والحضارة البونية ، المرجع السابق ص143.

(3) J.G.Fevrier, Histoire, Payot , Paris , 1948 , P.321.

(4) الميار ، عبد الحفيظ ، دراسة تحليلية للنقائش البونية في إقليم المدن الثلاث ، المرجع السابق ص48 .

(5) Picard , G, And Colette Charles , op . cit . P.64.

وكيرتا ومكثر[1] ، وحتى في الأرياف ، فلم تقتصر على الطبقة الثرية حيث عثر على نقيشة في ضواحي مدينة "قالما"الجزائرية كتبت بالبونية ، تقول: " قف أيها المار واقرأ"[2] ، وباستقراء هذه العبارة نستطيع أن نكون فكرة على مدى انتشار القراءة والكتابة بين السكان ، حيث لم يكن المخاطب معروفاً ، وإنما كانت العبارة موجهة إلى أغلب المارين من ذلك الطريق على مختلف طبقاتهم وأجناسهم.

وقد تطورت الحروف الفينيقية عن شكلها الأصلي في العالم القرطاجي ، وأصبحت الكتابة بها تعرف بالكتابة البونية ، وذلك بعد انشارها في منطقة المغرب القديم ، ومعرفة اللوبيين لها ، فقد تميزت بالشكل المائل والمنحني أحياناً[3] ، ثم تطورت بعد ذلك إثر امتزاجها بالكتابة اللاتينية ، وأصبحت تسمى بالبونية الحديثة(شكل21) ، وكان من سماتها: أن كتابها كانوا يكتبونها بحروف متصلة ، ويميلون إلى السرعة ، وعدم الاعتناء بها ، واختزال بعض حروفها ، حتى أصبح من الصعوبة بمكان التفريق بين بعض الأحرف ، مثل: حروف الباء والدال والراء ، حيث أصبحت تكتب على هيئة ربع دائرة( ) ، وقد ظهر هذا النمط بين الكتابة عقب سقوط قرطاجة وسيادة اللغة اللاتينية[4] .

طرق انتشارها :

عرفت اللغة والكتابة القرطاجية طريقها إلى المناطق الداخلية ، منتشرة بين السكان المحليين ، حتى أصبحت لغة القصور والمعاملات الرسمية في الممالك البربرية عبر عدة مسالك ، استطاعت من خلالها أن تحتل المكانة

---

(1) غانم ، محمد الصغير ، المملكة النوميدية والحضارة البونية ، المرجع السابق ص144 .
(2) فنطر ، محمد حسين ، الحرف والصورة في عالم قرطاج ، المرجع السابق ص66 .
(3) غانم ، محمد الصغير ، التواجد الفينيقي البوني في الجزائر ، المرجع السابق ، ص126 .
(4) المرجع نفسه .

الأولى ، وأن يكون لها حضور قوي ، فاق اللهجات المحلية[1] ومن أهم هذه الطرق ما يلي :

النشاط التجاري:

بدأت معرفة اللوبيين باللغة والكتابة الفينيقية ببداية احتكاكهم بالمراكز التجارية التي أنشئت على الساحل منذ مجيئهم المبكر إلى المنطقة ، وقد اقتصر انتشارها بين الأهالي الذين عملوا في المجال التجاري في بادئ الأمر ، سواء كانوا ممن عملوا في الموانئ التجارية ، أو الذين اشتغلوا كوسطاء تجاريين بين الدواخل والموانئ الفينيقية ، ولذلك كان تعلمها وانتشارها محدوداً حتى القرن الخامس ق.م ، ومنذ ذلك الوقت بدأ القرطاجيون يولون التجارة الأفريقية عناية خاصة[2] ، وتوغلوا في الداخل ، وأنشأوا المراكز التجارية مثل: دقة والكاف ، وكان توغلهم في إقليم الأسواق" المدن الثلاث" ، وبذلك أصبح احتكاكهم بالسكان المحليين أكثر ، وبالنظر إلى أنهم كانوا هم أصحاب السيادة والتجارة وهم أصحاب اللغة الأرقى ، فقد تحتم على من أراد ممارسة هذا النشاط من اللوبيين تعلم تلك اللغة ، ومعرفة الأرقام الحسابية والأعداد ، لاستخدامها في عملياتهم التجارية[3] ، كما أن استخدام أولئك التجار للقوافل أحوجهم إلى استخدام الأدلّاء والمرشدين عبر الصحاري ، وهذا ما جعل الطرفين في أمس الحاجة إلى لغة مشتركة للتفاهم بينهم.

ومن المرجح أن تعدد اللهجات اللوبية قد ساهم هو الآخر في انتشار اللغة القرطاجية كلغة مشتركة بعد إن أخذت من غيرها ، وأصبحت تعرف باللغة البونية .

---

(1) فنطر ، محمد حسين ، الحرف والصورة في عالم قرطاج ، المرجع السابق ص62.

(2) Picard , G, And Colette Charles , op . cit . P.213 _ 216.

(3) Ibid. P.218.

التوسع القرطاجي في الداخل:

إن التحول القرطاجي نحو الفضاء المغاربي عقب القرن السادس ق.م ، وتزايد اهتمامهم بالأرض الأفريقية ، وبسط سلطانهم عليها ، واعتمادهم عليها كعمق استراتجي لهم في مواجهتهم لأعدائهم في البحر ، ساهم ذلك إلى حد كبير في انتشار لغتهم وكتابتهم بين السكان ، حيث استلزم سيطرة قرطاجة على الكثير من الأراضي الزراعية ، واستخدام أعداد كبيرة من السكان في الأعمال الزراعية والصناعية[1] ، وحتى الإدارية منها ، خاصة في المراكز التي أنشئت في الدواخل وكانت أقرب إلى أن تكون مراكز حضرية ، استلزم ذلك إيجاد أناس يقرأون ويكتبون باللغة القرطاجية ، وكذلك فإن تحول الكثير من الرعايا اللوبيين إلى رعايا قرطاجيين قد تطلب تنظيماً إدارياً معيناً ، لابد فيه من وجود حلقة وصل بين الحكام والمحكومين ، وكان من بينهم عدد من اللوبيين دربوا وأجادوا اللغة والكتابة الفينيقية " لغة الإدارة والسلطة" ، كما أن تحول قرطاجة إلى دولة عسكرية قد نتج عنه تجنيد رعاياها الجدد الذين أصبحوا يشكلون سلاح المشاة في الجيش القرطاجي ، ساهم هو الآخر في نشر الثقافة القرطاجية ، فكان هؤلاء الجنود يتعلمون لغة سادتهم أثناء خدمة الجيش ، وعندما يعودون إلى أهاليهم كانوا يحملون معهم مفردات اللغة الجديدة وبعض الجمل منها ، كذلك فإن استخدام المرتزقة من مختلف أنحاء الإمبراطورية قد ساعد هو الآخر على انتشارها باعتبارها هي اللغة المشتركة بين أولئك الجند[2] .

يضاف إلى ذلك التحالفات العديدة التي نشأت بين قرطاجة والممالك البربرية الأخرى في مواجهة أعداء قرطاجة من الإغريق والرومان ، كالممالك النوميدية والماورية ، فقد كان لها هي الأخرى دور بارز في

---

(1) Warmington, B. H , op . cit . P.63.

(2) Picard, G, and Colette Charles , op . cit . P.196 _ 197.

انتشارها ، حيث أصبحت اللغة والكتابة القرطاجية هي لغة الإدارات والممالك والقصور[1] ، فعلى سبيل المثال: كان الأمير النوميدي"مسنسن" قد نشأ وترعرع في كنف الحضارة القرطاجية ، وتعلم لغتها وكتابتها ، وكان شديد الولع بها ، وبذلك عمل على نشر تلك الثقافة بقوة بين القبائل المحلية ، رغم عدائه السياسي لقرطاجة ، فقد اتخذ اللغة القرطاجية كلغة رسمية في بلاطه ، كما نقش الحروف البونية على نقوده[2] ، وقد تحولت في عهده بعض المدن النوميدية مثل: "دوقة وكيرتا ومكثر" إلى مراكز إشعاع لنشر الثقافة واللغة البونية ، وصدرتهما إلى موريطانيا حتى بعد سقوط قرطاجة[3]. ومن خلال ما تقدم نجد أن التوسع القرطاجي في الفضاء المغاربي والذي أملته ظروف تحدثنا عنها سابقاً ، قد ساهمت – بشكل قوي – في نشر اللغة والكتابة البونية ، وامتزاجها بين السكان ، مما أضفى عليها طابعها الجديد الذي عُرفت به.

انتشار الديانة القرطاجية:

صاحب التوسع القرطاجي في الأراضي الأفريقية وبسط سيادة الدولة في الداخل انتشار العبادات القرطاجية هي الأخرى أيضا ، حيث استقر الكثير من التجار القرطاجيين في المراكز الداخلية ، وكان لابد لهؤلاء من ممارسة عباداتهم وطقوسهم الدينية ، وإنشاء المعابد لآلهتهم[4] .

هذه الديانة الجديدة بهرت السكان المحليين ، وأخذت تنتشر بينهم ، فأعتنقها العديد منهم بعد أن أصبحوا رعايا للدولة الجديدة ، وكان لزاماً عليهم تعّلم لغة تلك الديانة ، وتعلم حروف كتابتها ، حتى يتسنى لهم ممارسة تلك

---

(1) غانم ، محمد الصغير ، المملكة النوميدية والحضارة البونية ، المرجع السابق ص145.

(2) فنطر ، محمد حسين ، يوغرطة من ملوك شمال إفريقيا وأبطالها ، المرجع السابق ص93 .

(3) غانم ، محمد الصغير ، التواجد الفينيقي البوني في الجزائر ، المرجع السابق ، ص152 .

(4) Picard, G, and Colette Charles , op .cit . P.36.

الطقوس بشكل صحيح.

وكان من المرجح أن اللغة القرطاجية كانت تدرس في مؤسسات تعليمية في تلك المعابد للقيام بواجب الكهانة على الوجه الأكمل[1]، هذا ناهيك عن القرابين التي كانت تقدم للآلهة ، وكان مقدموها يحرصون على توثيقها على أنصاب يدونون عليها نوع القربان واسم مقدمه ، ولذلك نجد الكثير من الأضحيات والقرابين منتشرة أنصابها بين القبور ، وفي المعابد القرطاجية أينما وجدت ، ويبدو أن لذلك التوثيق دورا مهما في حفظ القربان من الزوال ، فمادام ماثلا أمام الإله يظل يذكره برعاية مقدمه ، ومن هنا جاء حرص مقدم القربان على توثيق تلك التقدمة.

وهذا من شأنه أن يدفع الكثيرين لتعلم القراءة والكتابة للقيام بتلك المهمة بأنفسهم دون اللجوء إلى الآخرين. ومما يقوي هذا الإعتقاد أن النقوش التي وجدت كانت تشمل كل فئات المجتمع القرطاجي من سادة وعبيد وأجانب.

---

(1) فنطر ، محمد حسين ، الحرف والصورة في عالم قرطاج ، المرجع السابق ص66 .

المبحث الثاني

التأثيرات الدينية

* انتشار الديانة الفينيقية في المغرب القديم .
* أهم المعبودات القرطاجية .
* ظاهرة الأضحية البشرية .
* أهم المعبودات المحلية .
* تمازج المعتقدات القرطاجية بالمحلية .

الآثار الدينية

انتشار الديانة الفينيقية في المغرب القديم :

احتل الدين المكانة الأسمى بين شعوب العالم القديم لارتباطه بحياتهم اليومية ، خاصة السامية منها ، فجاءت الديانة مرتبطة بالطبيعة مباشرة ، فكانت الآلهة هي المسئولة عن كل شئ ، فهي الراعية والحامية والمانحة والمدمرة والمسببة للأعاصير والمرسلة للرياح القوية ، وهي جالبة الانتصارات ومسببة الهزائم ، وهي التي تختار الأسرة الحاكمة ومن يتولى العرش ، وكان الملك أو الحاكم هو المنفذ لمشيئة تلك الآلهة على الأرض ، وكان على الشعب طاعتها طاعة تامة ، وإقامة الشعائر الدينية لها ، وبناء المعابد واللجوء إليها عند الشدائد ، وتخصيص أناس يقومون على خدمتها ، وكان على الناس تقديم القرابين والنذور والذبائح والأضحيات لها.

وكان لتلك الآلهة حق مفروض في الأموال الخاصة والعامة ، أطلق عليها ضريبة المعبد[1] ،وكانت عينية في غالب الأحيان ، فكان يتساوى فيها الغني والفقير والسيد والمسود. ويقدم الإله المشورة لأتباعه فيما يعرف بالوحي ، وعليه واجب حمايتهم من الأخطار إذا كان راضياً عنهم.

والفينيقيون – كشعب سامي – كان للدين دور بارز في حياتهم ، ومكانة عظيمة في نفوسهم ، فقد دلت أسماء القادة والملوك – سواء الفينيقيون أو القرطاجيون بعدهم – على هذه الأهمية ، حيث ارتبط الكثير من تلك الأسماء بأسماء الآلهة مثل: "اينو بعل – حنبعل – وأدون ، وهي تعني السيد "بعل" حملقرت – بد ملقرت عبدأشمون – حامليكار – هاسدرو بعل – أشمون حنو ...الخ" ، وهذا يعني ترضية الآلهة والتبرك بها[2] .

---

(1) الفرجاوي ، أحمد ، المرجع السابق ص41 – 44 .

(2) مهران ، محمد بيومي ، المدن الفينيقية ، المرجع السابق ، ص345 .

تعددت الآلهة الفينيقية في شرق البحر المتوسط بتعدد مدنهم هنـاك ، فكان لكل مدينة إلهها الخاص بها ، يكون على رأس مجموعة مـن الآلهـة الأخرى التي كان يختص كل منها بشأن معين من شئون الحياة ، وقد كانت في بعض الأحيان تتبدل مهامها حسبما تقتضيه الأمور[1] .

ومع ذلك فقد كانت هناك آلهة نجد لها عبادةً في كل المدن ، كالإلهـة عشتارت التي كانت تمثل إلهة الإخصاب في معظم الحـضارات الـشرقية القديمة ، فقد وجدت في بلاد الرافدين ، وبلاد الشام ، ولدى الفينيقيين[2] . أما بقية الآلهة الأخرى فقد كان هناك على سبيل المثال: إله للإخصاب ، وإلـه البحر ، وإله العواصف والرياح ، وإله الحـرب ، وإلـه الجفـاف ، وإلـه الموت...الخ.

ولكن إله الخصب والنماء كان هو الأكثر شهرة بين تلك الآلهة ، فهو الذي يمثل الحياة والنماء ، ويوفر سبل المعيشة ، ويرسل الأمطار ، ويعيـد دورة الحياة في مزارع الفلاحين ، وغالباً ما يكون هو حامي المدينة. وكـان من صفات وطبائع تلك الآلهة أنها تتزاوج وتنجب الأبناء[3] ، وتموت وتعود للحياة من جديد ، ولكنها غير قادرة على الخلق ، وكانت الألوهية لا تقتصر على الرجال ، فقد احتلت آلهة أنثى مراكز مرموقة في مجمعـات الآلهـة ، أمثال: عشتارت وبعلة وتانيت وعنات ، وكان دورهن غالباً ما يكـون فـي الجانب العاطفي وفقاً لطبيعة المرأة ، كالحب والكراهية.

وكانت هذه الآلهة قد جمعت في مجمع واحد بصور عندما أصبحت لها

---

(1) Lancel, S . op . cit . P.272 .

(2) السواح ، فرّاس ، لغز عشتارت ، الألوهية المؤنثة وأصل الدين والأسطورة ، دار علاء الدين ، الطبعة السابعة ، دمشق ، 2000 ف ص50 – 56

(3) Ribichini, Sergio , "Belifs and Religous life", in Sabatino Moscati , The Phoenicians, op . cit . P.129.

السيادة على المدن الفينيقية في الشرق[1] .

انتقل الفينيقيون إلى غرب البحر المتوسط حاملين معهم معتقداتهم وآلهتهم وطقوسهم وشعائرهم الدينية ، فارتبطت قرطاجة في بداية تأسيسها ارتباطاً وثيقاً بالشرق الفينيقي ، خاصة في الحياة الدينية ، فكانت آلهتهم شرقية صرفة جلبت من مدن الساحل الفينيقي ، فشيدوا لها المعابد ، وأنشأوا الساحات التي مارسوا فيها طقوسهم ، وقدموا فيها القرابين لتلك الآلهة ، ومع أننا لسنا بصدد الحديث عن الديانة الفينيقية أو القرطاجية بشكل مفصل؛ لإنها ليست موضوع دراستنا ، إلا أننا سنحاول تسليط الضوء عليها بقدر ما يفيدنا في إدراك مدى تأثيرها وتأثرها بالديانة المحلية في الشمال الأفريقي.

إن دراسة الحياة الدينية في قرطاجة ليست بالأمر السهل ، والوصول فيه إلى الحقائق يظل صعب المنال ، وذلك لغياب الأدلة الأثرية التي يمكن من خلالها تكوين فكرة تامة عن تلك الديانة ، ولصمت المصادر الكلاسيكية عن الحديث عنها ، يضاف إلى ذلك إحراق مدينة قرطاجة من قبل الرومان عند تدميرها عام146ق.م ، مما أدى إلى طمس الكثير من الوثائق القرطاجية التي تكون الدليل الذي لا يدحض في الوصول إلى حقيقة تلك الديانة ، ولذلك تظل المحاولة محدودة من خلال دراسة الآلهة الفينيقية في الشرق ، ومن خلال بعض المعابد وعلى رأسها: معبد "صلامبو" بتونس التي تجري فيها الحفريات الأثرية ، وبعض الموجودات في القبور البونية المنتشرة في غرب البحر المتوسط ، من أساور وقلائد وتمائم وجعلان تحمل نقوشاً وصوراً ، تسلط الضوء على بعض المعبودات ورموزها ، فقد وجدت بعض المحالق النحاسية التي صورت الأشكال الإلهية والشعارات الدينية المقدسة ، وقد حمل بعضها التأثيرات المصرية ، وكان البعض الآخر على النمط البوني[2] ،

---

(1) Ibid. P. 122 .

(2) خلايلة إبراهيم خليل ، المرجع السابق – ص151.

وكذلك وجدت بعض الدمى والتماثيل التي تمثل تلك الآلهة.

أما المصدر الأهم في معرفة تلك الديانة فقد تمثل في الأنصاب التي استقى منها الباحثون أهم تفسيراتهم للطقوس الدينية القرطاجية ، فقد حملت تلك الأنصاب نقوشا ورموزاً دينية عديدة ومهمة ، حيث كانت النقوش على تلك الأنصاب تبين مدى أهمية النصب والغاية من تقديمه ، وتعطي معلومات قيمة عن أهم الآلهة ومسمياتها[1] .

ومن أهم الرموز التي ظهرت على تلك الأنصاب: رموز الإلهة تانيت والإله بعل حمون ، التي تمثلت في قرص الشمس المجنح ، والصولجان ، والكف المبسوطة ، كما أنها تحوي صوراً لبعض الحيوانات التي قدمت كتضحية للآلهة[2] ، وقد ظهرت هذه الأنصاب بشكل مكثف في كل من قرطاجة ومدينة سوسة الحالية.

أهم المعبودات القرطاجية :

تعددت الآلهة في قرطاجة بتعدد سكانها ، فقد احتوت على العديد من الآلهة التي عبدت فيها ، ولكنها اختلفت من حيث مركز الصدارة في مجمع الآلهة القرطاجي من فترة إلى أخرى ، حسب الظروف التي كانت تمر بها الإمبراطورية ، وحسب تطورها الزمني, فقد ظهرت بها آلهة احتلت السيادة فيها عند بداية تأسيسها ، ثم ظهرت آلهة أخرى كان لها الصدارة فيما بعد, وكانت معظم هذه الآلهة فينيقية الأصل, كما وجدت إشارات إلى آلهة أخرى محلية وأجنبية عبدت في المدينة ، كاليونانية والمصرية[3] .

وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على فسيفسائية التركيبة الاجتماعية ،

---

(1) المرجع نفسه ص197.

(2) المرجع نفسه ص189 - 195.

(3) الشريف, عبد الناصر علي أبو القاسم ، الديانة الفينيقية في شمال افريقيا ، رسالة ماجستير لم تنشر ، جامعة قاريونس ، كلية الآداب2004 - 2005ف ص 150 - 157.

ومدى الحرية التي كان يتمتع بها سكان قرطاجة بشكل عام ، والذي انعكس على حرية ممارسة الشعائر الدينية بشكل خاص ، فعلى سبيل المثال: عُثر على تمائم وجعلان تحمل صوراً للربة "إيزيس" المصرية في قرطاجة[1] ، حيث ظهرت تلك الإلهة بهيئة بشرية واقفةً مجنحةً ، وأمامها حورس, وأحياناً جالسة تحمله على إحدى يديها وترضعه بالأخرى ، وترتدي باروكة الرأس ، ويعلو رأسها قرنا البقرة "حتحور" بينهما قرص الشمس ، ويوجد على ظهر التمثال نقش باللغة الفينيقية[2] ، كما عثُر على عبادة إلهتين إغريقيتين هما: "ديمتر وكوري" في قرطاجة ، ويبدو أن عبادتهما قد دخلت قرطاجة مع بداية القرن الرابع ق.م[3] ، ومن المرجح أنها اقتصرت على الجالية الإغريقية في المدينة ، حيث لم يثبت أن عبد أحد القرطاجيين هاتين الإلهتين ، وقد كان كهنتهما من الإغريق أنفسهم. أما أهم الآلهة القرطاجية ، فقد وجدت عبادة الكثير منها ، سنعرض إلى أهمها في هذه الدراسة ، وهي:

ملكارت :

يتركب اسم ملكارت من كلمتين هما: "ملك ــ قرت" ، أي ملك المدينة ، أو ملك القرية[4] ، وقد كان هذا الإله هو إله مدينة صور الرئيس وحاميها ، وجاء على رأس الآلهة التي وجدت في مجمع المدينة الإلهي.

لم يكن ملكارت إلهاً معروفاً بين الآلهة الفينيقية خلال الألف الثانية ق.م ، ولكن ظهوره جاء بشكل مفاجئ خلال القرن العاشر ق.م في مدينة صور في نقش آرامي على لوحة

(1) العقيلي ، فاطمة سالم ، القبائل الليبية في ضوء المصادر اليونانية والأدلة الأثرية من631 حتى91ق.م ، رسالة ماجستير لم تنشر ، جامعة قاريونس 2001ف ـ ص200.

(2) فرج ، آمال سعيد نوح ، صورة الربة إيزيس على التمائم والجعارين المصرية في قرطاجة ، رسالة ماجستير لم تنشر ، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، 1993م ص93 ـ 94.

(3) Harden, D, op . cit . P. 89

(4) عصفور ، محمد أبو المحاسن ، المرجع السابق ص145.

تذكارية خصصت له[1] ، وقد بنى له الملك حيرام ملك مدينة صــور خلال العاشر ق.م معبداً إلى جانب عشتارت[2] ، ويذكر أن عبادته قد دخلت إلى بنى إسرائيل عن طريق إحدى بنات "ايتوبعل" ملك مدينة صور ، التــي تزوجت من "إخاب" أحد ملوك الممالك اليهودية[3] .

وعلا شأن هذا الإله عندما أصبحت السيادة الفينيقية لمدينــة صــور ، وأصبح هذا الإله حامياً لها ، وكان في بادئ الأمر ذا طبيعة سماوية ممثلــة في الشمس ، ولكنه لم يلبث أن أصبح ذا طبيعة بحرية ، إذ أصبح إلهاً بحرياً بعد ركوب الصوريين البحر وتحولهم نحو الغرب[4] .

انتشرت عبادة هذا الإله في مختلف المراكز الفينيقية في غرب البحــر المتوسط تبعاً للسيطرة الصورية هناك ، فقد وجدت عبادتــه فــي صــقلية وسردينيا وقادس وقرطاجة ، كما ظهرت أسماء كثير من القرطاجيين التــي تقترن باسم هذا الإله ، مثل: "عبد ملقرت ، حملقــرت ، حبيــب ملقــرت ، بدملقرت ، "بيد ملقرت" [5] ، وقد تمــت مطابقتــه مــع الإلـــه الإغريقــي "هيراكليس" ، ويذكر فيلون الجبيلي أنه سليل أورانوس سيد الآلهة الإغريقية ، وكان يُحتفل بقيامه من الموت سنوياً بحضور ملك صور ، ويذكر أن هــذه الاحتفالات كان أول ظهور لها في القرن العاشر ق.م[6] ، وقد انتقلت عبادته إلى قرطاجة في وقت مبكر ، ويبدو أنه كان معبودها الــرئيس حتىـالقرن السادس ق.م ، أو القرن الخامس ق.م ، حيث يذكر أن قرطاجة كانت ترسل

---

(1) Ribichini, Sergeo, op .cit. P. 127 .

(2) Ibid . P. 128.

(3) الفرجاوي ، أحمد ، الرجع السابق ص172.

(4) فرزات ، محمد حرب ، الديانة الفينيقية وعناصر الميثلوجيا في سوريا القديمة ، مجلة دراسات تاريخية ، تصدرها لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمــشق ، الــسنة الثالثــة عــشرة ، العــددان 41 ، 42 ، آذار1992م ص49.

(5) أبو رونية ، الشاذلي ، محمد الطاهر ، المرجع السابق ص244.

(6) فرزات ، محمد حرب ، المرجع السابق ص49.

عُشر محصولها وعُشر غنائم الحرب للإله ملقرت في الشرق[1] ، كما إنهـا كانت ترسل الوفود إلى مدينة صور للمشاركة فـي الاحتفـالات الـسنوية ، واستمر ذلك حتى القرن الرابع ق.م ، فقد وجد الإسكندر الأكبر وفـداً مـن قرطاجة جاء للمشاركة في الاحتفالات المقامة لملكارت ، كما أن اسم ملكارت ورد بين أسماء الآلهة التي أقسم بها "حنبعل" في المعاهدة التي عقدها مع فيليب ملك مقدونيا[2] ، كما وجدت صورة الإلـه ملكـارت علـى بعـض النقـود القرطاجية ، مما يدل على استمرار عبادة هذا الإله على المـستوى الرسـمي للدولة ، حيث إن العملة القرطاجية لم تسك إلى نهاية القرن الخامس ق.م[3] .

وإلى جانب هذا الإله وجدت آلهة أخرى في مجمع الآلهة بقرطاجـة ، كان من بينها على سبيل المثال لا الحصر: الإله أشمون.

أشمـــون:

تشير الآثار إلى أن بداية عبادة هذا الإله قد ظهرت في بيروت ، ثـم انتقلت إلى صيدا وأصبح إلاهها الرئيس[4] ، ولا يعرف – بالضبط – معنى التسمية ، وقد تمت مطابقته بالإله الإغريقي أسكيليبوس ، وكان يعرف بإلـه الشفاء والطب في العالم الفينيقي بشكل عام[5] ، وقد انتقلت عبادته إلى العالم البوني عند تأسيس قرطاجة ، وشيد له معبد على قمة بيرصة ، وهي أعلـى قمة في المدينة ، ويعتبر من أكبر المعابد فيها[6] ، وفي واقع الأمـر فـإن تأسيس هذا المعبد يطرح جملة من التساؤلات ، منها:

---

(1) القرجاوي ، أحمد ، المرجع السابق ص173.

(2) المرجع نفسه.

(3) خلايلة ، إبراهيم خليل ، المرجع السابق ص174 .

(4) الماجدي ، خزعل ، المعتقدات الكنعانية ، دار الشروق ، عمان ، 2001مص169.

(5) Fantar, Mohamed .H . "North Africa" ,in Sabatino Moscati, The Phoenicians , op . cit . P.209

(6) Idem.

هل كان مؤسسو قرطاجة الأوائل من الصيدونيين ، فبنوا معبد إلههم في أعلى قمة في المدينة مما يعنى له السيادة؟ أم أن له طبيعة السماوية تجعل من مكانه المرتفع على اتصال بالسماء؟ أم إنه كان سيداً للارباب في المدينة فخصص له أعلى مكان فيها؟ هذه أسئلة تحتاج إلى إجابة من شأنها أن تنير لنا الطريق حول تاريخ تأسيس قرطاجة وحكامها الأوائل والنظام الديني فيها.

اقترن اسم بعل أشمون بكثير من الأسماء ، مما يدل على مكانته في العبادة القرطاجية وفي المراكز الفينيقية الأخرى ، فقد وردت أسماء مثل:" أشمون حنو ، أشمون يرعاه" ، أشمون تاماس" الذي يقوده أشمون[1] . واستمرت عبادة هذا الإله حتى سقوط قرطاجة ، ولكن ومنذ القرن السادس ق.م ظهرت عبادة إلهين جديدين لم يكن لهما شأن كبير في الشرق الفينيقي ، ارتبطا ببعضهما ارتباطاً وثيقاً ، واستمر في الشمال الأفريقي حتى بعد سقوط قرطاجة ، هما: الإله "بعل حمون" الذي تعددت التفسيرات حول اسمه وطبيعة ومدى تأثيره في – وتأثره بالعبادة المحلية ، والإلهة "تانيت" التي دار جدل كبير حول أصلها وعلاقتها بالشرق الفينيقي وبالسكان المحليين ، فأصبحت عبادة هذين الإلهين هي العبادة الرئيسة في الدولة القرطاجية منذ القرن السادس ق.م تقريبا ، ونحن هنا سنحاول تسليط الضوء على عبادتهما في المنطقة قدر المستطاع.

بعل حمون:

يعتبر بعل حمون أحد أشهر الآلهة الفينيقية في قرطاجة ، على الرغم من أنه كان إلهاً مغموراً في الشرق الفينيقي ، وقد ظهرت اختلافات كثيرة حول أصول هذا الإله في بادئ الأمر نتيجة بروزه بقوة في شمال أفريقيا ،

---

(1) ديكريه ، فرانسوا ، قرطاجة أو إمبراطورية البحر ، المرجع السابق ص136.

وتأخره في المشرق ، ويعود أول ظهوره في الشرق الفينيقي إلى القرن التاسع ق.م على نقيشة زنكرلى[1] ، ثم انتقلت عبادته إلى شمال إفريقيا بعد تأسيس قرطاجة ، وانتشرت انتشاراً واسعاً في العالم البوني في غرب البحر المتوسط ، خاصة بعد بروز قرطاجة كزعيمة للمدن الفينيقية في الغرب ، فكانت له السيادة في مجمع الآلهة في قرطاجة ، وظهرت رموزه على الأنصاب ، وبدأ اسمه يتكرر في النقوش ، و كان أول ظهور له في قرطاجة وفق النقيشتين الساميتين 5684 - 5685 [2] .

اختلفت الآراء والتفسيرات حول اسم هذا الإله مما أدى إلى ظهور آراء عدة انعكست على طبيعته وأصوله في بادئ الأمر ، فقد كان الاسم يتركب من كلمتين هما:" بعل – حمون" ، وكلمة بعل هنا ليست مشكلة في حد ذاتها ، فقد اتفقت معظم الآراء حول معناها وبداية ظهورها ، فهي تعني بشكل عام: الرب ، السيد ، الملك ، الزوج[3] ، وبالتالي فهي صفة أطلقت علي كثير من الآلهة ، فعلى سبيل المثال لا الحصر كان هناك" بعل أشمون" إله الشفاء" ، وبعل أشميم" إله السماء" ، وبعل صفون"سيد جبل صفون" ، وبعل مجن" سيد الرقص" ، ...الخ" ، كما أن كلمة بعل لها معان عديدة ، فهي تعني في اللغة العربية الزوج أيضاً ، ولا زال جذرها حتى الآن[4] .

لقد مثل بعل جيلاً بكامله من الآلهة الكنعانية ظهر في بلاد فينيقيا منذ القدم ، ويأتي بعد جيل أيل "سيد الآلهة" ، ويذكر أن بعلا هو ابن أيل[5] ، وهو سيد الآلهة الكونية ، ومنه تفرعت هذه الآلهة ، وبالتالي أخذ أغلبها هذه

---

(1) Moscati, S, The world of the Phoenicians , op . cit . P.138.

(2) الفرجاوي ، أحمد – ص167.

(3) الماجدي ، خزعل ، المعتقدات الكنعانية ، المرجع السابق ص127.

(4) Fantar, Mohamed , Carthage , La Prestigieus cite D`Elissa , Masion Tunisienne de L`Edition , 1970. P. 162

(5) الماجدي ، خزعل ، المعتقدات الكنعانية ، المرجع السابق ص135.

الصفة ، فارتبط اسم بعل بالربوبية والسيادة ، فجاءت كما ذكرنا سابقاً.

ولكن اختلاف التفسيرات إنما جاء في الجزء الثاني من الاسم ، أي في كلمة "حمون" ، فهناك من اعتبرها جاءت نتيجة تمازجه مع الإله الليبي آمون سيوه[1] ، وهي أقدم التفسيرات المعتمدة ، وهناك رأي آخر يرجح أن الكلمة اشتقت من حرارة الشمس والنار ، وهي تعني "حمن" ، ولذلك أعطت الإلـــه الطبيعة النارية ، فقيل: إنه الإله الناري ، وإنه إله سماوي ، حيث يرمز لـــه بالشمس والقرص المجنح[2] ، ووردت آراء أخرى تقول: إن معنى حمـــون هو سيد مذبح البخور ، حيث تكثر عملية حرق البخور في معبده[3] .

بينما يرفض محمد فنطر هذه التفسيرات كلها ، ويأتي بـــرأي جديـــد مفاده: أن كلمة حمون قد اشتقت من الجذر حمى ، والنون للجمع ، وهو مـــا يعني الحماية ، وبذلك فهي تعني حامينا ، أي إن الإله هو حامي قرطاجة[4] . ويذهب محمد فرزات إلى أن كلمة حمون هي اسم لمنطقة في بـــلاد الـــشام الحالية ، استناداً إلى بعض النقوش التي عُثر عليها في منطقة أم العواميـــد ، حيث جاء في إحداها:" أن هؤلاء الناس من حمون ، وجاء في أخرى تحـــت اسم ملقرت: " رب حمون" [5] .

وعلى الرغم من الاختلافات الكثيرة حول معنى هذه الكلمة والتي يمكن من خلالها تحديد ماهية هذا الإله ، فإن الرأي الأخيـــر هـــو الأقـــرب إلـــى الترجيح إذا ما ثبت أنه كنعاني الأصل ، أما إن كان غير ذلك فـــإن الـــرأي

---

(1) Bates, O , The Estren Libyans , Franckass & co ltd , New Impression , London , 1970 . P. 198.

(2) مهران ، محمد بيومي ، المدن الفينيقية ، المرجع السابق ص348 .

(3) الميار ، عبد الحفيظ ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ص208 وكذا – الفرجاوي ، أحمـــد المرجع نفسه ص169 .

(4) Fantar ,Mohamed , Carthage , Approch de une civilization , Tom.2, Alife _ leEditions de la Meditrranee,1998. P.264.

(5) فرزات ، محمد حرب ، المرجع السابق ص56 .

الذي يقول به محمد فنطر هو المقبول علي الأرجح.

ظهر أول ذكر لعبادة بعل حمون في الشمال الإفريقي خلال القرن السابع ق.م تقريباً[1] ، واحتل مركزاً مرموقاً وسط الآلهة القرطاجية المتعددة ، فانتشرت معابده في مختلف المدن الفينيقية في الشمال الإفريقي ، فكانت في قرطاجة وأوتيكا ومكثر وسيرتا[2] ، وكذلك في موقع يسمى أرض الكاتب جنوب غرب مدينة صبراته الحالية ، وفي معبدين آخرين في رأس المنفاخ قرب مدينة صبراته ، وفي منطقة الغيران إلى الغرب من ويات "طرابلس الحالية" [3] ، وقد استمرت عبادته على رأس الديانة القرطاجية حتى منتصف القرن الخامس ق.م حين اقترنت به الإلهة تانيت.

ظهرت نظريتان حول أصول هذا الإله القرطاجي ، تقول أقدمها: إنه إله مركب من إلهين ، هما: بعل الفينيقي وآمون الليبي ، وبذلك أدمج الإلهان وأصبح "بعل حمون" يدعى أحياناً "بعل عمون" ، ويستندون في ذلك على انتشار عبادة الإله آمون في شمال إفريقيا على نطاق واسع[4] ، وكذلك على ظهور بعض صفات الإله "آمون" على الإله بعل حمون ، كالقرص الشمسي ، وقرني الكبش.

أما النظرية الثانية فهي التي تقول بأصوله الشرقية ، وينادي بها أغلب الباحثين الحاليين ، وهي الأرجح كفة على ما يبدو ، على الأقل في ظل الاكتشافات الحديثة ، ففي ظل ما أورده "فرزات" بوجود منطقة في الشرق تحمل اسم حمون[5] وصدارته لمجمع الآلهة في مدينة فينيقية أصبحت مركزاً للفينيقيين بشكل عام هي قرطاجة ، وطغيانه على الآلهة الأخرى ، وبروزه في

---

(1) الفرجاوي ، أحمد ، المرجع السابق ص167.

(2) Fantar.Mohamed , Carthage , op . cit . P.270.

(3) الميار ، عبد الحفيظ ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع نفسه ص210 .

(4) مهران ، محمد بيومي ، المدن الفينيقية ، المرجع السابق ص340 .

(5) فرزات ، محمد حرب ، المرجع السابق ص56 .

وقت يسبق القرن الخامس ق.م الذي يعده الكثير من المؤرخين نقطة تحول في حياة قرطاجة الدينية[1] باتجاههم نحو اللوبيين ، وتأثرهم بهم بشكل أكبر ، هذه الأمور تجعلنا نرجح شرقية أصوله ، ولكن ذلك لا يغلق الباب تماماً أمام الفرضية الأولى نظرا للتواصل الحضاري بين الشرق الفينيقي وغرب البحر المتوسط منذ الألف الثانية ق.م ، فالشكوك التي تحوم حول هذا الموضوع كثيرة ، وهناك أسئلة كثيرة تحتاج إلى إجابة عليها ، حتى نستطيع أن نجزم بأصل هذا الإله ، فمثلاً: لماذا لم يقترن اسم هذا الإله بأسماء البشر ، كما كان يحدث مع الآلهة الأخرى "عبد أشمون - عبد ملقرت...الخ ؟ أم أنه اكتفي بالإشارة إليه من خلال ذكر بعل ؟ وهل أصبحت كلمة بعل تعنى "بعل حمون"؟

هذا ما لا نستطيع أن نجزم به؛ لان كلمة بعل صفة أخذها كثير من الآلهة ، وإذا لم يكن كذلك ، فإن الحديث السابق عن بعل يعد خاطئاً ، وتذهب التفسيرات التي وردت في هذا الخصوص أدراج الرياح.

ويثير عدم ظهور الإله بعل حمون على العملة القرطاجية شكوكاً تدفعنا إلى الإعتقاد في أن كلمة "بعل" هي صفة وليست اسماً حيث إن العملة في قرطاجة لم تُسك إلا في نهاية القرن الخامس ق.م[2] ، ولكن ذلك لا يعني إغفال صورة بعل فيها ، بينما ظهرت صورتانيت عليها بكثرة[3] ، وتانيت هي وجه "بعل" ، واستمرت كذلك حتى سقوط قرطاجة ، في حين ظهرت صورة للإله ملقرت مع الفيل على إحدى العملات في بعض المراكز البونية الأخرى[4] ، كل هذا يحتاج إلى إيضاح حتى نتمكن من الوقوف على ماهية هذا الإله ، وبالتالي يمكننا أن نجزم بأصله وطبيعته.

---

(1) أبو رونيه ، الشاذلي ، محمد الطاهر ، المرجع السابق ص279 .

(2) خلايلة ، إبراهيم خليل ، المرجع السابق ص162

(3) المرجع نفسه ص174.

(4) المرجع نفسه ص168

كان الإله بعل حمون الأكثر شهرة ، وكانت عبادته الأوسع انتشاراً ، وتدل على ذلك كثرة النصب التي دلت عليه ، والنقوش التي ذكرته ، وقد جاء مسبوقاً بكثير من الألقاب ، فقد دعي في بعضها بلقب: "أدن" ، أي السيد ، كما سبق اسمه ب "إل" وبالمولى[1] .

وقد ظهرت رموزه على الكثير من الأدوات المستعملة في قرطاجة ، خاصة أدوات الزينة ، كالحلي والجواهر ، والتي عُثر عليها في بعض القبور القرطاجية.فقد عُثر على قرص الهلال المجنح والهلال المقلوب على إحدى القلادات الذهبية[2]

وكان اسمه لا يرد دائما في بداية النقش ، فقد جاء في المرتبة الثانية مع تانيت ، وأحياناً المرتبة الثالثة ، مثل ما ورد في النقيشة التي تحمل "3778 " " بعل شميم ، تانيت ، بعل حمون ، بعل مجنم[3] .

وقد انفرد مع تانيت بخصوصية تقديم الأضاحي البشرية من أبكار أبناء قرطاجة من الجنسين وعلى مختلف مستوياتهم الاجتماعية ، فقد كانوا يحرقون أحياءً ، ليقدموا نذوراً إلى إلههم الأكبر فرادى وجماعات ، وكان ذلك عن اقتناع وطيب خاطر[4] .

كان لسيطرة القرطاجيين على الشمال الإفريقي الدور الأبرز في انتشار عبادة الإله بعل حمون في المنطقة ، و في بادئ الأمر يبدو أن اقتصرت تلك العبادة على قرطاجة نفسها وبعض المراكز الرئيسة مثل: عتيقة ، ولكن منذ القرن الخامس ق.م بدأت عبادته تنتشر في داخل الأراضي المغاربية وإن تراجعت على الصعيد الرسمي.

(1) المرجع نفسه ص303
(2) المرجع نفسه ص137.
(3) المرجع نفسه ص 304
(4) ميادان,مادلين هورس ، المرجع السابق ، ص65.

وقد فسر بعض الباحثين هذا التراجع إلى أفول نجم الأسرة الماجونية ، حيث اعتبر أن بعل حمون كان حامياً لتلك الأسرة[1] ، ولكن هذا الرأي يحتاج إلى دليل ، حيث لم يثبت أن الآلهة كانت مرتبطة بالأسر ، وإنما كانت خاصة بالمدن. وقد انتشرت عبادته بين السكان المحليين عن طريق القرطاجيين الذين توغلوا في داخل البلاد ، واستوطنوا المراكز الداخلية ، وتمت مطابقته بالإله آمون في" سيوة" الذي كان يتمتع بشهرة واسعة في المنطقة منذ القدم ، وكان رمزه المقدس هو رأس الكبش, فظهر"بعل حمون" في صورة بشرية مرتدياً ثوباً طويلاً ، وإلى جانبه نحتان بارزان على شكل خروفين ، وعلى رأسه قرنان معقوفان على هيئة قرني كبش(الشكل22)[2] .

ومن الواضح أن القرطاجيين قد أضفوا على إلههم بعض الصفات التي كان يتمتع بها الإله آمون الليبي ، حتى عده بعض المؤرخين بأنه ذو أصل ليبي ، أو على الأقل أن اندماجاً قد حصل بين الإلهين إلى الحد الذي ذهب فيه – Bates – إلى الإعتقاد بإن قرطاجة كانت قد عبدت الإله الليبي تحت اسم: " بعل هامون" فيقول: " لقد كان بعل هامون بالفعل شكلا قرطاجيا من أشكال الإله الليبي آمون ، ومما يدل على ذلك شكله الذي يظهر به أحياناً ، وهو هيئة الكبش المقدس" [3] ، وفي هذا تبيان لمدى تأثر الإله القرطاجي بمظاهر الإله الليبي.

ولكن مع منتصف القرن الخامس ق.م ، بدأت تطرأ على عبادة الإله بعل حمون تغيرات جديدة ، عدها البعض تراجعا لتلك , ولكنها في الواقع اقتران هذا الإله بإلاهة أنثى أصبحت ملازمة له, ويرجح أن تكون داعماً له[4] وإن تصدرت هي طقوس العبادة ، وأصبحت لها المكانة المرموقة

---

(1) أبو رونية ,الشاذلي ، محمد الطاهر ، المرجع السابق ص277.

(2) الميار, عبد الحفيظ ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ص208.

(3) *Bates, O . op . cit. P. 198.*

(4) أبو رونية, الشاذلي ، محمد الطاهر ، المرجع السابق ص 279.

والأسمى في الديانة القرطاجية بشكل خاص ، وفي العالم البوني بشكل عام ، فقد نستشف من النقش النذري الذي وجهته إحدى النساء وهي المدعوة "متنبعل" إلى هذين الإلهين ، والذي ترجمته:

- إلى الربة تانيت وجه بعل ، وإلى المولى بعل حمون.
- ما نذرته متنبعل زوجة اتنو بن خملك السبط؛ لإنه سمع صوتها(1).

فإذا ما قرأنا العبارة الأخيرة ، فإننا نجد أن الفعل سمع يعود للمفرد المذكر ، وهو الإله بعل رغم ذكر تانيت قبله, فلم يذكر النقش أنهما سمعا صوتها ، وإنما قصر السماع على الإله بعل, وفي هذا ما يجعلنا نميل إلى أن تانيت إنما جاءت كدعم لوجود الإله "بعل حمون" ، وليست كبديل له.

تانيت:

ظهرت عبادة الربة تانيت وانتشرت كإلهة رئيسة على المستوى الرسمي في قرطاجة منذ القرن الخامس ق.م ، واحتلت الصدارة في الفترة التالية(2).

وقد ثار جدل واسع بين الباحثين حول أصول هذه الربة وماهيتها ، فحاولوا تسليط الضوء على رموزها لتحديد طبيعتها وبداية ظهورها كمعبودة ، ومعرفة بلدها الأصلي, وأسباب بروزها بقوة خلال القرن الخامس ق.م ، فتعددت الآراء والنظريات ، وتباينت حولها ، ولازال الجدل قائماً حول بداية ظهورها ومكانه.

برزت مجموعة من النظريات في هذا المجال ، وانبرى كل فريق للدفاع عن النظرية التي نادى بها, ولكن أهم النظريات التي شدت انتباه الباحثين نظريتان :

---

(1) فنطر, محمد ، الحرف والصورة في عالم قرطاجة ، المرجع السابق ص 72.

(2) Moscati, S, The World of the Phoenicians , op . cit . P. 137.

تقول إحداها: إن هذه الربة هي إلهة أفريقية الأصل ، وعبــدت فــي شمال إفريقيا منذ القدم ، رغم التحويرات التي حدثت عليها فيما بعد[1] .

أما النظرية الثانية وهي الأحدث فتقول بأصولها الشرقية ، وأنها جاءت من الشرق الفينيقي ، وبالتالي لا علاقة لها بسكان شمال أفريقيا[2] .

وفي هذا البحث محاولة لتناول هاتين النظريتين بالدرس والتحليل علّنا نجد في إحداها ما يمكن أن نستند إليه ، وبالتالي ترجيح إحداها على الأخرى ، ولكن الجزم أو الانحياز لإحداها ليس من البحث العلمي في شئ ، نظرا لعدم اكتمال دراسة منطقة شمال إفريقيا دراسة تاريخية أثرية مفصلة ، وبذلك تظل الحقيقة معلقة بالاكتشافات الحديثة.

النظريــة الأولــى:

ترتكز هذه النظرية على جملة من المعطيات التي أوردهــا البــاحثون والقائلون بها ، والتي قادتهم إلى اعتبار أن الإلهة تانيت هي إلهة محلية اعتنقها الفينيقيون عقب القرن الخامس ق.م لدعم مركز الإله بعل حمون فقرنوها به ، وأصبحت تلازمه على معظم الأنصاب ، وفي أغلب التقدمات النذرية[3] .

فأول هذه المعطيات هي بروز هذه الإلهة بعد التحول القرطاجي نحــو الفضاء الأفريقي عقب هزيمة هيميرا ، حيث حدثت تحولات مهمة في حيــاة القرطاجيين ، وكان على رأس هذه التحولات: التحول الديني ، فكــان مــن علاماته بروز هذه الإلهة ، بل وتصدرها الديانة القرطاجيــة ، حتــى إنهــا جاءت قبل بعل حمون المعبود الرئيس للقرطاجيين ، وأصبحت تسمى "تانيت بنى بعل" [4] ، أي تانيت المقابلة لبعل ، أو تانيت وجه بعل ، فأصبح لا يكاد

---

(1) Kess, M , Ancient Egypt, A cutural topography , London , 1961 , P. 128.

(2) الفرجاوي ، أحمد ، المرجع السابق ص193 – 195.

(3) Fantar, Mohamed .H , Carthage la Pretigieuse Cite De Elissa , op . cit . P.160.

(4) Harden, D , op . cit . P.86.

يذكر بعل حمون إلا وتقدمته تانيت ، مما اعتبره البعض إشارة إلى تراجع عبادة بعل والتحول إلى عبادة هذه الإلهة الجديدة[1] ، وأن ذلك جاء في إطار تقرب القرطاجيين من السكان المحليين ومحاولة الاندماج معهم ، حتى يتسنى لهم التوغل في الفضاء الإفريقي لإيجاد عمق إستراتيجي لهم في صراعهم ضد الإغريق ، بعد أن شعروا أن هناك قوة جديدة تنافسهم في البحر ، وقد تحاصرهم أيضاً ، فيصبحوا محاصرين من البر والبحر ، هذا فضلاً عن تدهور مركز المدينة الأم "صور" في الشرق ، وخضوعها لإمبراطوريات الشرق ، كالبابليين والآشوريين والفارسيين ، لذلك سعى القرطاجيون لإيجاد وطن جديد ، وأهالي جدد من الأفارقة ، وهذا لا يتأتى إلا من خلال الاندماج مع السكان المحليين على كافة الصعد ، وخاصة في الجانب الروحي المتمثل في الديانة ، فعبدوا إلهتهم "تانيت" ، هذا فضلاً عن تجديد نشاط الإله بعل حمون بإقرانه بإلهة أنثى ، خاصة وأنها كانت يرمز لها بإلهة الخصب[2] .

أما الدليل أو المعطية الثانية فهي تنبع من اسم الإلهة ذاتها حيث ورد ذكر عبادة الإلهة "تانيت" المصرية في شمال أفريقيا ، فقد كان اسم TNT من الأسماء المؤنثة لدى البربر ، ولغة القبائل البربرية تبدأ بتاء ساكنة وتنتهي بتاء التأنيث ، وكانت تلك القبائل تميل إلى عبادة الأنثى عن الإله الذكر[3] ، وقد انتقلت عبادتها إلى مصر نتيجة التواصل الحضاري والتأثيرات الليبية على المصريين ، ولقبت في مصر منذ القدم بالإلهة الكبيرة ، أو أم الآلهة ، ودعيت في بعض الأحيان بابنة رع[4] دلالة على مكانتها لدى المصريين.

---

(1) Lancel ,S . op. cit . P. 277.

(2) مهران ، محمد بيومي ، المغرب القديم ، المرجع السابق ص212.

(3) Bates , O , op . cit . P .76 . – فرج ، آمال سعيد نوح ، المرجع السابق ص79 – الدراوي ، محمد علي حسين ، الحياة الدينية والثقافية بمنطقة المدن الثلاث زمن الاحتلال الروماني ، المرجع السابق ص74.

(4) العقبلي ، فاطمة سالم ، المرجع السابق ص197.

ويقول Picard: إن تانيت هي إلهة ليبية الأصل ، وإنها استطاعت أن تصل إلى قمة الهرم الديني إلى جانب بعل حمون ، محتلّين مكانة ملقارت وعشترت ، نتيجة التبدلات التي حدثت إبان القرن الخامس ق.م في قرطاجة ، وأصبحت تسمى تانيت بنى بعل[1].

أما المعطية الثالثة ، فإن أصحاب هذا الرأي يقولون: إن الإلهة تانيت لم يرد اسمها في مجمع الآلهة برأس شمرا ، ولا في مجمع الآلهة بصور[2] ، وإن وجد ذكر لها في الشرق ، إذا ليس من المعقول أن إلهة مغمورة في الشرق تظهر فجأة هكذا ، وتتصدر مجمع الآلهة في قرطاجة ، فما هي أهمية هذه الإلهة حتى توضع فجأة على رأس آلهة قرطاجة؟ ومن كان وراء ذلك ؟ هل كانت إلهة عائلة معينة استولت على سدة الحكم في قرطاجة ، وأتت بمعبودها وطقوسها ، وفرضتها على القرطاجيين؟ ثم لماذا ظهرت في القرن الخامس ق.م بالذات ، وعقب التوسع القرطاجي في منطقة المغرب؟ هذه أسئلة كلها يجب الإجابة عنها قبل تحديد أصول الإلهة تانيت.

النظرية الثانية :

ظهرت هذه النظرية مؤخراً منادية بشرقية أصل الإلهة تانيت ، وقد أيدها الكثير من الباحثين بعد الاكتشافات الحديثة التي تم التوصل إليها ، والتي تتحدث عن وجود آثار لها في الشرق الفينيقي. فقد تم العثور على أسماء الكثير من الأماكن التي تحمل اسم تانيت مثل: عين تانيت وكفر تانيت[3] ، كما عُثر على نقش في" قرية الصرفند" إلى الجنوب من صور يحمل رمز تانيت مع الإلهة عشترت ، ويعود النقش إلى القرن السادس أو

(1) Picard, G, Ancient peoples and places, The Phoenicians , London, 1962. P. 89.

(2) الفرجاوي ، أحمد ، المرجع السابق ص193.

(3) الميار ، عبد الحفيظ ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ص204.

السابع ق.م[1] ، أي قبل ظهور هذه الإلهة في قرطاجة ، كما أن هذه الإلهة كانت قد أخذت الكثير من خصائص الإلهة الشرقية عشترت ، هذا فضلاً عن وجود نقش نذرى مهدًى إلى الربة عشترت وتانيت لبنان ، وجد هذا النقش في قرطاجة ، مما عده أنصار هذه النظرية تصريحاً بأصول تانيت الشرقية ، وقد جاء هذا النقش كما يلي:

إلى الربتين عشترت وتانيت لبنان معبدان حديثان مع كل ما...

النحوت الحديثة التي بالمعبدين هذين..والمصوغات الذهبية وكل...

والمدارج التي أمام... والسياج... في شهر حيار

وزمن السبط عبد ملقرت

وزمن السبطين شفط وحنو بن أد بنعل

والرئيس عبد ملقرت بن مجن بن بعلين

بن عبد لاى بن بعلين بن أشمن فلس عبد أرش بن عبد

بن عبد ملقرت . الرئيس. ورئيس الكهنة عزر بعل بن شفط

رئيس الكهنة... بن بعلشلك رئيس الكهنة

والمشرف على المشروع عكيرم المهندس بن جنبعل[2] .

وعلى الرغم من أن هذا النقش معماري ، إلا إنه موجه إلى تانيت لبنان مع عشترت ، وليست مع بعل حمون ، هذا بالإضافة إلى أن أصحاب هذا الرأي يردون على أنصار النظرية الأولى من حيث إن صفة الاسم التي تبدأ بحرف" T" وتنتهي بحرف" Tلا تقتصر على اللغة البربرية ، بل يوجد

(1) Moscati , S,The World of Phoenicians , op . cit . P. 138.

(2) فنطر ، محمد حسين ، الحرف والصورة في عالم قرطاجة ، المرجع السابق ص74.

في اللغات السامية كثير من الأسماء المؤنثة التي تحتوي هذه الخاصية[1] .

ومن هنا وبالنظر للأدلة الملموسة يرى الكثير من الباحثين أن تانيت ذات أصل شرقي.

إن البحث في تحديد أصل ومنشإ الإلهة تانيت في ضوء المعطيات المتوفرة لدينا أمر يصعب التوصل فيه إلى نتيجة حاسمة ، وتظل الأحكام مجرد فرضيات لا يمكن الجزم بها ، فإذا ما نظرنا إلى المكتشفات الحديثة ، وعلى سبيل المثال: نقش ساربتا وثقالة الرصاص ، التي تحمل نقش الإلهة تانيت ووجدت في لبنان[2] .

ومن خلال وجود بعض الأماكن التي ذكرناها يمكننا القول: إنها إلهة ذات أصل شرقي ، حيث ظهرت آثارها في بلاد فينيقيا منذ القرن السابع ق.م تقريباً ، أي قبل ظهورها في شمال إفريقيا بقرنين من الزمان ، ولكننا إذا ما عدنا إلى تاريخ شمال إفريقيا القديم وظهور المعبودة الليبية "نيت" ، التي انتشرت عبادتها في المنطقة على نطاق واسع ، ومنذ الألف الثالثة ق.م تقريباً ، أي عقب توحيد مملكتي الجنوب والشمال[3] ، وتأثر المصريون بتلك الديانة حتى أصبحت من الآلهة الرئيسة في مصر. وبالنظر إلى أن بلاد فينيقيا قد خضعت للسيادة المصرية فترة من الزمن خلال الألف الثانية ، حيث ظهرت تأثيرات دينية مصرية في تلك البلاد[4] ، أفلا يجوز أن تكون عبادة تلك الإلهة قد انتقلت من مصر إلى لبنان من خلال التأثيرات المصرية ؟ كما أننا نرى معرفة الفينيقيين بالشمال الأفريقي قد بدأت في وقت مبكر ، يعود إلى منتصف الألف الثانية ق.م ، كما أوضحنا في فصل سابق ، وحيث إن

(1) Fantar , Mohamed. H, Carthage la Prestigieuse Cite d`Elissa , op . cit . P. 159.

(2) فرج ، آمال سعيد نوح ، المرجع السابق ص80.

(3) Kess, M . op . cit . P .34.

(4) مهران ، محمد بيومي ، المدن الفينيقية ، المرجع السابق ص200 – 205.

الفينيقيين كانوا حلقة وصل مستمرة بين الشرق والغرب ، أفلا يجوز أيضا أن تكون تلك العبادة قد نقلت من شمال إفريقيا إلى بلاد لبنان؟ ويدعم ذلك عدم وجود هذه الالهة في مجمع الآلهة بمدن فينيقيا في الشرق ، وتأخر ظهورها إلى القرن السابع ق.م ، وحتى ظهورها هناك كان قليلاً ومحتشماً ومقتصراً على ظهور بعض العلامات كما في نقش ساربتا ، فلم توجد لها معابد ، ولا ساحات عبادة في الشرق ، كذلك فإن الطبيعة التي كانت تتصف بها – وهي صفة الإخصاب – كانت تتحلى بها الإلهة عشترت. ويذكر بعض الباحثين المختصين أنه كثيراً ما تتم معادلتها بالالهة السامية عشترت[1] ، فهل يجوز أن تشترك الإلهتان في خاصية واحدة في زمن واحد وفي مكان واحد؟ يضاف إلى ذلك أن النقيشة التي وجدت في قرطاجة والتي تحمل الرقم 3914 والتي تتحدث عن تانيت لبنان مقترنة بعشترت[2] تزيد من شكوكنا في أن تانيت لبنان هي غير تانيت المعبودة في قرطاجة ، حيث اضطر كاتب النقيشة أن يعرف بتانيت الواردة في النقش حتى لا يلتبس الأمر ، ولا تصبح هذه النقيشة موجهة إلى تانيت وجه بعل المعروفة ، هذا ناهيك عن توقيت ظهور هذه الإلهة ، والذي زامن تبدلاً عاماً في حياة القرطاجيين في ظل الصراع ضد الإغريق ، وحاجتهم إلى الأفارقة ، وتقربهم منهم عن طريق عبادة إلاهتهم إن صح هذا التعبير. ولعل في ربط تانيت ببعل حمون تفسير لذلك ، حيث نجد أن القرطاجيين لم يشاءوا أن يتخلوا عن إلههم ، وفي نفس الوقت أرادوا إرضاء الأفارقة ، ونلاحظ ذلك من خلال مخاطبة الإلهين ، حيث نجد الفعل – في أغلب الأحيان – كان موجهاً للمفرد المذكر ، والذي هو الإله بعل حمون ، فعلى سبيل المثال :

---

(1) الميار ، عبد الحفيظ ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ص200.
(2) Harden , D . op . cit . P. 88.

أ – إلى الربة تغنيت وجه الإله بعل حمون

ماندرته اريشات بعل

ابنة قرمنين لإنه سمع

صوته فلتحل عليها بركته[1]

ب – إلى الربة تانيت وجه بعل وإلى

المولى بعل حمون ما نذر

بد ملقرت بن شفط بن

ارش بن جرملقرت

تسمع قوله باركه[2] .

من هذا يتضح أن المخاطب هو الإله بعل حمون وإن تقدمته الإلهة تانيت في النقش ، وما هي إلا لدعم هذا الإله ، ولجذب الأفارقة من خلال إظهار معبودتهم.ومع إننا لسنا بصدد الحديث عن تانيت بشكل مفصل ، إلا في إطار ما يخدم بحثنا هذا ، إلا أننا سنحاول تسليط الضوء على طبيعة وانتشار هذه الإلهة.

انتشرت عبادة تانيت انتشاراً واسعاً في شمال إفريقيا عقب القرن الخامس ق.م ، ولم تقتصر على قرطاجة وحدها ، بل تعدتها إلى الأقاليم الداخلية ، فقد وجدت لها نقوش وأنصاب في الجزائر الحالية ، "نقوش معبد الحفرة" ، وكانت الأكثر انتشاراً بين الآلهة ، حيث ورد ذكرها مع آلهة آخرين غير"حمون" في بعض الأحيان كالإله "بعل أدير"مثلاً [3] ، مما يعنى احتلالها مكاناً بارزاً في

---

(1) ديكرية ، فرانسوا ، قرطاجة أو إمبراطورية البحر ، المرجع السابق ص140.

(2) فنطر ، محمد حسين ، الحرف والصورة في عالم قرطاجة ، المرجع السابق ص52.

(3) غانم ، محمد الصغير ، المملكة النوميدية والحضارة البونية ، المرجع السابق ص207.

الديانة البونية, كما أن أخذ تانيت لمعظم صفات الإلهة "عـشتارت" يـدل علـى استقلاليتها وتفردها في المنطقة التي ظهرت فيها ، فقد أخذت عنها صفة الخنوثة "إزدواجية الوظيفة الجنسية", وتميزت كل منهما بصفة الأمومة ، حيث ظهـرت تانيت على شاهد قبر" يعود إلى القرن الخامس ق.م في سوسة بصفة "أم", كمـا إنها كانت إلهة الخصوبة الخاصة بالطبيعة في قرطاجة[1].

ويرى "Ferron" أن تانيت في قرطاجة ربما تقابـل عـشتارت فـي الشرق حيث تحمل كل منهما الخصائص ذاتها من أمومة وخصوبة,وبالتالي فكل منهما تعتبر إلهة رئيسة, فكما أخذت عشتارت صفة الإخصاب عن الإله "إل" ، أخذت تانيت هذه الصفة عن الإله بعل حمون[2] , وقد جاء ذكرها على أنها وجه"بعل" ، وقيل إنها زوجته, ولكن الشئ المتفق عليه أنها تمثل إلهـة الأمومة ، تحتضن الأطفال وتغذيهم من ثدييها[3] (الشكل23) ، وهذا ما يدعم الرأي القائل بالأصل الليبي لهذه الإلهة ، إذ ليس من المعقول أن تكون هناك إلهتان تحملان نفس الخصائص ، ولهما نفس الأدوار في منطقة واحدة ، هذا لم نعثر على مثيل له في منطقة أخرى.

أما ما يورده بعض الكتاب الآخرين أمثال: "Donald,Harden" الذي يقول: إن الإلهين"ملكارت وعشتارت "قد ظهرا تحت اسـم: "بعـل حمـون وتانيت بني بعل" عقب القرن الخامس ق.م[4] ، فهذا يحتاج إلى تدقيق وترو ، نظراً لاستمرار عبادتهما بعد القرن المذكور.

كما أن الرأي القائل بتطور الرمز الخاص بتانيت ( ) عن بعض التمائم في الشرق التي تنسب إلى عشتارت كما في (الشكل24) ، والذي اعتبره بعض

---

(1) فرج ، آمال سعيد نوح ، المرجع السابق ص83 .

(2) Ferron ,J. La Deesse TNT de Carthage a Propos d`un livre recent , le musen d`etu des orientqales , fqse 1 _ 2 _ Musee national ou Paris ,1986. P.30.

(3) فنطر ، محمد ، حول النقائش البونية ، المرجع السابق ص19.

(4) Harden ,D ,op . cit . P.89.

الباحثين كذلك[1] لا يمكن الأخذ به, بل هو أقرب إلى علامة العنخ المصرية التي ترمز للحياة ( )[2], وإذا كان هناك تشابه أو تأثير على الربة تانيت ، فإنه يكون مع الربة المصرية "إيزيس" ، التي عُبدت في المنطقة الشرقية من ليبيا ، وظهرت عبادتها أيضاً في قرطاجة ، وصورت على هيئة قريبة جداً من الشكل الذي ظهرت عليه الربة تانيت ، فقد ظهرت على هيئة بشرية تجلس على كرسي حاملة طفلها الإله حورس في أحضانها ، تحتضنه بيد وترضعه بالأخرى(الشكل25) ، ويعلو رأسها قرنا البقرة حتحور بينهما قرص الشمس ، كما ظهرت الربة إيزيس كإلهة للخصوبة أيضاً[3] ، ومع أن تانيت كانت إلهة للخصوبة كما يظهر من خلال تصويرها كأم ترضع طفلها ، إلا أنها كانت ذات طبيعة شمسية من خلال الهلال المقلوب وقرص الشمس ، كما أن ظهور سمكة الدلافين في أسفل أنصابها يوحي بتلك الطبيعة ، حيث كانت السمكة ترمز إلى الشمس المشرقة ، كما أن رمزها الخاص كان يقع بين الصولجان واليد المرفوعة التي ترمز للحماية ، والصلاة ، والنعمة (الشكل26)[4] .

ومن خلال ما تقدم نجد إن تانيت قد أصبحت إلهة عامة في العالم البوني في غرب البحر المتوسط ، ولم تكن خاصة بمدينة معينة ، ولم تظهر إلهة أخرى تنافسها[5] في المنطقة ، كما حدث بالنسبة للإله بعل حمون ، وعلى الرغم من ظهوره كإله رئيس لقرطاجة ، إلا أنه كانت هناك عبادة لآلهة أخرى في المراكز البونية الأخرى ، مثل: ملكارت وشادراف وأشمون وغيرهم.

وفي استمرار عبادة تانيت خلال العهد الروماني ، وانحسار عبادة بعل

---

(1) فرج ، آمال سعيد نوح ، المرجع السابق ص90.

(2) المرجع نفسه ص92.

(3) المرجع نفسه ص 93 ـ 95.

(4) فرج ، آمال سعيد ، المرجع السابق ص84.

(5) الميار ، عبدالحفيظ ، اكتشافات جديدة في الجبل الغربي ، مجلة تراث الشعب ، السنة 18 ، العددان 3 ، 4 ، 1998م ص98.

حمون وتشبث السكان بها ، دلالة توحي بمحلية هذه الإلهة ، فقد وجد نقش في منطقة الزنتان على أحد التماثيل ، كتبت عليه عبارة: "كصت جبر" ، وهي تعني عرش السيدة العظيمة ، وكانت هذه الكتابة متأثرة باللاتينية ، وتعود إلى القرن الثاني الميلادي[1] ، وقد تمت مطابقتها مع الإلهة عشترت في الشرق ، وأفروديت لدى اليونان[2] .

ويقول خزعل الماجدي: إن علامة تانيت قد ظهرت في شمال إفريقيا في وقت مبكر جداً ، يعود إلى الألف الثامنة أو التاسعة ق.م ، ويلاحظ ذلك من خلال الرسوم الصخرية في ليبيا[3] .

ومما يزيد ترجيح نظرية الأصول الليبية لهذه الإلهة ما ذكره الدكتور الميار: من أنه لا يوجد دليل على ممارسة العبادات الفينيقية في جنوب إقليم المدن الثلاث ، باستثناء الإفريز الذي عثر عليه في واحة غدامس ، والذي يمثل نذراً فينيقياً ، حيث اقتصرت تلك الممارسة على المدن الساحلية[4] .

في حين يذكر آخرون أن عبادة الإلهة تانيت ربما وجدت في جرمة في عمق الصحراء من خلال رموزها التي ظهرت على شواهد القبور الجرمنتية ، حيث ظهرت على شكل القرنين ، التي ربما تمثل الهلال المقلوب ، أو ظهرت على شكل الكف ، وهو أحد رموز تانيت المقدسة ، وهذا ربما يدل على ممارسة عبادتها هناك[5] ، ويعتبر انتشار عبادة الإلهة تانيت بين عامة الناس ووجود مثل هذه العبارة بين سكان المدن الأخرى والأرياف التي يقطنها اللوبيون ، واستمرار نحت نقوش تانيت ورسمها لدى

---

(1) المرجع نفسه.
(2) فرج ، آمال سعيد نوح ، المرجع السابق ص104.
(3) الماجدي ، خزعل ، المعتقدات الكنعانية ، المرجع السابق ص83.
(4) الميار ، عبدالحفيظ ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ص248.
(5) أيوب ، محمد سليمان ، المرجع السابق ، ص169.

الناس حتى العصر الروماني[1] ، وانحسار عبادة حمون ، دلالة على جذور هذه الإلهة المحلية.

ومن هنا ومن خلال ما تقدم ، يمكن أن نرجح إن تانيت وهي إلهة العلم البوني الأنثى من أصل أفريقي ، وليست من أصل شرقي ، وإن وجدت لها آثار عبادة تعود إلى القرن السادس أو السابع ، فهي مطابقة لعشتارت ، وتحمل نفس الخصائص ، ولها نفس الدور.

أما وجودها في الشرق فلا يعدو كونه انتقال لعبادة هذه الإلهة إلى هناك ، إما عن طريق التأثيرات المتبادلة من خلال التجار الفنيقيين الذين ارتادوا غرب البحر المتوسط في وقت مبكر ، وإما أن يكون عن طريق مصر كما ذكرنا ، حيث انتقلت من ليبيا إلى مصر ، ومنها إلى الشرق الفينيقي ، حيث تمازجت الديانتان الليبية والمصرية منذ أقدم العصور ، حتى أصبح من الصعب التفريق بين الآلهة ذات الأصول الليبية ، والآلهة ذات الأصول المصرية ، فكثير من الآلهة الليبية غير تانيت عُبدت في مصر مثل: الإله أش ، الذي ظهر على الألواح المصرية منذ الدولة القديمة ، والإله شهدو ، والإله حرشف ، وكذلك الإله حورس الذي وجدت له صلة بقبيلة التحنو الليبية ، فكان من ألقابه: حور تحنو ، وتحنوى ، وحورس الليبي ذو الذراع القاسمة [2] .

---

(1) Divita, Antonio _ The Role of The Phoenicians in the intraction of Mediterranean civilization ,Edition by William .A. Ward American University of Beirut , 1967.P. 70.

(2) العقيلي ، فاطمة سالم ، المرجع السابق ص195 – 196.

الأضحية البشرية

تعتبر ظاهرة الأضحية البشرية عنصرا أساسيا من عناصر الديانات السامية القديمة ، ويرى أغلب المؤرخين أن هذه الشعيرة قد ظهرت في بادئ الأمر في فينيقيا ، ومنها انتشرت في بلاد الشرق ، مثل: سوريا وفلسطين منذ منتصف العصر البرونزي 2000 – 1500ق.م[1] ، وعنهم أخذها العبرانيون ، فانتشرت ممارستها بينهم حتى إن بعض أنبيائهم قد أنتقد هذه الشعيرة وعنفهم عليها ، فتذكر التوراة أن النبي "أرميا" يقول في معرض غضبه على بني قومه: "بنوا المرتفعات للبعل التي في وادي ابن هنوم ليجيزوا بنيهم وبناتهم في النار لمولك الأمر الذي لم أوصهم به ولا صعد على قلبي ليحملوا هذا الرجس ، ليجعلوا يهوذا يخطئ" [2] . ويستند الذين يقولون بهذا الرأي على ما ورد في التوراة ، وبذلك اعتبروا أن هذه الشعيرة كنعانية الأصل ، خاصة تلك التي تتعلق بالأطفال ، ولكن هل هناك دليل على أنها كنعانية غير التوراة ؟

فكتاب التوراة هم يهود أعداء للكنعانيين ، ولا يمكننا الوثوق بهم والاعتماد عليهم ، شأنهم في ذلك شأن الكتاب الإغريق ، وقد ظهر ذلك العداء واضحاً في كتابهم المقدس ، حيث ورد في أحد الأسفار:" هأنذا عليك ياصيدون ، وسأتمجد في وسطك... وأُرسل عليها وباءً ودماً إلى أزقتها ، ويسقط الجرحى في وسطها بالسيف الذي عليها من كل جانب ، فيعلمون أني أنا الرب ، فلا يكون بعد لبيت إسرائيل سلاّء ممرر ، ولا شوكة موجعة من كل الذين حولهم" [3] .

وبذلك يصبح من الصعب الاعتماد علي هذا المصدر ، هذا فضلاً عن

---

(1) الميار ، عبد الحفيظ ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ص228 – 229 .

(2) الكتاب المقدس ، أرميا ، 32 – 35 .

(3) المصدر نفسه ، حزقيال ، 28 – 23 ، 24 ، 25 .

أن المصادر سواء الأثرية أو الكلاسيكية لم تتحدث عن وجود أماكن خاصة لممارسة هذه الشعيرة في المدن الفينيقية في الشرق[1] ، والتي عُرفت "بالتوفيت"[*] فيما بعد ، بينما نرى أن هذا المكان إنما وجد لدى العبرانيين ، وهو ما أطلق على مكان يحمل اسم: تفت ، في وادي "حنون" قرب القدس ، تتم فيه عملية تقديم الأطفال كقرابين للإله مولوخ[2] ، ولذلك فليس من المستبعد أن تكون هذه الشعيرة كانت ذات منشأ عبراني ، ومنه انتشرت في سائر بلاد الشرق ، إذ لا يمكن أن تكون كنعانية الأصل ، ولا توجد مثل تلك المعابد ، لا في جبيل ، ولا في صور أهم المدن الفينيقية ، ولكننا هنا لسنا بصدد تحقيق نشأة هذه الطقوس ، فما يهمنا هو انتقالها إلى الشمال الأفريقي ، وبروزها بشكل قوي في قرطاجة ، مما جعل المؤرخين يسهبون في الحديث عنها ، ويصفونها بالوحشية ، وينكرونها على القرطاجيين.

ومما لا شك فيه أن منشأ هذه الشعيرة كان شرقياً ، وكما ذكرنا فقد وجدت ممارستها لدى العبرانيين وجيرانهم الآخرين ، حيث ورد أن أحد ملوك مؤاب ويدعى: ميشع ، قد ضحَى بولده البكر للإله "كموش" لكي ينقذه من قوات أعدئه[3] ، وكذلك يذكر أن الصوريين قد أرادوا تقديم أحد الأطفال كأضحية للإله عندما حاصرهم الإسكندر المقدوني في القرن الرابع ق.م ، ولكن مجلس الشيوخ رفض مثل هذه الأضحية[4] ، وقد انتقلت عادة تقديم الأضحيات البشرية Moik,dn بشكل عام إلى شمال إفريقيا مع مجئ الفينيقيين إليها ، حيث قدمت اليسار نفسها كأضحية من أجل مدينتها[5] .

---

(1) الميار ، عبد الحفيظ ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ص228

(*) هو اسم قديم أطلق على المعبد المكشوف وأرتبط بتقديم الأضاحي البشرية من الأطفال ولم يستطيع الباحثون حتى الآن تحديد معنى الكلمة وأشتقاقاتها فذكرت تفت ، توفات ، توفيت...الخ.

(2) أبو رونية ، الشاذلي ، محمد الطاهر – ، المرجع السابق ص280 .

(3) الكتاب المقدس ، الملوك الثاني – 3 / 26 ، 27 .

(4) الفرجاوي ، أحمد ، المرجع السابق ص209 .

(5) الميار ، عبد الحفيظ ، ظاهرة الأضحية البشرية في الديانة الفينيقية ، مجلة آثار العرب ، مجلة فصلية

وظهرت معابد التوفيت الخاصة بتقديم أضحيات الأطفال في قرطاجة في وقت مبكر ، يعود إلى بداية تأسيسها ، وارتبط إنشاء مثل هذه المعابد بممارسة تلك الشعائر ، فكانت التوفيت عبارة عن بناء مكشوف تحرق فيه الأضحية بعد أن يتم إزهاق روح الضحية وفق طقوس معينة ، يقوم بها الكهنة ، ثم يوضع الرماد المتبقي من الجثة في جرار أعدت لمثل هذا الغرض[1] ، وقد عُثر على الكثير من هذه الجرار في معبد الإلهة تانيت في قرطاجة ، حيث ارتبطت مسألة تقديم الأضحية إلى الإله بعل حمون والإلهة تانيت[2] ، ويذكر البعض من أمثال بيكارد: أن تلك الشعيرة كانت ركناً أساسياً في الديانة القرطاجية ، وكان يتم حرق الضحية حية قبل ذبحها أو قتلها[3] .

ازدادت ممارسة هذه الشعيرة في قرطاجة بشكل ملحوظ عقب القرن السادس ق.م ، حيث وجدت الآثار الدالة على حرق جثث الأطفال ، ويذكر ديودرس الصقلي: أن قرطاجة قد قدمت حوالي "200 " طفلاً ، كأضحيات بشرية أثناء حصار أجاتوكليس لها في نهاية القرن الرابع ق.م[4] ، ويستطرد الكاتب الإغريقي فيقول: "إن هؤلاء الأطفال قدموا للإله كرونوس" بعل حمون" نتيجة غضبه عليهم؛ لأنهم عصوه ، فأخذوا يشترون الأطفال سراً ويقدمونهم كاضحيات بعد تغذيتهم بشكل جيد ، بعد أن قدموا أبناءهم في السابق" [5] ، ولكن هذا يحتاج إلى تدقيق أكثر على الرغم من أنه جاء على لسان أحد المصادر الكلاسيكية ، فهل كان هناك من يبيع أطفاله في قرطاجة؟ ولماذا ؟ هل كان ذلك نتيجة الفقر؟ أم أن أولئك الأطفال لم يكونوا قرطاجيين ؟

نقدية تعنى بشئون العمارة والفنون والآثار يصدرها مشروع تنظيم إدارة المدينة القديمة ، طرابلس بالتعاون مع مصلحة الآثار العدد ، 11 ـ 12 ، 1999مص16.

(1) أبو رونية ، الشاذلي ، محمد الطاهر ، المرجع السابق ص282 ـ 283.

(2) Moscati, S. The World of Phoenicians , op . cit . P .142.

(3) الميار ، عبدالحفيظ ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ص230.

(4) Diodorus,Sicily, XX _ 4 _ 6 .

(5) ديكريه ، فرانسوا ، قرطاجة أو إمبراطورية البحر ، المرجع السابق ص147 .

ولماذا لا يقدمهم آباؤهم بأنفسهم حتى تشملهم الرعاية الإلهية بشكل أفضل؟

إن مثل هذه الايحاءات يجب أخذها بشئ من الحذر ، وإخضاعها للمناقشة العلمية قبل الاستدلال بها ، ويرجح كثير من الباحثين أن الغاية من تقديم مثل هذه الأضحية هو إرضاء للإله ، وتجديد لنشاطه في مواجهة الأخطار [1] .

رفض موسكاتي الإفراط في تقديم هذه الصورة التي جاء بها ديودورس الصقلي عن هذه الظاهرة ، فيرى بأنها شهادة لا يعتمد عليها؛ لأنها جاءت من أحد أعداء قرطاجة ، ولا يستبعد أن طقوس دفن الأطفال كانت تتم بطريقة الحرق في التوفيت[2] ، ومع إن أعمال الفريق الأمريكي الذي قام بتحليل حوالي 130 جثة ، قد أثبتت حرق تلك الجثث[3] ، إلا أنه لا يعرف على وجه التحديد إن كان الحرق جاء نتيجة لممارسة شعائر دينية ، أم إنه كان جزءً من ممارسة طقوس دفن الأطفال ، حيث يورد فنطر تحليلاً مقبولاً ، يعتبر فيه أن الأطفال الذين يموتون صغاراً في السن إنما يرفعون إلى الإله طاعة له ، فهم عطية استردها الإله ، ولكن وفق طقوس معينة[4] .

يظل الباب مفتوحاً أمام كل التكهنات ، خاصة عند طرح السؤال الآتي: هل كانت طقوس الحرق خاصة بالأطفال في قرطاجة؟ ولماذا ترتفع نسبة الوفيات بينهم ، خاصة بعد القرن السادس والخامس ق.م تقريباً؟ لذلك فمن المرجح أن شهادات ديودوس لا تخلو من الحقيقة ، وإن بالغ فيها إلى حد كبير ، فقد كان يتم تقديم مثل تلك الأضاحي عندما يحيق الخطر بقرطاجة كما جرت العادة لدى الشعوب الأخرى ، فقد ثبت أن الرومان كانوا قد قدموا أضحية بشرية ، حيث دفن اثنان من الغاليين واثنان من

---

(1) محمد ، أكريم الجارح ، المرجع السابق ص 55 وكذلك ديكريه – ص146 .

(2) أبو رونية ، الشاذلي ، المرجع السابق ص289 – 292 .

(3) المرجع نفسه ص292 .

(4) فنطر ، محمد حسين ، الحرف والصورة في عالم قرطاجة ، المرجع السابق ص51 .

الإغريق في السوق العام عقب هزيمة كاناى عام 216 ق.م[1]. وحيث إن تقديم الأطفال يدل على تضحية الأسر بفلذات أكبادها – وهو أغلى ما لديها لإرضاء الإله الأعظم ، كما أن تقديمهم لا يؤثر على المجهود الحربي في الدولة ، حيث لا يستطيع الأطفال حمل السلاح – فهم يقدمون عوضاً عن الرجال الذين تحتاج لهم الدولة.

أما الحديث عن استبدال تلك الأضحيات بأنواع أخرى من الحيوانات والطيور ، والتي تسمى Molchomor[2] ، فإن هذا يحتاج إلى تمحيص أكثر ، ودراسة أدق ، فقد كانت هذه الأشياء تقدم كقرابين وليست كأضحيات ، وهناك فرق كبير بين الأضحية والقربان ، فالأضحية كانت تقدم وقت الأزمات والأخطار فقط ، وكان تقديمها لا يكون خاصاً وفردياً ، وإنما كان عملاً يخص المدينة بشكل عام.

أما القرابين العادية فكانت تقدم بصفة فردية طلبا لحاجة ما ، فيقدم حيوان أو طائر تقربا للإله من أجل قضائها ، وفي كثير من الأحيان يكون للكاهن نصيب منها ، وكذلك صاحب القربان[3] ، بينما هذا لا ينطبق على الأضحية البشرية ، كما أن ازدياد أعداد تلك الأضحيات في القرون التالية – إن صح ذلك – إنما ينم عن أنها كانت تقدم لدرء الأخطار[4] ، ويؤكد ذلك ازديادها تبعاً لتزايد الأخطار الخارجية من قبل الإغريق والرومان ، حيث ساهم الصراع الإغريقي القرطاجي على إذكاء مثل هذه الظاهرة ، وبعثها من جديد في قرطاجة في عصورها المتأخرة ، فقامت ببذل الغالي والرخيص من أجل شعبها؛ لأنها لم يعد لديها ما تخسره ، فقدمت أضحياتها علّ آلهتها تقف إلى جانبها ، حتى التصقت تلك العادة الذميمة بها ، واستمرت بين السكان

---

(1) Warmington, B. H ,op . cit . P. 148.

(2) ديكريه ، فرانسوا ، قرطاجة أو إمبراطورية البحر ، المرجع السابق ص148 .

(3) الفرجاوي ، أحمد ، المرجع السابق ص207 .

(4) الميار ، عبد الحفيظ ، ظاهرة الأضحية البشرية في الديانة الفينيقية ، المرجع السابق ص17 .

المحليين حتى بعد سقوط قرطاجة ، حيث كانت تمارس هذه العادة سراً في بداية العصر الروماني[1] ، ولو أن الأصناف الأخرى حلت محل البشر لما وجدنا مثل تلك الأضحيات البشرية تقدم من جديد بعد أن تم التخلص منها ورضى الآلهة بالبديل.

أهم المعبودات المحلية

تنوعت وتباينت المعتقدات الدينية في منطقة المغرب القديم تبعاً لترامي أطراف هذه المنطقة ، وافتقارها لتنظيم سياسي واحد ، فكان لكل جماعة معتقداتها الخاصة التي تميزها عن الجماعة الأخرى ، وإن طغت بعض المعتقدات والعبادات على الأخرى ، فانتشر بعضها انتشاراً واسعاً شمل المنطقة كلها ، بل وتجاوزها إلى المناطق المجاورة ، وبقى بعضها خاصاً بالجماعة التي ظهر بينها ، وكانت العلاقة قوية بين الجانب الروحي والحياة اليومية لدى الشعوب القديمة ، ولذلك فقد ارتبطت ديانة الليبيين القدامى ارتباطاً وثيقاً بحياتهم المادية ، كغيرهم من تلك الشعوب ، فاعتقدوا في وجود قوى لها سلطان عليهم ، وتتحكم في مصائرهم ، فتغضب عليهم وتتلف مزروعاتهم ، وترسل عليهم الحر والرياح ، كما أنها تنعم عليهم وتدر عليهم المكاسب فترغد حياتهم ، فسعوا لإرضائها والتقرب منها لنيل عطفها ومساعدتها ، والنجاة من عقابها[2].

كان لعبادة مظاهر الطبيعة مكان بارز بين القبائل الليبية القديمة ، حيث انتشرت عبادة الجبال والأماكن العالية والكهوف ، لاعتقادهم بأن أرواح الآلهة كانت تسكن هذه الأماكن[3] ، وظهرت عبادة الأنهار وعيون المياه التي

---

(1) المرجع نفسه ص17 .

(2) الميار ، عبد الحفيظ ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ص63 .

(3) سالم ، محمد امحمد ، فرضية جذور الصراع بين حضارات شمال حوض البحر الأبيض المتوسط وجنوبه منذ أقدم العصور حتى الإحتلال الروماني لمصر عام 30ق.م ، رسالة ماجستير لم تنشر ، جامعة الفاتح ، كلية العلوم الاجتماعية والتطبيقية ، 1998مص94.

تسقي الحرث وجنبات الوديان ، وعبادة الصخور الكبيرة ، كالصخرة التي في واحة سيوه ، حيث كانت بعض القبائل تتحاشى المساس بها ، اعتقاداً منهم بأن ذلك يثير غضب الإله الذي يسكنها ، مما يثير رياحاً وأتربة ، كثيراً ما كانت تتلف مزروعاتهم ، وتدمر قراهم[1]. هذا فضلاً عن عبادة الظواهر الطبيعية ، كالأمطار والرياح والبرق والرعد والعواصف ، خوفاً من غضبها ، وطمعاً في ما تجود به من مياه ، من شأنها أن تدر عليهم محصولاً وفيراً.

وإلى جانب عبادة المظاهر والظواهر الطبيعية ، انتشرت معتقدات أخرى تميز بها الليبيون القدامى عن غيرهم ، تمثلت في عبادة أرواح الأسلاف ، فقد كان بعضهم يستشير أرواح أسلافهم المؤلهين[2] ، فكانوا يذهبون إلى قبور موتاهم ، وينامون عليها ، ويصدقون ما تأتيهم من أحلام هناك ، ويعتبرونها مشورة مقدمة لهم من سكان تلك القبور من الصالحين ، وبالتالي وجب تنفيذ تلك الوصايا[3] ، هذا فضلاً عن انتشار عبادة الكواكب لدى بعض القبائل ، مثل: عبادة الشمس والقمر ، التي يذكر أن الليبيين يقدمون لها القرابين دون غيرها[4] ، ومع ذلك فإن بعض تلك القبائل كانت لا تقر هذه العبادة ، بل وتلعن الشمس عندما تكون في منتصف السماء؛ لأنها تحرقهم وتحرق أراضيهم ، وبالتالي تتلف مزروعاتهم ، وكان على رأس أولئك: قبيلة الأترانتس[5].

إضافة إلى هذه المعتقدات والمعبودات المتعددة كانت هناك عبادة الأوثان أيضاً ، فقد ظهرت في منطقة المغرب القديم معبودات وثنية احتلت مكانة بارزة بين أبناء البلاد المجاورة ، وكذلك التي اتصلت بالمنطقة ، كالمصريين والإغريق والفينيقيين ، وكان من بين هذه الآلهة: الإله "أش" أو

---

(1) Bates,O , op . cit . P.175.

(2) الميار ، عبد الحفيظ ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ص63 .

(3) المرجع نفسه

(4) Herodotus, !V . 188.

(5) Strabo , XV11 _ 2 _ 3 .

عش ، الذي ظهر في النقوش المصرية منذ الأسرة الخامسة[1] ، وكذلك الإله حرشف ، الذي صور في شكل كبش[2] ، والإلهة " شهانيت" ، التي عُثر على اسمها في الألواح المصرية ، واقترن ذكرها بأسماء الليبيين المقيمين هناك[3]. كما ظهرت عبادة آلهة أجنبية بين أبناء البلاد الأصليين ، وثار جدل حول أصولها ، كان من أشهرها: الآلهة المصرية " ست وحورس وإيزيس ، التي اشتهرت عبادتها بعد ذلك في قرطاجة ، وظهرت لها صور قريبة من الإلهة "تانيت" [4]. وكان أشهر هذه الآلهة الوثنية وأكثرها انتشاراً بين السكان المحليين ، وحتى الشعوب الأخرى: هو الإله آمون ، معبود واحة سيوه.

الإلـه آمـون :

انتشرت عبادة الإله آمون بشكل كبير في المناطق التي تسكنها القبائل الليبية الواقعة غرب منطقة الدلتا انتشاراً واسعاً ، فشملت كل منطقة برقة الحالية ، *وامتدت حتى منطقة المغرب العربي اليوم* ، *ولا غرابة في ذلك* ، فقد كان مركزه الرئيس في واحة سيوه ، وقد سمي بآمون سيوه تمييزاً له عن آمون طيبة المصري ، وعرفه الإغريق تحت اسم: "زيوس آمون" [5].

وكانت عبادته هي المسيطرة دون غيرها ، ولم يكن آمون سيوه إلهاً محلياً اقتصرت عبادته على المنطقة القريبة من واحة سيوه ، بل كان إلهاً عالمياً ، فقد عرفه المصريون ، وظهرت عبادته في طيبة تحت اسم "آمون طيبة".

كما عرفه الإغريق ، وحجوا إليه ، وبنوا له معبداً في أثينا عام 733ق.م ، وأطلقوا على مركبهم المقدس اسم: "سالامينا أمونياس" [6].

---

(1) عبد العليم ، مصطفى كمال ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم ، المطبعة الأهلية ، بنغازي 1966م ص45.
(2) العقيلي ، فاطمة سالم ، المرجع السابقص195.
(3) الميار ، عبد الحفيظ ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ص66 .
(4) فرج ، آمال سعيد نوح ، المرجع السابق ص93 .
(5) نصحي ، إبراهيم ، مصر في عصر البطالمة ، ج1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط4 – القاهرة 1976م ص24 .
(6) المرجع نفسه ص22 – 32 .

وعرفه القرطاجيون ، ومزجوا عبادته بعبادة إلههم بعل حمون باتخاذهم رموز آمون وإضفائها على إلههم الفينيقي[1].

وكان الإله آمون هو الإله الرئيس في قوريني وكان حامياً لها[2] ، ومن الواضح أن عبادته في المدينة لم يكن لفترة قصيرة ، بل استمر فترة طويلة جداً ، وهذا ما نستنتجه من ظهوره على بعض العملات القورينية ، والتي تعود إلى أزمان مختلفة ، فقد وجدت صوره على بعض العملات التي صور على وجهها الآخر الإسكندر المقدوني الذي حلّى بقرنى آمون ، كما ظهر على نقود تعود لفترة أخرى ، وعلى وجهها الآخر نسر يقف على صاعقة ومفرداً جناحيه.وظهر على النقود التي سكت في عهد بطلميوس يورجنيس ، بينما ظهر على الوجه الآخر شكل نصفي للبطلميوس الثالث[3] ، كما أن الرموز التصويرية لرأس آمون قد رافقت نبات السلفيوم لأكثر من ثلاثة قرون[4].

وهذا إن دلّ على شئ فإنما يدل على انتشار وهيمنة عبادة هذا الإله. كما ظهرت عبادته إلى الغرب من قوريني فوجد له معبد في واحة أوجلة. وكان يوجد إلى الجنوب من بنغازي الحالية تلا يعرف بتل آمون[5] ، وقد انتشرت عبادة آمون بين القبائل الليبية في الصحراء الغربية للدلتا ، والتي تبدأ من بلاد النوبة إلى ساحل إفريقيا الشمالية ، وقد كانت هذه القوافل تسيطر على الطريق التجاري بين دار فور والواحات في الشمال[6] ، وربما هذا ما جعله يصبح

---

(1) أيوب ، محمد سليمان ، جرمة في عصر أزدهارها من100 – 450م ، كتاب ليبيا في التاريخ ، الجامعة الليبية ، كلية الآداب 1968م ص170 .

(2) تعريب ، إبراهيم المهدوي ، نبات السلفيوم هل لايزال موجودا ؟ ، مجلة آثار العرب ، العددان ، 11 – 12 ، 1999م ص45 .

(3)المرجع نفسه ص48 .

(4) نصحي ، إبراهيم ، المرجع السابق ج3 ، ص76 – 85 .

(5) عبد العليم ، مصطفى كمال ، المرجع السابق ص47 .

(6) غزال ، أحمد حسين ، ليبيا القديمة ، تقرير ودراسات الندوة التي نظمتها اليونيسكو في باريس ، ينـاير 1984م ص193 .

الإها حامياً للتجارة والمسافرين[1] ، بعد أن ذاعت شـــهرته كإلـــه للنبـــوآت ، فقصده القادة العظام لمعرفة مصير حملاتهم العسكرية ، ومدى نجاح خططهم الحربية ، وكان على رأسهم: الإسكندر المقدوني ، وفي ذلك اعتـــراف بـــسعة انتشاره وعالميته[2]. وقد امتدت عبادته غرباً ، فوجدت له معابد في كل مـــن ترهونة و"أبونجيم"[3] ، كما أن رموزه المتمثلة في قرني الكبش قد انتـــشرت في المغرب الأقصى والجنوب الوهراني حتى منطقة أطلس[4].

اختلفت الآراء حول أصول هذا الإله ، فظهرت نظرية تنـــادي بأصـــوله المصرية ، ويقول أصحاب هذا الرأي: إن زيوس آمون سيوه هو عبـــارة عـــن تمازج بين الإله آمون طيبة وإله ليبي صغير[5] ، ويعتقد هؤلاء أن القبائل الليبية الواقعة غرب الدلتا اعتنقت عبادة هذا الإله ، ومنها انتشرت باتجاه الغرب.

أما أصحاب الرأي الثاني فيقولون بأصوله الليبية ، ويستندون في ذلـــك على سعة انتشاره في بلاد المغرب القديم من المغرب الأقصى الحالية حتـــى واحة سيوه غرب الدلتا ، ويقولون: إنه يختلف عن الإله المصري آمون طيبة ، وإنه مجرد تشابه في الاسم ، كما يتخذون من رمزه المقدس – وهـــو رأس الكبش – حجة على التفريق بينه وبين الإله المصري ، حيث كان الكبش من الحيونات المقدسة لدى الليبيين القدامى لارتباطه بالبيئة الليبية ، فقـــد كـــان موجوداً بكثرة في الجبال وفي السهول ، ونظراً لما يتمتع به هذا الحيوان من قوة وعنفوان ، فقد اتخذوا منه رمزاً مقدساً لإلههم[6] ، كما أن ظهور التماثيل

---

(1) العقيلي ، فاطمة سالم ، المرجع السابق ص206 .
(2) سالم ، محمد أمحمد ، المرجع السابق ص97 .
(3) الميار ، عبد الحفيظ ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ص71 .
(4) حارش ، محمد الهادي ، أصول عبادة آمون في المغرب القديم ، مجلة الدراسات التاريخيـــة ، جامعـــة الجزائر ، العدد3 ، 1987م ص12.
(5) أيوب ، محمد سليمان ، المرجع السابق ص169 .
(6) سالم ، محمد أمحمد ، المرجع السابق ص96 .

التي تنتهي برأس كبش في إقليم توات وتازرول بالهوقار ، والتـــي تــؤرخ الألف التاسعة ق.م تبين الأصول الليبية لرمز الكبش[1].

يضاف إلي ذلك أن الكبش كان معبوداً في منطقـــة الطـــوارق ، وقـــد ظهرت الرسوم الصخرية للكباش في الجنوب الوهراني في الفترة بين 9500 – 7500 ق.م ، هذا ناهيك عن التبدلات المناخية التي حدثت لشمال أفريقيا ، والتي دفعت الكثير من القبائل للهجرة باتجاه الشرق نحو دلتا النيل[2] ، ويزيد من الاعتقاد بأن الإله آمون هو إله ليبي الأصل ، أن الملك الفارسي قمبير قد وجه حملة لتحطيم معبد ذلك الإله في سيوه ، بينما لم يفعل ذلك مـــع الإلـــه آمون في طيبة[3] ، كما يعتقد أنه أب للإله الليبي "قورزل" من بقرة[4].

كل هذه المعطيات تجعل الباحث في هذا الموضوع يرجح أصول الإله آمون الليبية ، هذا الإله الذي له تأثير قوي ، استطاع الليبيون من خلاله ترك بصماتهم على ديانات الشعوب القديمـــة المجـــاورة ، كالديانـــة المـــصرية والإغريقية والقرطاجية.

وفي الواقع فإن هذا الإله لم يكن المعبود الوحيد كما ذكرنا ، ولكنه كان الأبرز ، وإلى جانب هذا الإله كان هناك من الآلهة المحليـــة علـــى ســـبيل المثال: الإلهة الأنثى التي ذاع صيتها هي كذلك ، وكان لها تأثيرها القوي في الديانات الأخرى ، والتي لازالت محل جدال بين الباحثين ، وهي الإلهة نيت.

الإلهـــة نـــيت:

تعتبر الإلهة نيت أقدم المعبودات التي ظهرت في شمال إفريقيا علـــى الإطلاق ، حيث يعود ظهورها إلى الألف الرابعة أو الخامسة ق.م ، وانتقلت

---

(1) حارش ، محمد الهادي ، المرجع السابق ص14.

(2) المرجع نفسه ص12 – 16 .

(3) Herodotus , 111 . 26 .

(4) الميار ، عبد الحفيظ ، الحضارة في ليبيا ، المرجع السابق ص68 .

عبادتها إلى بلاد وادي النيل في وقت مبكر ، يعود إلـى مـا قبـل عـصر الأسرات تقريباً ، وكانت إلهة للصيد والحرب[1] ، حيث شيدت لها المعابـد على عهد الملك "عجا" المحارب إثر انتصاراته في بلاد النوبة وعلى القبائل الليبية في الغرب[2] ، ومما يدل على قدمها ما ورد في قصة خلق هذه الإلهة ، من أنها انبثقت من ذاتها ، بينما كانت الأرض لا تزال في الظلمات ، ولـم يكن نبات ينمو ، واتخذت في البداية شكل بقرة[3] ، ويقـول "Keec " عـن أصولها: إنها تعود إلى أصل ليبي ، ثم انتقلت عبادتها إلى غـرب الـدلتا ، واعتبرت إلهة المقاطعتين الرابعة والخامسة ، وعرفها المصريون بزعيمـة الأقوام التي تعيش غرباً[4] ، وقد خصها المـصريون بـالاحترام الكامـل ، واتخذوا تاجها رمزاً للدلتا ، وتسمت بها بعض زوجات الفراعنة ، مثل: "نيت حتب وحرنيت و مريت نت" ، وأطلقوا عليها لقب: "التي تمهد الطريق" ، إي كانت تتقدم الملوك في المعارك ، " وهذا ربما يكون فيه ارتبـاط بظهورهـا لدى القرطاجيين بوجه بعل ، أو التي تتقدم بعل" ، وسميت "بأم الآلهـة" [5] ، وقد أطلق عليها اسم الربة العظيمة ، حيث يذكر أحـد النـصوص الموجـه للإلهة نيت: "السلام عليك أيتها الربة العظيمة التي لـم يكتـشف مـيلادك ، السلام على الربة العظيمة في العالم السفلي[6] ، وربما كانت هذه التسمية هي التي انبثق عنها لقب: السيدة العظيمة ، الذي وجد على تمثال الإلهة تانيت في الجبل الغربي[7] ، وليس من المستبعد أن يكون استمراراً لعبادة المعبود القديم بنفس الصفة في العصر الروماني ، ويعتقد العديد من الباحثين وعلى رأسهم:

---

(1) Kees ,M . op . cit . P.101 .

(2) فخري ، أحمد ، مصر الفرعونية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط4 ، 1978م ص78 .

(3) الماجدي ، خزعل ، الدين المصري ، دار الشروق ، عمان ، 1999م ص81 .

(4) العقيلي ، فاطمة سالم ، المرجع السابق ص196 .

(5) المرجع نفسه ، ص197 .

(6) ولاس ، برج ، آلهة المصريين"صفحات من تاريخ مصر الفرعونيـة" ، ت: حـسين يـونس ، مكتبـة مدبولي ، القاهرة 1998م ص547 .

(7) الميار ، عبد الحفيظ ، اكتشافات أثرية جديدة في منطقة الجبل الغرب ، مجلة تراث الشعب ، المرجـع السابق ص98 .

"Keec و Batec و Picard أن الإلهة تانيت التي ظهرت في قرطاجة وانتشرت عبادتها في جميع أنحاء المغرب العربي ، إنما هي تعود في جذورها إلى الإلهة "نيت" [1] وهو ما يفسر انتشار عبادتها بين السكان المحليين ، حتى إن تانيت وصل تأثيرها إلى قبائل الجرمنت في الجنوب منفردة دون مصاحبة الإله حمون[2].

ومما يؤكد أصول نيت الليبية هو ظهور رموزها على هيئة وشم على سواعد الليبيين[3] ، وإذا ما نظرنا إلى العلاقات الليبية المصرية ، والتأثيرات الدينية المتبادلة بين الشعبين ، لا نستبعد ، بل ونرجح أصول "تانيت " القرطاجية الأفريقية ، إذ لا شئ يمنعنا من الاعتقاد في ضوء المعطيات التي تحدثنا عنها ، أن تكون قد انتقلت عبادتها إلى بلاد سوريا من مصر التي سيطرت على ذلك الإقليم في فترات متعاقبة ، وقد انتقلت نيت إلى ذلك الإقليم تحت اسم: "تانيت" ، وعُرفت بعد ذلك بتانيت لبنان ، وهي غير تانيت الأفريقية.

تمازج المعتقدات القرطاجية بالمحلية

جاء الفينيقيون إلى سواحل شمال إفريقيا حاملين معهم معبوداتهم من الشرق فعبدوا آلهتهم ومارسوا طقوسهم الدينية داخل مدنهم دون أن يتأثروا بالعبادات المحلية أو يؤثروا فيها بشكل واضح طيلة ثلاثة قرون من الزمان تقريباً ، لكن ومع حلول القرن الخامس ق.م بدأ التحول القرطاجي نحو الفضاء الأفريقي نتيجة مجموعة من العوامل التي كان على رأسها: الصراع القرطاجي الإغريقي ، وبدأ الاحتكاك بين الشعبين ، والاختلاط الذي نتج عنه تمازج فكري ديني ، فعلى الرغم من محاولة الفصل بين معتقدات كل شعب على حدة من قبل الكُتاب المعاصرين ، إلا أن التأثير القرطاجي بدا واضحاً

---

(1) العقيلي ، فاطمة سالم ، المرجع السابقص195 – 200 .

(2) أيوب ، محمد سليمان ، المرجع السابق ص169 .

(3) المسلمي ، عبد الله حسن ، العلاقات الليبية ، البربرية مع مصر القديمة ، التحنو في المصادر المصرية، ليبيا القديمة ، المرجع السابق ص61 .

على سكان البلاد الأصليين ، من حيث انتشار الكثير من المعبودات الفينيقية بينهم ، وتغلغلها حتى في الأوساط الشعبية ، فقد انتشرت عبادة الإله بعل حمون بين الناس ، وأصبح الإله الرسمي في الإمبراطورية القرطاجية ، وقدم له اللوبيون الأضحيات والقرابين[1] ، وحمل العديد منهم أسماء بونية ارتبطت ببعض الآلهة[2] ، وليس هذا من المستغرب إذ أن الفينيقين كانوا هم أصحاب السيادة في البلاد.

كما انتشرت عبادة الإلهة "تانيت" بشكل واسع ، وعُرفت "بسيدة الصحراء ، هادية القوافل بالنهار والليل ، مفجرة عيون الماء ، مكثرة الماء بالآبار ، رمز الحياة والخلود ، وقد وجد فيها القرطاجيون صورة من الإلهة اشرات الفينيقية ، فاتخذوها زوجة لإلههم هامان[3] وإن كان هناك خلاف حول أصولها ، مما يجعلنا في حيرة من تصنيفها ، فهل كانت محلية ذات تأثير على الوافدين الجدد؟ أم إنها فينيقية؟ وبالتالي فإن تأثيرها جاء على السكان المحليين ، كما إننا نلاحظ انتشار الكثير من الطقوس الفينيقية بين اللوبيين ، ومن أهمها: عادة دفن الموتى[4]، وانتشار ظاهرة الأضحية البشرية التي استمرت في العالم البوني الغربي إلى وقت متأخر رغم اختفائها في شرق البحر المتوسط في فترة مبكرة ، حيث استمرت هذه العادة حتى القرن الثاني الميلادي ، وإن كانت لا تمارس في العلن[5].

أما عن الجانب الآخر – وهو مدى التأثير المحلي – فإنه يبدو جلياً واضحاً على الحياة الدينية القرطاجية ، فقد بلغ درجةً جعلت بعض المؤرخين

(1) غانم ، محمد الصغير ، امملكة النوميدية والحضارة البونية ، المرجع السابق ص38.

(2) Ferjaoui,A , Reeherches sur les relation entre L`Orient Phoenicien et Carthage , Ed _ Beit Al Hikma ,Carthage, Tunisie,1992. P.329.

(3) أيوب ، محمد سليمان ، المرجع السابق ص172.

(4) غانم ، محمد الصغير ، المملكة النوميدية والحضارة البونية ، المرجع السابق ص39.

(5) Ferjaoui ,A , op . cit . P. 406.

يعتبرون أن الآلهة القرطاجية ربما تكون بربرية الأصل[1] ، وحتى إن تم تفنيد ذلك ، فإن تلك الآلهة أخذت من الرموز والشعائر ما جعلها تمتزج مع الآلهة المحلية بشكل يكاد يكون كلياً[2] ، فعلى سبيل المثال: إن الإله القرطاجي الرئيس"بعل حمون " قد أخذ بعض المظاهر الخاصة بالإله الليبي" آمون" ، مثل: قرني الكبش واللحية التي ظهر بها ، حتى اعتبر بعض المؤرخين أن "بعل حمون" هو نفسه الإله الليبي "آمون سيوه" ، والذي أصبح يسمى " بعل آمون" [3].

ولقد كان الرمز" قرني الكبش" ، هو رمز ليبي أصيل ، حيث ثبت وجود تقديس هذا الرمز خلال الرسوم والحفريات التي ظهرت في ليبيا قبل قدوم الفينيقيين إليها[4].

أما عن" تانيت" فإننا لا نستطيع التحدث عنها في إطار التأثير؛ لأننا بالتالي نكون قد أعطينا حكماً حول أصل هذه الإلهة مع ميلنا لأصولها الليبية ، ولكن الفصل في هذا الأمر سيظل معلقاً إلى حين دراسة الديانة الليبية القديمة بشكل وافٍ.

ولكن يمكننا القول: إنها إذا كانت شرقية الأصل فإن عبادتها انتشرت بين السكان المحليين بشكل يكاد يكون أقوى من أي إله آخر عقب القرن الخامس ق.م ، وتغلغلت عبادتها في المناطق الداخلية من منطقة المغرب العربي.

وإن ثبت أنها إلهة ليبية الأصل ، فإن ارتقاء عبادتها إلى قمة الهرم الديني في قرطاجة ، وتقدمها الإله الرئيس بعل حمون ، وسيادتها في مجمع الآلهة في قرطاجة لدليل على مدى التأثير المحلي على عبادة القرطاجيين ،

---

(1) فنطر ، محمد ، مدينة كركوان مدينة بونية بالوطن القبلي ، الحياة الثقافية ، مجلة تصدرها وزارة الثقافة بالجمهورية التونسية ، العددان 69 – 70 – 1995مص40.

(2) الميار ، عبدالحفيظ ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ص235.

(3) سالم ، محمد امحمد ، المرجع السابق ص97.

(4) مهران ، محمد بيومي ، المغرب القديم ، المرجع السابق ص212.

وفي كلتا الحالتين فإن هذا يعتبر دليلاً قوياً ، ومثالاً واضحاً على مدى التمازج الفكري ، وتمازج المعتقدات الدينية بين الشعبين ، هذا فضلاً عن ظهور بعض المعتقدات المحلية بين القرطاجيين ، مثل: الاعتقاد بوجود الأرواح الشريرة ، والذي دل عليه ظهور بعض الأقنعة التي بدا عليها النمط الأفريقي لدى القرطاجيين ، معتقدين أنها تطرد تلك الأرواح ، أو أنها تضحكها ، فتبطل مفعول شرها[1] ، هذا فضلاً عن ظهور التأثيرات اللوبية على الفينيقيين في عادات الدفن ، خاصة في الطقوس الجنائزية ، وصبغ جسد الميت باللون الأحمر ، الذي يعني لون الحياة ، ما يعني أن الفينيقيين في المغرب ربما ساورهم الاعتقاد في الحياة بعد الموت مثلما كان يعتقد الليبيون ، وربما هذا الاعتقاد لم يكن واضحاً لديهم في الشرق[2].

إذاً لقد أثرت المنافسة الإغريقية على قرطاجة كمدينة أولاً وكإمبراطورية ثانياً ، فقد ضيقت الخناق عليهم في البحر مما دفعهم للتوسع في الفضاء الإفريقي فاحتكوا بالسكان المحليين واندمجوا معهم بل وصاهروهم في بعض الأحيان مما نتج عنه ظهور عنصر جديد عُرف "بالليبو فينيقي" ، وقد أحدث ذلك الضغط تغيرات في التركيبة الاجتماعية حيث ظهرت بين ظهراني المجتمع القرطاجي طبقة العبيد ، وكذلك بعض الجاليات الأجنبية التي تأثرت وأثرت في المجتمع القرطاجي كالتغيرات المهمة التي حدثت في اللغة القرطاجية نتيجة اختلاطها باللهجات الأخرى ، كما ترتب على ذلك انتشار الديانة الفينيقية بين السكان من خلال المراكز التي أنشئت في الفضاء الأفريقي وكذلك تأثر القرطاجيين ببعض العبادات المحلية مما أحدث تمازجاً بين ديانتي القادمين الجدد وأصحاب البلاد الأصليين أصبح من الصعب التفريق بينهما أثناء الاحتلال الروماني ، هذا التمازج الذي افرز لنا ما عُرف في التاريخ القديم باسم الحضارة البونية.

---

(1) سالم ، محمد امحمد ، المرجع السابق ص99.

(2) الميار ، عبد الحفيظ ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، المرجع السابق ص251.

الخاتمة

مما تقدم اتضح أن معرفة الفينيقيين بالحوض الغربي للبحر المتوسط كانت مبكرة ، حيث استوطنوه وأسسوا مراكزهم التجارية فيه ، ولم تلبث تلك المراكز أن تحولت إلى مستوطنات دائمة أصبحت قبلة لإخوانهم في الشرق بعد أن ضاقت بهم السبل ، وما لبثت إحدى تلك المستوطنات – قرطاجة – أن نمت وتطورت بشكل سريع ، مستفيدة من الظروف التي ألمت بالمنطقة ، فأصبحت محط أنظار الفينيقيين في الشرق والغرب على حد سواء ، نتيجة تعرضهم لأخطار عدة كان على رأسها الزحف الآشوري والبابلي والفارسي على وطنهم الأم في الشرق ، والزحف الإغريقي باتجاه صقلية والجنوب الايطالي في الغرب ، حيث شعر المستوطنون الفينيقيون بهذه الأخطار فاتجهت أنظارهم نحو مدينة قرطاجة التي كانت تتمتع برعاية أقوى المدن الفينيقية في الشرق حتى القرن السادس ق.م ، ثم ما لبثت هذه المدينة أن أصبحت زعيمة للعالم الفينيقي في غرب المتوسط بشكل عام ، مما رتب عليها مسئوليات جسام ، فأصبحت معنية بالدفاع عنهم في المنطقة ، فعملت على تثبيت الوجود الفينيقي في كل من جزيرتي صقلية وسردينيا ، وجردت الحملات العسكرية ضد كل من حاول تهديد مصالحها التجارية ، واصطدمت بالوجود الإغريقي الذي بدأ ينمو بسرعة فائقة في الجنوب الإيطالي وصقلية ، محاولاً الوصول إلى شبه الجزيرة الأيبيرية " بلاد ترشيش" الغنية بالمعادن في الغرب ، ونتيجة لذلك أخذ الطرفان يسعيان لفرض سيطرتهما على المنطقة ، مما حتم الصدام المسلح بينهما ، فدارت حروب بين الطرفين استمرت طيلة ثلاثة قرون من الزمان تقريباً ، منذ منتصف القرن السادس ق.م حتى منتصف القرن الثالث ق.م ، وقد مر ذلك الصراع بثلاثة مراحل – كما رآها الباحثون – ارتبطت بتولي بعض الطغاة حكم "سيراكوزا" أقوى

مدينة إغريقية في صقلية ، وأصبح ذلك الصراع مفتوحاً منذ بداية القرن الخامس ق.م عقب معركة "هيميراء 480 ق.م ، تلك المعركة التي اعتبرها الكثير من المؤرخين نقطة تحول بارزة في تاريخ الفينيقيين في غرب المتوسط بشكل عام ، وتاريخ قرطاجة بشكل خاص.

واستمر ذلك الصراع بين مد وجزر ليس فيه غالب ولا مغلوب حتى منتصف القرن الثالث ق.م, ، وانتهى بموت آخر طاغية على "سيراكوزا" المدعو "أجاثوكليس" ، وقد ترتب على ذلك الصراع عدة نتائج كان من أهمها ظهور أول حلف عسكري في المنطقة "التحالف القرطاجي الاتروسكي" وإنهاك قوة قرطاجة العسكرية مما سهل مهمة روما في القضاء عليها فيما بعد.

أحدث الصراع القرطاجي الإغريقي تبدلات مهمة في قرطاجة على مختلف الأصعدة :

فعلى الصعيد السياسي: سيطرت الطبقة الأرستقراطية على مقاليد السلطة في الدولة ، فتحكمت في صنع القرار ، وكونت الجيوش وسنت القوانين نتيجة خشيتها على مكتسباتها الاقتصادية ، وعملت على تطبيقها دون ما رحمة ، مما أحدث تنافساً داخلياً بين أعضاء السلطة السياسية ، خاصة بعد بروز جنرالات الجيش كقوة يحسب لها حسابها في الدولة ، كما أدى ذلك الصراع إلى ظهور طبقة جديدة هي طبقة ملاك الأراضي في مجلس الحكم نتيجة تحول قرطاجة نحو الفضاء اللوبي ، وحيث إن نظام الحكم كان ارستقراطياً فقد استطاعت تلك الطبقة أن تفرض كلمتها داخل مجلس الشيوخ في الدولة ، وأن تضع القوانين وتشكل الهيئات "محكمة المئة" لمحاسبة القادة العسكريين ، وقد ساعد استمرار الصراع على قيام الثورات ضد الحكومة القرطاجية ، سواء من قبل بعض الجنرالات الطامعين في الحكم ، أو من قبل السكان المحليين الذين ضاقوا ذرعاً بكثرة الضرائب التي كانت تفرض عليهم لتمويل تلك الحروب.

أما على الصعيد الاقتصادي: فإن المنافسة الإغريقية لعبت دوراً مهماً في تراجع التجارة البحرية ، التي كانت تمثل عصب الحياة الاقتصادية للدولة ، وتحول القرطاجيون نحو اليابسة ، حيث أدى الضغط الإغريقي في البحر إلى توسع قرطاجة في البر ، ومن ثم استيلائها على الكثير من الأراضي الزراعية ، بانتزاعها من أصحابها وتحويل ملكيتها إلى أبناء قرطاجة ، ونتيجة لذلك بدأت الدولة تولي الزراعة أهمية خاصة ، فأنشأت المزارع ، وجلبت بعض المزروعات التي لم تكن معروفة من قبل في شمال افريقيا ، واستحدثت طرق الري ، ووضعت أسس علم الزراعة الحديثة ، وأُلفت فيه الكتب ، أشهرها "موسوعة ماجون الزراعية" ، حتى أصبحت الزراعة من أهم ركائز الاقتصاد القرطاجي.

كما اهتمت بالصناعة اهتماماً بالغاً ، نتيجة حربها مع الإغريق ، التي أدت إلى تنامي صناعات معينة وتراجع صناعات أخرى ، حيث أصبح الاهتمام كبيراً بالصناعات الحربية؛ لحاجة الدولة إليها ، وكذلك زاد الاهتمام بصناعة الأدوات الزراعية اللازمة لفلاحة الأرض ، فأنشِئت المصانع اللازمة لذلك ، فتحققت نهضة صناعية شاملة فيّ قرطاجة ، وقد جاء هذا على حساب الصناعات الكمالية كصناعة الحلي ومواد الزينة مثلاً.

وترتب على منافسة الإغريق لقرطاجة في البحر زيادة اهتمامها بالفضاء المغاربي ، والتفاتها إلى البضائع الإفريقية بشكل أكبر ، فنشطت التجارة البرية ، وحاول القرطاجيون عبور الصحراء والتوغل في داخل إفريقيا ، كما حاولوا الدوران حول ساحلها الغربي فيما عُرف ب"رحلة حنون الشهيرة" ، كذلك اهتموا بالضرائب نتيجة حاجتهم للأموال لتمويل الحملات العسكرية ، حتى بلغت نصف المحصول في أوقات الأزمات.

وعلى الصعيد الاجتماعي: ترتب على التوغل القرطاجي في الفضاء الإفريقي اختلاطهم بالسكان المحليين ، وصل إلى حد التزاوج معهم في

بعض الأحيان ، وهذا الأمر نتج عنه ظهور عنصر جديد في المجتمع القرطاجي " الليبو فينيقي" ، وقد ساهم الصراع القرطاجي الإغريقي في إفراز طبقة العبيد داخل المجتمع القرطاجي ، التي جاءت نتيجة أسر بعض المحاربين ، وفقدان بعض اللوبيين لأراضيهم وتحولهم إلى عبيد ، فضلاً عن تجارة الزنوج التي مارسها القرطاجيون ضمن تجارتهم في إفريقيا ، كما ساعد على تكون جاليات أجنبية داخل المجتمع القرطاجي ، سواء من خلال انخراط الكثيرين منهم في الجيش القرطاجي ، ثم تحولهم إلى مقيمين في الدولة ، أو من خلال فرارهم من بلدانهم بحثاً عن الأمان في قرطاجة ، وكان أهم تلك الجاليات " الجالية الاتروسكية ، والجالية اليونانية" ، وهذا الامتزاج أدى إلى تطور اللغة الفينيقية نتيجة تأثرها باللغات الأخرى ، فأصبحت تعرف باللغة البونية الحديثة.

أما على الصعيد الديني: فقد ساعد الصراع على انتشار الديانة القرطاجية بين السكان المحليين ، نتيجة تغلغل القرطاجيين بينهم ، فعبدوا آلهتهم ، وأخذوا عنهم بعض العادات والشعائر الدينية ، كما حاول القرطاجيون التقرب من السكان بأخذ بعض رموز آلهتهم حتى امتزجت الديانتان بشكل كبير ، مما أحدث لبساً لدى كثير من الباحثين في تحديد هوية بعض الآلهة أهي فينيقية الأصل أم لوبية ، يضاف إلى ذلك أخذ القرطاجيين لبعض عادات اللوبيين الجنائزية ، كصبغ الجثث باللون الأحمر وبعض عادات الدفن وغيرها .

هكذا كان الصراع القرطاجي الإغريقي عاملا مؤثراً ، ترك بصماته على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في قرطاجة ، حيث تغيرت حياة القرطاجيين وتحولوا من دولة بحرية تعتمد على التجارة البحرية ، إلى دولة برية اختلطت فيها الأعراق والأجناس فأفرزت ما عُرف بالحضارة البونية .

وما توفيقي إلا بالله ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

قائمة المصادر والمراجع

أولاً :المصادر :

المصادر العربية :

- أرسطو ، كتاب السياسة ، ت : أحمد لطفي السيد ، ط 2 ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة 1970م.
- الكتاب المقدس.
- سالوست ، حرب يوغرطة ، صفحات من تاريخ شمال إفريقيا القديم ، ت: محمد التازي سعود ، مطبعة محمد الخامس الجامعية والثقافية ، فاس 1979م.
- سترابون ، الكتاب السابع عشر"وصف ليبيا ومصر" ، نقله عن الإغريقية: محمد المبروك الذويب ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي 2001م.
- هيرودوت ، الكتاب الرابع من تاريخ هيريدوت "الكتاب السكيثي والكتاب الليبي ، نقله عن الإغريقية: محمد المبروك الذويب ، جامعة قاريونس ، بنغازي 2002م.

المصادر الأجنبية :

- Aristotal – Politique .
- Diodorus of Sicily . 1V . X1V . XX .
- Herodotus , 111 . 1V .
- Justen , X1X .
- Polybe , XXXV1 .
- Strabo , XV11

- Thucydides , 111 . 1V – .

- The Cambridge Ancient History , V1 . V11 .

ثانياً : المراجع :

المراجع العربية :

– أبو رونية ، الشاذلي ، محمد الطاهر ، قرطاجة البونية"تاريخ حضارة" ، مركز النشر الجامعي ، تونس 1999م.

– الأثرم ، عبدالحميد رجب ، تاريخ ليبيا القديم ، منشورات جامعة قاريونس ، ط3 ، بنغازي 1998م.

– دراسات في تاريخ الإغريق وعلاقته بالوطن العربي ، منشورات جامعة قاريونس ، ط2 ، بنغازي2001م.

– إشراف:ف ، د.باكوف ، سزكوفاليف ، الحضارات القديمة ، ت:نسيم واكيم اليازجي ، دار علاء الدين ، دمشق 2000م.

– الأشقر ، أسد ، الخطوط الكبرى في تاريخ سوريا ونشوء العالم العربي ، ج1 ، القسم الثاني ، الحضارة الكنعانية السورية في حوض المتوسط 1980م.

– إيمار ، أندريه ، تاريخ الحضارات العام ، مج2 ، روما وإمبراطوريتها ، منشورات عويدات – بيروت 1964م.

– أيوب ، إبراهيم رزق الله ، التاريخ الروماني ، منشورات جامعة سبها ، الإدارة العامة للمكتبات والنشر1996م.

– باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج2 ، بغداد 1973م.

– البقلوطي ، حبيب ، دور اللوبيين في حرب المرتزقة – المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ،

بيت الحكمة ، تونس 1999م .

– برستد ، جيمس هنري ، العصور القديمة ، نقله إلـى العربيـة:داوود قربان ، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر 1983م .

– بكري ، حسن صبحي ، الإغريق والرومـان والـشرق الإغريقـي الروماني ، عالم الكتب ، الرياض 1984م .

– بن إدريس عمر ، الصراع القرطاجي الإغريقي في غرب المتوسط ما بين القرنين السادس والرابع ق.م ، رسالة دبلـوم دراسـة معمقـة – جامعة الجزائر 1982و .

– بورتر ، هارفي ، موسوعة مختصر التاريخ القديم ، مكتبة مدبولي ، القاهرة 1991م .

– بوفيل ، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ، نقله إلى العربية:الهادي أبولقمة ، محمد عزيز ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي 1988م .

– بولم ، دنيس ، الحضارات الإفريقية ، ت:علي شـاهين ، دار مكتبـة الحياة ، بيروت 1974م .

– تسيركين ، يولي بركوفيتش ، الحضارة الفينيقية فـي إسـبانيا ، ت: يوسف أبي فاضل ،

مراجعة: ميشال أبي فاضل ، جروس بروس ، بيروت 1988م .

– توينبي ، أرنولد ، تاريخ الحضارة الهللينية ، ت:رمـزي جـرجس ، مراجعة:صقر خفاجة ، الهيئة المصرية للكتاب 2003م .

– جندي ، إبراهيم عبد العزيز ، معالم التاريخ اليوناني القديم ، المكتـب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة 1999م .

– جوليان ، شارل أندريه ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، ت: طلعت أباظـة

وعبد المنعم ماجد ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر 1986م .

– الجوهري ، يسري ، جغرافية البحر المتوسط ، منشأة المعارف بالإسكندرية 1984م .

– حتي ، فيليب ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ت:جورج حداد ، عبد الكريم رافق ، ط3 ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، د.ت .

– حسن ، على إبراهيم ، التاريخ الإسلامي العام"الجاهلية ، الدولة العربية ، الدولة العباسية" ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، د.ت .

– حسين ، عاصم أحمد ، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق ، مكتبة نهض الشرق ، القاهرة 1982م .

– دالاس ، برج ، آلهة المصريين"صفحات منتاريخ مصر الفرعونية" ، ت:حسين يونس ، مكتبة مدبولي ، القاهرة 1998م .

– ديكريه ، فرانسوا ، قرطاجة"الحضارة والتاريخ" ، ت:يوسف شلب الشام ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق 1994م .

– قرطاجة أو إمبراطورية البحر ، ت:عزالدين أحمد عزو ، مراجعة عبدالله الحلو ، الأهالي للطباعة والنشر ، دمشق 1996م .

– ديورانت ، ول ، تاريخ الحضارة ، ج2 ، مج1 ، الشرق الأدنى ، ت:محمد بدران ، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية 1972م .

– رايت ، جون ، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور – تعريب: عبدالحفيظ الميار ، أحمد اليازوري ، دار الفرجاني ، طرابلس ، ليبيا 1972م .

– سارتون ، جورج ، تاريخ العلم ، ت:محمد خلف الله وآخرون ، ط4 ، دار المعارف ، القاهرة1979م .

– المسلمي ، عبدالله حسن ، العلاقات الليبية البربرية مع مصر القديمة

"التحنو في المصادر المصرية ، ليبيا القديمة" ، تقرير ودراسات الندوة التي نظمها اليونيسكو في باريس 1984م.

- السواح ، فراس ، لغز عشتار" الألوهيــة المؤنثــة" وأصــل الــدين والأسطورة ، ط7 ، دار علاء الدين ، دمشق 2000م .

- شامو ، فرانسوا ، الإغريق في برقة"الأسطورة والتاريخ" ، نقله عــن الفرنسية:محمد عبدالكريم الوافي ، منــشورات جامعــة قــاريونس ، بنغازي 1990م .

- صفر ، أحمد ، مدنية المغرب في التاريخ ، أبوسلامة للنشر ، مطبعة العمل ، تونس 1959م.

- عارف ، عايدة سليمان ، مدارس الفن القديم ، دار صادر ، بيــروت 1972م.

- عبدالعليم ، مصطفى كمال ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم ، المطبعة الأهلية ، بنغازي 1966م .

- عزونة ، جلول ، دراسات حضارية عن تونس ، دار الإتحاف للنشر ، تونس2001م.

- العسلي ، بسام ، هانيبال القرطــاجي(247 – 183ق.م) ، المؤســسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1980 .

- عصفور ، محمد أبو المحاسن ، المدن الفينيقية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت 1981م .

- علي ، عبداللطيف أحمد ، التاريخ اليوناني(العصر الهللادي) ، ج2 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت 1974م .

- عياد ، محمد كامل ، تاريخ اليونان ، ج1 ، د.ت

- غانم ، محمد الصغير ، التوسع الفينيقي في غرب المتوسط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، لبنان 1974م .

- المملكة النوميدية والحضارة البونية ، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر 1998م .

- معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر 2003م .

- فخري ، أحمد ، مصر الفرعونية ، ط4 ، مكتبة اللأنجلو المصرية 1978م.

- الفرجاوي ، أحمد ، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة ، المعهد الوطني للتراث ، تونس 1993م .

- فنطر ، محمد حسين ، قرطاج (لمحة تاريخية عن الحضارة البونيقية) ، منشورات دار الثقافة ، تونس 1963م .

- يوغرطة من ملوك شمال إفريقيا وأبطالها ، الدار التونسية للنشر 1970م .

- الفينيقيون بناة المتوسط ، اليف ، منشورات البحر الأبيض المتوسط ، منشورات توبقال ، المغرب 1998م .

- الحرف والصورة في عالم قرطاج ، اليف ، منشورات البحر الأبيض المتوسط ، مركز النشر الجامعي – تونس 1999م .

- القاضي ، فاروق ، محاضرات في التاريخ الإغريقي"من الحضارة الإيجية الباكرة حتى القرن السادس ق.م ، مكتبة سعيد رأفت القاهرة ، د.ت

- كونتنو ، ج ، الحضارة الفينيقية ، ت:محمد الهادي شعيرة ، مراجعة:طه

حسين ، شركة مركز كتب الشرق الأوسط ، قصر النيل 1948م .
- لاروند ، أندريه ، برقة في العصر الهللينستي من العهد الجمهوري حتى ولاية أغسطس ، نقله عن الفرنسية:محمد عبدالكريم الوافي ، منشورات جامعة قاريونس 2003م .
- الماجدي ، خزعل ، الدين المصري ، دار الشروق ، عمان 1999م .
- المعتقدات الكنعانية ، دار الشروق ، عمان 2001م .
- مازيل ، جان ، تاريخ الحضارة الفينيقية"الكنعانية" ، ت:ربا الخش ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا ، اللاذقية 1998م .
- مع الفينيقيين في متابعة الشمس على دروب الذهب والقصدير ، تعريب: نجيب عزوري ، دار المرساة للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا اللاذقية 1998م.
- مكاوي ، فوزي ، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته منذ أقدم العصور حتى 322ق.م ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة1999م.
- مهران ، محمد بيومي ، المغرب القديم ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 1990م .
- المدن الفينيقية ، دار النهضة العربية ، بيروت 1994م .
- موسكاتي ، سابتينو ، الحضارة الفينيقية ، ت:نهاد خياطة ، العربي للطباعة والنشر ، دمشق 1988م .
- الميار ، عبد الحفيظ ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، سلسلة الدراسات التاريخية"53" ، الجماهيرية 2001ف.
- دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية في إقليم المدن الثلاث ،

منشورات جامعة الفاتح ، الجماهيرية 2005م.

- ميادان ، مادلين هورس ، تاريخ قرطاج ، ت:أبراهيم بالش ، منشورات عويدات ، بيروت 1981م .

- الميلي ، محمد مبارك ، تاريخ الجزائر القديم والحديث ، تقديم وتصحيح:محمد الميلي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1976م .

- الناصري ، سيد أحمد ، الإغريق"تاريخهم وحضارتهم"من كريت حتى قيام إمبراطورية الإسكندر ، ج2 ، دار النهضة العربية ، القاهرة 1977م.

- الناضوري ، رشيد ، تاريخ المغرب الكبير ، ج1 ، العصور القديمة ، بيروت 1981م.

- نصحي ، إبراهيم ، تاريخ الرومان منذ أقدم العصور حتى 133ق.م ، ج1 ، منشورات الجامعة الليبية ، كلية الآداب ، دار النجاح ، بيروت 1971م .

- مصر في عصر البطالمة ، ج1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط4 ، القاهرة 1976م .

- والنتون ، رالف ، شجرة الحضارة ، ج2 ، ت:أحمد فخري ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطابع دار الكتاب العربي ، مصر 1955م .

- يحي ، لطفي عبد الوهاب ، مقدمة في التاريخ الحضاري ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1991م .

المراجع الأجنبية :

- Bates, O ., The Eastern Libyans an Essay , Frank Cass& Co .Ltd ,New Impression, London , 1970.
- Boardman ,J., The Greeks overseas ـ copyright©John Boardman ـ second published in great Britain by Hazell Watson 1968.
- Bury , J .B.,D.Litt., LL.D., F.B.A., History of Greece to the death of Alexander the great Macmillan& co. ltd, New york , St. Marten`s press, London, 1963.
- Burn, A. R., Persia and The Greeks, the defense of the West, 546 ـ 478 **B.C,** Edward Arnold (publisher), London 1940.
- Cary, M.,M.A., D. litt, A History of The Greek World from 323 To 146 B.C ,Methuen & co Ltd , London 1959.
- Decret , Fantar , M. L`Afrique du Nord dans L`antiquité histoire et Civilisation,Payot, Paris 1981.
- Fantar, Mohamed,Carthage la Prestigieuse Cite d`Elissa, Maison Tunisienne de l`Edition 1970.

__________ - Carthage,la Cite Punique, Alife. ces Edition de la Mediterranee , Tunisi 1998.

__________ - Carthage,Approche d`une civilisation ـ Tome 1 ـ 2,Alif les Editions de la Mediterranee 1998.

- Ferjaoui, Ahmed, Recherches sur les Relation entre l`orient Phoenicien et Carthage, Edition Bit Alhkma, Carthage, Tunisi 1992.
- Ferron,J., la Deese TNT de Carthage A propos d`une livre recent le Musen d`etu des orient les Fqse 1 ـ 2,Musee National ou Paris 1980.

- Finly, M.I., The Greek Historians, Chatto& Windus, London 1939 .
- Grant, Michael, The Etruscans, by Michael Grant publications Ltd,.Printed in Great Britain by Fekenham Press Limited London 1980.
- Griffthe,G.T., The Mercenaries of the Hellenistic World, Ares publishers, TNC, Chicago Mcmlxxv 1935.
- Gsell,S., Histoire Ancienne de L`Afrique de Nord,Tom.1 - 3, Ottozellcrverlag, Sdupruck ,Paris 1972.
- Hammond .N.G.L,A History of Greece To 322 B.c ,Oxford University Press, Ely House, London, 1967.
- Harden, D., The Phoenicians ,Thames and Hudson , London 1963.
- Alfred,J., Church, M.A., Carthage or The Empire of Africa ,T. Fisher unwin, New York ,G.P., Putnam`s sons 1886.
- J,G - Fevrier, Histoire , Payot , Paris 1948 .
- Kees, M., Ancient Egypt ,A cultural topography, London 1961 .
- Lancel, S., Carthage, Céres , Tunisi 1992 – .
- Lloyd,W, Watkis ,History of Sicily to The Athenian War, London 1872.
- Marcel,Bordet D`Histoire Romana de Amand, Clin, Pris . - Markoe , Peoples of the past, Phoenicians ,The British Museum 2001.
- Moscati, S., The World of Phoenicians ,Translated from The Italian by Alistair Hamilton , London 1968.

- Picard,G, le Monde de Carthage,Editions Correo, Pouchet Chastel, Paris 1956 .
- Picard, G., Ancient Peoples and places, The Phoenicians, London 1962.
- Picard,G. And Collette Charles ,Daily life in Carthage at The Time of Hannibal ,Translated from The French by :A.M. Foster ,London 1961.
- Picard,G .and Collette Charles,Vie et Morte de Carthage ,Hachette , France 1970 .
- Rollin, M., Ancient History of The Egyptians, Carthaginians Assyrians ,Babylonians, Medes and Persians, Grecians and Macedonians, Translated from The French ,Vol .1,The Sixteenth Edition ,London 1823.
- Rawlinson, M.A. George, Phoenicia, T. Fisher unmin Pater noster, Square, New York ,G.P. Putnam's sons, 1853.
- Warmington, B.H, Carthage, Robert Hal, company publisher ,Second Edition 1969.
- Weill, R., Phoenicia and Western Asia to The Macedonian conquest, translated Ernest F.Row ,Arno Press - New York Times company 1978.
- Wise, T., Armies of Carthaginians, osprey Publishing London 1982.

ثالثاً :الدوريات :

- أمين ، محمود حسين ، الكنعانيون الغربيون ، محاضـرات الموسـم الثقافي الأول79 – 1980ممنشورات مركز جهاد الليبيين ، طـرابلس 1979م .

- بوتسيروب ، اليكس ، الفينيقيون في ليبيا ، ت:محمد دربال ، مجلـة الحياة الثقافية ، السنة26 ، العدد121 ، جانفي 2001م .

- تعريب:إبراهيم المهدوي ، نبات السلفيوم هل لا يزال موجوداً؟ ، مجلة آثار العرب ، العددان 12 ، 11 ، 1999م .

- الجراري ، الطاهر ، دوافع الإستيطان الإغريقي في ليبيـا ، مجلـة البحوث التاريخية ، منشورات مركز جهاد الليبيين ، السنة7 ، العدد1 ، طرابلس ، يناير 1985م .

- حارش ، محمد الهادي ، حول أصول عبادة آمون في المغرب القديم ، مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة الجزائر ، العدد3 ، 1987م .

- حتاملة محمد عبده ، الفينيقيون ، مجلة المؤرخ العربي ، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ، العدد57 ، 1999م .

- السويح ، الطاهر ، حنعبل(العودة الثانية) ، مجلة الحيـاة الثقافيـة ، السنة21 ، العدد80 ، ديسمبر1996م .

- الشريف ، زهرة ، تأسيس قرطاجة وموجـات الإسـتيطان الفينيقـي بتونس ، الحياة الثقافية ، العدد38 – 1985م .

- عقون ، محمد العربي ، من تداعيات الحرب البونية الأولـى علـى قرطاج (ثورة جنـدها المـأجور241 – 237ق.م) ، مجلـة العلـوم الإنسانية ، العدد21 ، الجزائر ، جوان 2004م.

- فرزات ، محمد حرب ، الديانة الفينيقية وعناصر الميثولوجية في سوريا القديمة"مراجعة لمصادر دراستها وأهم ملامحها" ، مجلة دراسات تاريخية ، السنة الثالثة عشرة ، العددان41 ، 42 ، آذار ، حزيران 1992م .

- فنطر ، محمد حسين ، الحياة الثقافية والفنية بقرطاجة ، مجلة الفكر ، تونس ، السنة9 ، العدد3 ، ديسمبر 1963م .

- مدينة كركوان"مدينة بونية بالوطن القبلي" ، مجلةالحياة الثقافية – تونس ، العددان69 ، 70 ، 1995م .

- حول النقائش البونية ، مجلة الدراسات الفينيقية البونية والآثار اللوبية ، عدد11 ، المعهد الوطني للتراث ، تونس 1999م .

- الميار ، عبدالحفيظ ، اكتشافات جديدة في الجبل الغربي ، مجلة تراث الشعب ، السنة18 ، العددان3 ، 4 ، 1998م .

- ظاهرة الأضحية البشرية في الديانة الفينيقية ، مجلة آثار العرب ، العددان12 ، 11 ، 1999م .

- محاضرات في اللغة الفينيقية ، كلية الآداب"قسم الآثار" ، جامعة المرقب 2006م .

رابعاً : الأبحاث :

الأبحاث العربية :

- أبوحامد ، محمود الصديق ، الحضارة الفينيقية في طرابلس ، كتاب ليبيا في التاريخ ، المؤتمر التاريخي ، الجامعة الليبية ، بنغازي ، مارس 1968م .

- أيوب ، محمد سليمان ، جرمة في عصر إزدهارها 100 – 450م ، كتاب ليبيا في التاريخي ، الجامعة الليبية ، بنغازي ، مارس 1968م .

- برايس ، ف.ن ، القرطاجيون وإمبراطوريتهم البحرية ، تاريخ العالم ، مج2 ، ت: عبدالفتاح صدقي ، إدارة الترجمة بإدارة المعارف العمومية ، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة مصر ، د.ت .

- ستيفنسن ، ج.ه ، تجارة العالم القديم في البحر المتوسط ، تاريخ العالم ، مج2 ، ت:إدارة الترجمة بإدارة المعارف العمومية ، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة مصر ، د.ت .

- كمال ، آمال مصطفى ، تاريخ المغرب القديم ، الموسوعة الإفريقية ، لمحات من تاريخ القارة الإفريقية ، تقديم: رجب محمد عبدالحليم ، مج2 ، جامعة القاهرة ، مايو 1997م .

- ميرز ، ج.ل ، الأتروريون والقرطاجيون(أصلهم وتكاثرهم) ، كتاب تاريخ العالم ، مج2 ، ت:إدارة الترجمة والمعارف العمومية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د.ت

- وارمنجتون ، ب.ه ، العصر القرطاجي ، تاريخ إفريقيا العام ، ت:عبدالرحيم مصطفى وآخرون ، مج2 ، حضارات إفريقيا القديمة 1985م .

الأبحاث الأجنبية :

- Acquaro ,Enrico, "Sardinia" , in Moscati , The Phoenicians ,I.B,Tauris Publisher , London, New York 2001.

" - ,__________ - Phoenicians and Etroscans", in Moscati , The Phoenicians I.B, Taurus Publisher, London . New York 2001.

- Ciasca, Antonia, "Masks and Proteomes" , in Moscati , The Phoenicians I.B,Tauris Publisher, London . New york 2001.

- Fantar, Mohamed, "North Africa", in Moscati , The Phoenicians I.B, Tauris Publisher, London . New york 2001.

- Moscati,Sabatino ,"Colonization of The Mediterranean" , in Moscati , The Phoenicians I.B, Tauris Publisher ,London . New York 2001.

" __________ - The Carthaginian Empire" , in Moscati , The Phoenicians I.B, Tauris Publisher, London . New York 2001.

- Ribichini,Sergio," Belief and Religious Life" , in Moscati , The Phoenicians I.B,Tauris Publisher, London . New York 2001.

- Tusa,Vincenzo, "Sicily" , in Moscati , The Phoenicians I.B,Tauris Publisher, London . New York 2001.

خامساً الندوات :

أولا : العربية .

- غزال ، حسين أحمد ، أضواء جديدة على التمييز بين آمـون ليبيـا وزيوس قورينا ، ليبيا القديمة (تقرير ودراسات الندوة التي نظمتهـا اليونيسكو في باريس في الفترة من 16 إلى 18 يناير / كانون الثـاني 1984م).

- مسلمي ، عبدالله حسن ، لعلاقات الليبية البربرية مع مـصر القديمـة (التحنو في المصادر المصرية) ، ليبيا القديمة (تقريـر ودراسـات الندوة التي نظمتها اليونيسكو في باريس في الفترة من 16 إلى 18 يناير / كانون الثاني 1984م).

ثانيا : الأجنبية

- Divita, A., The role of the Phoenicians in the interaction of Mediterranean Civilizations, Papers Presented to the Archaeological Symposium at the American University of Beirut, Published by the American University of Beirut,March 1967.

سادسا الرسائل الجامعية :

الدكتوراة :

- حجازي ، عبد الفتاح عزيز ، البحرية القرطاجية ، رسالة دكتوراة لم تنشر ، جامعة القاهرة ، معهد البحوث الإفريقية 1985م .

الماجستير :

- البركي ، عادل عمران ، النشاط الاقتصادي وأثره في بناء وسقوط قرطاجة من القرن الخامس حتى منتصف القرن الثاني ق.م ، رسالة ماجستير لم تنشر ، جامعة الفاتح ، طرابلس ، الجماهيرية 2003م .
- الحراري ، جمعة البشير ، الحياة الاجتماعية والمعتقدات الدينية في ولاية إفريقيا البروقنصلية31ق.م – 284م ، رسالة ماجستير لم تنشر ، جامعة السابع من أبريل ، الجماهيرية 2004م .
- خلايلة ، إبراهيم خليل ، مصادر البحث عن الحضارة الفينيقية البونية في تونس (المصادر التاريخية ، المصادر الأثرية – النقائش) ، رسالة شهادة الدراسات المعمقة لم تنشر ، جامعة تونس الأولى ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ 1995م .
- الذراوي ، محمد علي ، الحياة الدينية والثقافية بالمدن الثلاث زمن الاجتلال الروماني ، رسالة ماجستير لم تنشر ، جامعة الفاتح ، الجماهيرية 2003م .
- سالم ، امحمد محمد ، فرضية جذور الصراع بين حضارات شمال حوض البحر الأبيض المتوسط وجنوبه منذ أقدم العصور حتى الاحتلال الروماني لمصر عام 30ف.م ، رسالة ماجستير لم تنشر ، جامعة الفاتح ، كلية العلوم الاجتماعية والتطبيقية 1998م .
- الشريف ، عبدالناصر علي أبوالقاسم ، الديانة الفينيقية في شمال

افريقيا ، رسالة ماجستير لم تنشر ، جامعة قاريونس ، كليـــة الآداب ، قسم التاريخ 2005م .

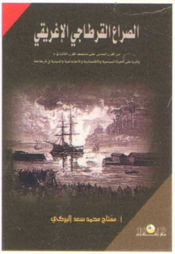
- العقيلي ، فاطمة سالم ، القبائل الليبية في ضوء المــصادر اليونانيـــة والأدلة الأثرية من 631حتى91ق.م ، رسالة ماجستير لم تنشر ، جامعة قاريونس ، كلية الآداب ، قسم التاريخ 2001م .

- فرج ، آمال سعيد نوح ، صورة الربة إيزيس على التمائم والجعارين المصرية في قرطاجة ، رسالة ماجستير لم تنشر ، جامعة القــاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية 1993م .

- محمد ، اكريم الجارح ، جدلية التداخل بـــين الــسلطة والــدين فـــي مستعمرة قرطاجة خـــلال الفتـــرة الرومانيـــة مـــن أغـــسطس إلـــى دقلديانوس27ق.م – 315م ، رسالة ماجستير لم تنشر ، جامعة الفاتح ، كلية الآداب 2004م .

- الهادي ، أحمد عبد الله ، الحياة السياسية للفينيقيين في شمال أفريقيا ، رسالة ماجستير لم تنشر ، جامعة قـــاريونس ، كليـــة الآداب ، قـــسم التاريخ 1997م .

تنفيـذ الطباعـة والتجهيزات الطباعية
دار قـــباء الـحـديثـــة
للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة
جمهورية مصر العربية
16 عمارات العبور - شارع صلاح سالم - مدينة نصر
تليفاكس 02/22621365 - محمــول 0123140315
E-mail: modern_qubaa@hotmail.com



■ يقدّم مجلس الثقافة العام للقارئ الكريم مجموعةً من إصداراته الجديدة المتنوعة ، التي تتضمن أجناسًا أدبيةً وفنيةً ، تهدف إلى دعم الكتاب ونشر المعرفة وتنمية الذائقة الجمالية وإثراء الحركة الثقافية .. آمِلاً إسهامًا جادًا يضيف إلى الحراك الثقافي رصيدًا مميزًا وفضاءً جديدًا للمعرفة وللحياة.

مجلس الثقافة العام